إدجار رايس بوروز

شطرنج المريخ

رواية



ترجمة : شهرت العالم

إدجار رايس بوروز

شطرنج المريخ

رواية

ترجمة
شهرت العالم

آفاق للنشر والتوزيع

مقدمة

جون كارتر يصل إلى كوكب الأرض

هزمني شِيا الآن في لعبة الشطرنج كالمعتاد، وشعرت كالمعتاد أيضًا بارتياح مريب وأنا أمازحه بعقلية فاشلة؛ لإثارة اهتمامه للمرة الألف بتلك النظرية التي يطرحها بعض العلماء، وتؤكد أن لاعبي الشطرنج العظماء ينتمون دائمًا إلى صفوف الأطفال دون الثانية عشرة من العمر، أو إلى البالغين الذين تزيد أعمارهم على اثنتين وسبعين عامًا، أو إلى من يعانون عِلة عقلية -وهي النظرية التي أتجاهلها قليلًا في تلك الحالات النادرة التي أفوز فيها. ذهب شِيا إلى سريره لينام، وكان يجب أن أحذو حذوه؛ لأننا نمتطي الأحصنة هنا دائمًا قبل شروق الشمس، لكني جلست أمام طاولة الشطرنج في المكتبة، أنفث الدخان بإهمال نحو رأس مَلِكي المهزوم.

وفي هذه الأثناء، سمعت الباب الشرقي لغرفة المعيشة يُفتح ويدخل شخص ما. تصورت أن شِيا عاد ليتحدث معي حول بعض الأمور المتعلقة بأعمال الغد، لكني عندما رفعت عيني ونظرت نحو المدخل الذي يربط بين الغرفتين، رأيت هيئة برونزية عملاقة، هيئة رجل جسده

عاريًا إلا من عتاد مرصع بالجواهر، يتدلى من أحد جانبيه سيف قصير مزخرف، ومن الجانب الآخر مسدس من طراز غريب. أدركت على الفور الشعر الأسود، الأعين الرمادية الفولاذية، الشجاعة والابتسام، السمات النبيلة، وقفزت واقفًا على قدمي لأصافح اليد الممدودة.

قلت صائحًا: «جون كارتر! إنه أنت؟».

«لا أحد غيره، يا بُني»، أجاب وهو يضع إحدى يديه في يدي، بينما يضع يده الأخرى فوق كتفي.

سألته: «وماذا تفعل هنا؟ لقد مرت سنوات طويلة منذ زيارتك الأخيرة لكوكب الأرض، ولم تأتِ من قبل مرتديًا أغطية المريخ المزخرفة. يا إلهي! ولكن، من الجيد أن أراك. لا يبدو على مظهرك أنك كبرت يومًا واحدًا منذ كنت تؤرجحني فوق ركبتك في طفولتي. كيف تفسر ذلك، جون كارتر، أمير الحرب في المريخ، أوَ هل حاولت تفسير ذلك؟».

أجاب: «لماذا أحاول تفسير ما لا يمكن تفسيره؟ فكما قلت لك من قبل، أنا رجل عجوز جدًا. ولا أعرف كم أبلغ من العُمر. أنا لا أتذكر مرحلة طفولتي، لكني أتذكر فقط أنني كنت هكذا دائمًا كما تراني الآن، وكما رأيتني أول مرة عندما كان عُمرك خمس سنوات. أنت نفسك أصبحت مُسنًا، وإن لم يكن بقدر معظم الرجال في نفس سِنك، مما قد يرجع إلى أن نفس الدماء تجري في عروقنا، على أنني لم أشِخْ على الإطلاق. وقد ناقشت هذه المسألة مع أحد علماء المريخ البارزين، وهو صديق لي، لكن نظرياته لا تزال مجرد نظريات. على أنني سعيد بهذه الحقيقة - أنني لا أشيخ أبدًا، كما إنني أحب الحياة وحيوية الشباب.

«والآن، بالنسبة لسؤالك الطبيعي عن سبب عودتي مرة أخرى إلى كوكب الأرض، وبهذه الملابس الغريبة لأعين سكانه. يمكننا أن نشكر كار كوماك[١]، رامي السهام من لوثار[٢]؛ فهو من أعطاني هذه الفكرة التي أخذت في تجريبها إلى أن نجحت أخيرًا. أنت تعرف أنني أمتلك منذ فترة طويلة القدرة على عبور الفراغ روحيًا، لكني لم أتمكن أبدًا من قبل من نقل الجماد غير الحي بقدرة مماثلة. لكنك تراني الآن للمرة الأولى كما يراني تمامًا زملائي في المريخ - ترى السيف القصير جدًّا الذي ذاق دماء الكثير من الأعداء الوحشيين، وترى عتاد هيليوم[٣] بأدواته والشارة الدالة على رتبتي، وترى أيضًا المسدس الذي قدمه لي تارس تاركاس، جيداك[٤] ثارك[٥].

«وإلى جانب رؤيتك، وهو السبب الرئيس لوجودي هنا، علاوة على إرضاء نفسي لنجاحي في نقل المادة الجامدة غير الحية من المريخ إلى الأرض، وبالتالي نقل الأشياء إذا رغبت في ذلك، ليس لديَّ أي سبب

---

(١) كار كوماك: يعيش كار كوماك منذ آلاف السنوات، عندما كانت المحيطات تنتشر على كوكب المريخ، وكان بحارًا في إمبراطورية لوثار. وهو أحد أبطال قصة «ثوفيا، فتاة المريخ» - https://barsoom.fandom.com/wiki/Kar_Komak - المترجمة.

(٢) لوثار: مدينة مريخية منعزلة تحيط بها الجبال، تسكنها مجموعة من المريخيين البيض الذين يتمتعون بقدرات نفسية غير عادية - https://barsoom.fandom.com/wiki/Lothar - المترجمة.

(٣) هيليوم: إحدى الممالك الكبرى في برسوم/ المريخ - http://barsoom.wikia.com/wiki/Helium - المترجمة.

(٤) جيداك: ما يعادل الإمبراطور - http://barsoom.wikia.com/wiki/Special:Search?query=Jeddak - المترجمة.

(٥) ثارك: جماعة المريخيين الخُضر - http://barsoom.wikia.com/wiki/Special:Search?query=Thark - المترجمة.

آخر. كوكب الأرض ليس لي؛ فاهتمامي كله ينصب على برسوم[٦] - زوجتي، وأطفالي، وعملي؛ جميعهم هناك. سوف أمضي أمسية هادئة معك، ثم أعود إلى العالم الذي أحبه وأُفضِّله أكثر حتى من حبي للحياة».

جلس خلال حديثه على الجانب الآخر من طاولة الشطرنج.

قلت له: «تحدثت عن أطفال. ألديك أطفال آخرين غير كارثوريس؟».

أجاب: «لديَّ ابنة، أصغر قليلًا من كارثوريس، وهي من أجمل الأشياء التي تتنفس هواء المريخ الرقيق. لا يوجد أجمل من ابنتي تارا الهيليومية سوى والدتها ديجاه ثوريس».

وللحظة أشار بإصبعه دونما اكتراث إلى قطع الشطرنج، وقال: «لدينا في المريخ لعبة مشابهة للشطرنج، شديدة الشبه. وهناك عِرق مريخي يلعبها دون رحمة برجال وسيوف، ونسميها جيتان. وتجري اللعبة على لوحة مثل لوحتك، لكنها تضم مائة مربع وتستخدم فيها عشرين قطعة على كل جانب. وما من مرة رأيت الناس يلعبونها إلا وفكرت في تارا الهيليومية، وما حل بها بين قطع شطرنج برسوم. هل تريد سماع قصتها؟».

قلت له إنني أود ذلك، فحكى لي القصة، وها أنا الآن أحاول إعادة سردها لكم، بنفس عبارات أمير الحرب في المريخ، بقدر ما يمكنني أن أتذكرها، وإن كان بصيغة الغائب. وإذا ظهرت تناقضات وأخطاء في سردي، فاللوم لا يقع على جون كارتر، وإنما على أخطاء ذاكرتي. فهي قصة غريبة وبرسومية تمامًا.

---

(٦) برسوم: كوكب يسميه أهل كوكب الأرض بالمريخ - http://barsoom.wikia.com/wiki/ Barsoom - المترجمة.

الفصل (١)

غضب تارا

نهضت تارا من كومة الحرير والفراء الناعمة التي كانت مستلقية عليها، ومددت جسدها الرشيق بفتور، وتوجهت نحو وسط الغرفة، حيث يتدلى قرص برونزي من السقف المنخفض فوق طاولة كبيرة. كانت حركتها تنم عن الصحة والكمال الجسدي؛ تناسق دون جهد لا تشوبه شائبة. التفّ وشاح حريري من قماش رقيق عبر أحد كتفيها حول جسدها، وتكوّم شعرها الأسود عاليًا فوق رأسها. دقّت بعصا خشبية فوق القرص البرونزي. واستجابة للاستدعاء، دخلت إلى الغرفة بخفة فتاة من الإماء وهي تبتسم، فحظيت بتحية مماثلة من سيدتها.

سألتها الأميرة: «هل بدأ ضيوف والدي يَصِلون؟».

أجابت الأَمَة: «نعم، تارا الهيليومية، إنهم يَصِلون. لقد رأيت كانتوس كان، القائد الأعلى للقوات البحرية، والأمير سوران من بتارث[٧]، ودجور كانتوس، ابن كانتوس كان»، ثم ألقت نظرة خبيثة

(٧) بتارث: إحدى الممالك التي تضم مريخيين حُمر ولديها علاقات وثيقة مع مملكة هيليوم – https://barsoom.fandom.com/wiki/Ptarth – المترجمة.

نحو سيدتها عندما ذكرت اسم دجور كانتوس، «و... أوه، هناك آخرون، لقد حضر العديدون».

قالت الأميرة: «جهزي الحمام، أوثيا». ثم أضافت: «ولكن، أوثيا، لماذا تنظرين هكذا، وتبتسمين عند ذكر اسم دجور كانتوس؟».

ضحكت الأَمَة بمرح وهي تجيب: «يبدو واضحًا للجميع أنه يحبك حب العبادة».

قالت تارا: «لا يبدو ذلك واضحًا بالنسبة لي. إنه صديق أخي كارثوريس، ولذا يأتي هنا كثيرًا، ولكن ليس لرؤيتي. إن صداقته لكارثوريس هي ما تجعله يأتي كثيرًا إلى قصر والدي».

فقالت أوثيا لتذكيرها: «لكن كارثوريس في رحلة صيد في الشمال مع تالو، جيداك أوكار»[٨].

صاحت تارا: «حمامي أوثيا! إن لسانك هذا سيجلب لك الشقاء».

«الحمام جاهز، تارا الهيليومية»، أجابت الفتاة، وعيناها لا تزال تتلألأ في مرح؛ لأنها تعلم جيدًا أن قلب سيدتها لا يضمر أي غضب يمكن أن يحل محل حب الأميرة لجاريتها. سبقت أوثيا ابنة أمير الحرب وفتحت باب غرفة مجاورة تضم الحمام، وهو عبارة عن حوض من الرخام اللامع يحتوي على مياه معطرة، وتوجد أعمدة ذهبية تدعم سلسلة من الذهب تطوقها، وتؤدي إلى الماء على جانبي الدرجات

---

(٨) أوكار: مملكة تضم المريخيين الصُفر الذين يعيشون في المناطق الشمالية المتجمدة من المريخ – https://barsoom.fandom.com/wiki/Okar – المترجمة.

الرخامية. علاوة على قبة زجاجية تتيح دخول ضوء الشمس الذي غمر الغرفة، وألقى بضوئه على الجدران الرخامية البيضاء المصقولة وموكب السبّاحين والأسماك المطعم بالذهب، في رسم تقليدي عبر شريط عريض يلف الغرفة.

أزالت تارا الوشاح من حولها وأعطته إلى الأَمَة. ونزلت الدرجات ببطء إلى الماء، واختبرت درجة حرارته بقدمها المتناسقة التي لم تشوهها الأحذية الضيقة والكعب العالي - قدم جميل، كما أراد الخالق أن تكون الأقدام، ويندر أن تكون. وجدت درجة حرارة الماء مناسبة، فأخذت تسبح على مهل ذهابًا وإيابًا في الحوض. سبحت بسهولة ونعومة حيوان الفقمة، تظهر أحيانًا على السطح، وأحيانًا أدناه، وتتحرك عضلاتها الملساء بهدوء تحت بشرتها الواضحة - أغنية صامتة للصحة والسعادة والنعمة. خرجت الآن، وسلمت نفسها إلى أيدي الأَمَة، التي دهنت جسم سيدتها بمادة نصف سائلة وحلوة الرائحة أخذتها من جرة ذهبية، إلى أن أصبحت بشرتها المتوردة مغطاة بالرغوة. انتهى حمامها بعد غطس سريع في الحوض، والتجفيف بمناشف ناعمة. كان حمامها الأنيق البسيط نموذجًا لحياة الأميرة - لا يضم حاشية من الجواري بلا فائدة، ولا أبهة، ولا إضاعة بلا طائل للحظات ثمينة. وانتهت، بعد نصف ساعة أخرى، من تجفيف شعرها وتصفيفه بطريقة غريبة لكنها أصبحت مميزة لها. وارتدت أغطيها الجلدية المغطاة بالذهب والجواهر، وأصبحت على استعداد لمقابلة الضيوف المدعوين إلى مأدبة منتصف النهار في قصر أمير الحرب.

عندما غادرت جناحها متجهة إلى الحدائق حيث يجتمع الضيوف، سار خلفها محاربان يحمل عتادهما شارات بيت أمير هيليوم، إنه تذكير قاتم بأن برسوم لن تتجاهل أبدًا نصل أي قاتل، وهو تدبير يوازن فترة الحياة البشرية الطبيعية الطويلة التي لا تقل عن ألف عام.

ومع وصولهم إلى مدخل الحديقة، اقتربت منهم امرأة أخرى، تحت حراسة مماثلة، قادمة من جناح آخر في القصر الكبير. التفتت نحوها تارا بابتسامة وتحية سعيدة، بينما ركع حراسها ورؤوسهم محنية في إجلال إرادي وطوعي لأميرة هيليوم المحبوبة. إنهم هكذا دائمًا، يتقدم محاربو هيليوم بمشاعرهم القلبية وحدها لتحية ديجاه ثوريس، الذي أدخلهم جمالها الأبدي أكثر من مرة في حرب دموية مع الأمم الأخرى في برسوم. كان حب شعب هيليوم عظيمًا لزوجة جون كارتر، بلغ عمليًا حد العبادة، كأنما كانت في الواقع الإلهة التي تبدو عليها.

تبادلت الأم وابنتها القبلات وكلمة الترحيب البرسومية اللطيفة «كاور»، ودخلا معًا إلى الحدائق حيث يوجد الضيوف. سحب محارب ضخم سيفه القصير وضرب بسطحه المستوي درعه المعدني، فارتفع رنين الصوت النحاسي أعلى من أصوات الضحك والكلام.

صاح: «الأميرة قادمة! ديجاه ثوريس! الأميرة قادمة! تارا الهيليومية!». هكذا دائمًا الإعلان عن وصول الأسرة الملكية. نهض الضيوف، وأحنت المرأتان رأسيهما، وتراجع الحراس على جانبي المدخل، وتقدم عدد من النبلاء لتقديم احترامهم، ثم استؤنف الضحك والحديث، وأخذت ديجاه ثوريس وابنتها تتنقلان ببساطة وبشكل

طبيعي بين الضيوف. لم يظهر أي اختلاف في الرُّتب بين الحاضرين، رغم وجود أكثر من جيداك، والعديد من المحاربين العاديين الذين تتمثل رتبتهم الوحيدة في شجاعة أفعالهم أو وطنيتهم النبيلة. هكذا، يكون الحُكم على الرجال في المريخ: بناء على جدارتهم وليس على أجدادهم، حتى وإن كان الفخر بالنَّسب كبيرًا.

أتاحت تارا لنظراتها أن تتجول ببطء بين حشد الضيوف، إلى أن توقفت عند الشخص الذي كانت تنشده. هل كان ظِل التقطيب الباهت الذي ظهر على حاجبيها مؤشرًا على عدم رضاها عن المشهد الذي رأته عيناها، أم أن أشعة شمس منتصف النهار الرائعة هي التي أثارت ضيقها؟ لا أحد يعرف! لقد شبّت على الاعتقاد بأنها في يوم ما ستتزوج من دجور كانتوس، ابن أفضل صديق لوالدها. كانت هذه أعز رغبة عند كانتوس كان وأمير الحرب، وتقبلتها تارا كأمر واقع. ويبدو أن دجور كانتوس تقبل الأمر بنفس الطريقة. لقد تحدثا عن الأمر عَرَضًا كشيء طبيعي سيحدث يومًا ما في المستقبل، مثل: ترقيته في البحرية، حيث أصبح الآن برتبة بادوار(٩)، أو المهام المحددة لبلاط جدها تاردوس مورس، جيداك هيليوم، أو الموت. لم يتحدثا أبدًا عن الحب، وهذا ما أثار حيرة تارا في المناسبات القليلة التي فكرت خلالها في الأمر؛ فهي تعرف أنَّ من سيتزوجون ينشغلون كثيرًا في العادة بمسألة الحب، وكان لديها كل الفضول كامرأة لأن تتساءل ما الحب. كانت مولعة بدجور

---

(٩) بادوار: رتبة مريخية تُعادل رتبة مُلازم - http://barsoom.wikia.com/wiki/Padwar - المترجمة.

كانتوس، وتعرف انه مولع بها. كانا يحبان أن يكونا معًا، فهما يحبان نفس الأشياء، ونفس الأشخاص، ونفس الكتب، وكان رقصهما مرحًا، ليس فقط بالنسبة لهما، وإنما أيضًا لكل من يشاهدهما. لم تكن تتخيل أنها ترغب في الزواج من أي شخص آخر غير دجور كانتوس.

لذا ربما كانت الشمس فقط هي سبب تقطيب حاجبيها قليلًا في نفس لحظة اكتشافها أن دجور كانتوس يجلس في محادثة جادة مع أولفيا مارثيس، ابنة جِد[١٠] هاستور[١١]. كان من واجب دجور كانتوس أن يقدم احترامه على الفور إلى ديجاه ثوريس وتارا، لكنه لم يفعل، واكفهرت الآن بالفعل ابنة أمير الحرب. تطلعت طويلًا نحو أولفيا مارثيس، وعلى الرغم من أنها رأتها عدة مرات من قبل وتعرفها جيدًا، فقد نظرت إليها اليوم بأعين جديدة ترى، للمرة الأولى على ما يبدو، أن فتاة هاستور تتمتع بجمال ملحوظ حتى بين نساء هيليوم الجميلات الأخريات. انزعجت تارا الهيليومية، وحاولت تحليل عواطفها، لكنها وجدت صعوبة. كانت أولفيا مارثيس صديقتها، وتحبها كثيرًا، ولم تشعر بأي غضب نحوها. هل كانت غاضبة من دجور كانتوس؟ كلَّا، قررت أخيرًا أنها ليست غاضبة منه، بل هي مجرد المفاجأة... مفاجأة أن يهتم دجور كانتوس بشخص آخر غيرها. وكانت على وشك عبور الحديقة والانضمام إليهما، عندما سمعت صوت والدها خلفها مباشرة.

---

(١٠) جِد: الجد هو لقب قائد مدينة أو جماعة - http://barsoom.wikia.com/wiki/Jed - المترجمة.

(١١) هاستور: إحدى المدن الصغيرة في مملكة هيليوم - https://barsoom.fandom.com/wiki/Hastor - المترجمة.

ناداها: «تارا الهيليومية!»، استدارت ورأته يقترب ومعه محارب غريب، يضم عتاده وأسلحته زخارف غير مألوفة لها. كانت أغطية الغريب ملحوظة لروعتها البربرية، حتى بين الأغطية الرائعة لرجال هيليوم وزوار الإمبراطوريات البعيدة. وكان جلد عتاده مختفيًا تمامًا تحت الحلي البلاتينية المرصعة بغزارة بالألماس الرائع، مثلما كانت أيضًا أغماد سيوفه والحافظة المزخرفة التي ضمت مسدسه المريخي الطويل. وخلال تحركه بجانب أمير الحرب عبر الحديقة المضاءة بنور الشمس، انتقلت الأشعة المتألقة من ذلك العدد اللانهائي من الجواهر التي تحيط به كهالة من الضوء إلى هيئته النبيلة التي تنم على الاستقامة.

قال جون كارتر، بعد تقاليد التعريف البرسومية البسيطة: «تارا الهيليومية، هذا هو جاهان، جِد جاثول»[١٢].

ردت تارا: «كاور! جاهان، جِد جاثول».

قال الزعيم الشاب: «سيفي تحت قدميك، تارا الهيليومية».

تركهما أمير الحرب. جلسا على المقعد الطويل تحت شجرة سورابوس[١٣] ممتدة.

قالت الفتاة وهي مستغرقة في التفكير: «جاثول البعيدة. إنها ترتبط في ذهني دومًا بالغموض والرومانسية – تقاليد القدماء شبه المنسية. لا

---

(١٢) جاثول: من أقدم مدن المريخ وتضم مريخيين حُمر، ولا تتبع أي مملكة – https://barsoom.fandom.com/wiki/Gathol – المترجمة

(١٣) سورابوس: نوع من الشجر معروف في برسوم بثماره النضرة المحفوظة داخل ما يشبه قشرة الجوز – http://barsoom.wikia.com/wiki/Sorapus – المترجمة.

يمكنني أن أتصور جاثول الآن، ربما لأنني لم يسبق أن رأيت أي جاثولي من قبل».

أضاف جاهان: «وربما أيضًا بسبب المسافة الكبيرة الذي تفصل بين هيليوم وجاثول، فضلًا عن عدم الأهمية النسبية لمدينتي الصغيرة الحرة، التي قد تضيع بسهولة في أحد أركان هيليوم الجبارة». ثم واصل ضاحكًا: «لكن ما ينقصنا من قوة، نعوضه بالفخر. نحن نعتقد أن مدينتنا هي أقدم مدينة مأهولة بالسكان في برسوم. إنها واحدة من المدن القليلة التي احتفظت بحريتها، هذا على الرغم من أن مناجم الألماس القديمة بها تُعتبر أغنى المناجم المعروفة حتى الآن، وخلافًا لجميع المناجم الأخرى عمليًا، يبدو اليوم أنها لا تنضب أبدًا».

حثته الفتاة: «حدثني عن جاثول. مجرد التفكير يثير اهتمامي»، ولم يكن من المرجح أن ينتقص وجه الشاب الوسيم شيئًا من سحر جاثول البعيدة.

بدا جاهان سعيدًا بمواصلة احتكار صحبة رفيقته الجميلة. بدت عيناه مقيدتين بملامحها الفاتنة، ولم تنتقلا أبعد من ثدييها المستديرين، حيث اختبأ جزء منهما تحت غطائها المرصع بالجواهر، أو كتفها العاري، أو كمال ذراعيها المتماثلين اللذين يتألقان بأساور ذات بهاء بربري.

أجابها: «لا شك أن تاريخكم القديم أخبركم أن جاثول بُنيت

على جزيرة في ثروكسيوس(١٤)، أقوى المحيطات الخمسة في برسوم القديمة. ومع انحسار المحيط زحفت جاثول على جانبي الجبل الذي كانت قمته هي الجزيرة التي بُنيت فوقها، وهي لا تزال تغطي المنحدرات حتى اليوم، من القمة إلى القاعدة، بينما يتخذ باطن التل الكبير شكلًا سداسي المقطع كأقراص شمع العسل يضم أروقة المناجم. ويحيط بنا بالكامل مستنقع مالح هائل، يحمينا من أي غزو بري، بينما طبيعة تضاريس جبلنا الوعرة والعمودية تجعل هبوط أي سفن فضائية عدائية مهمة محفوفة بالمخاطر».

سألته الفتاة: «وماذا عن محاربيكم الشجعان؟».

ابتسم جاهان، وقال: «نحن لا نتحدث عن ذلك إلا للأعداء، وعندئذ نتحدث بألسنة من السلاح وليس من اللحم».

«ولكن، كيف يمارس شعب، تحميه الطبيعة من الهجوم، فن الحرب؟»، سألت تارا التي أعجبتها إجابة الجد الشاب عن سؤالها السابق، وإن استمر في ذهنها تصور ملتبس حول احتمالات ميول أنثوية الطابع لدى رفيقها، نتجت دون شك من روعة زخارف أغطيته وأسلحته التي تبدو كعرض رائع وليست لاستخدامات شرسة.

قال موضحًا: «على الرغم من أن الحواجز الطبيعية لدينا أنقذتنا دون شك من الهزيمة في عدد لا يُحصى من الحالات، فهي لم تجعلنا بأي شكل مُحصنين من الهجمات، ذلك أن ثروة جاثول من الألماس هائلة،

---

(١٤) ثروكسيوس: أكبر المحيطات الخمسة التي كانت موجودة في برسوم. كل ما تبقى منه هو مستنقع الملح العظيم - https://barsoom.fandom.com/wiki/Throxus - المترجمة.

بحيث لا يزال هناك من يخاطر -وهو موقن تقريبًا من الهزيمة- ويبذل الجهد لنهب مدينتنا التي لا تُقهر، ولذلك، نمارس أحيانًا تدريبات على استخدام الأسلحة. لكن جاثول أكثر من مجرد مدينة جبلية، فهي تمتد من بولودونا (خط الاستواء) شمالًا بمقدار ١٠ كاراد[١٥]، ومن الكاراد العاشر غرب مدينة هورز[١٦] إلى العشرين غربًا، بما يشمل مليون هاد[١٧] مربع، والجزء الأكبر أراض رعوية جيدة، حيث تعيش قطعان كبيرة من حيوانات الثوات[١٨] والزيتيدار»[١٩].

«ونظرًا لأن الاعداء المفترسين يحيطون بنا، فإما يكون الرعاة لدينا من المحاربين أو لا نمارس الرعي، وتأكدي أنهم سيواجهون الكثير من القتال. كما أننا نحتاج باستمرار إلى عمال في المناجم. يعتبر أبناء جاثول

---

(١٥) الكاراد: هو وحدة خط العرض المريخية، ويعادل درجة واحدة - http://barsoom.wikia.com/wiki/Special:Search?query=karad - المترجمة.

(١٦) هورز: مدينة مريخية تُعتبر مهجورة، لكنها كانت يومًا ما منارة الثقافة والتعليم على المريخ - http://barsoom.wikia.com/wiki/Horz - المترجمة.

(١٧) الهاد: هو الميل في برسوم - http://barsoom.wikia.com/wiki/Linear_Measurement - المترجمة.

(١٨) الثوات: حيوان مريخي يبلغ ارتفاعه عشرة أقدام، ولديه أربعة أرجل على كل جانب، وذيله عريض مُسطح وحجمه عند الطرف أكبر منه عند المنبت، ويمتد مباشرة خلفه عندما يجري، وفمه مفتوح يقسم رأسه من أنفه إلى عنقه الطويل الضخم. وهو خال تمامًا من الشعر، ولون بشرته هو الرمادي الذي تشوبه الزُّرقة. أما بطنه فلونه أبيض، ويتدرج لون سيقانه بظلال من لون الكتفين فالوركين وصولًا إلى اللون الأصفر الزاهي عند أقدامه. والأقدام نفسها شديدة الامتلاء وبلا أظافر، مما يسهم أيضًا في تحركه دون ضوضاء، وهو الأمر الذي يُشكل، إضافة إلى تعدد سيقانه، سمة مميزة لحيوانات المريخ - http://barsoom.wikia.com/wiki/Thoat - المترجمة.

(١٩) الزيتيدار: حيوان مريخي يشبه الفيل، ويُعتبر من حيوانات الجر الثقيلة حيث يُستخدمه المريخيون غالبًا في حمل الأحمال الكبيرة لمسافات شاسعة وجر المركبات الضخمة - http://barsoom.wikia.com/wiki/Zitidar - المترجمة.

أنفسهم عِرقًا محاربًا، ولذلك يفضلون عدم العمل في المناجم. بيد أن القانون ينص على أن يعطي كل جاثولي ذَكَر ساعة في اليوم للعمل لدى الحكومة. وهذه عمليًا هي الضريبة الوحيدة المفروضة عليهم. على أنهم يفضلون إرسال بديل للقيام بهذا العمل، ونظرًا لأن شعبنا لا يود العمل في المناجم، فقد أصبح من الضروري اقتناء عبيد. ولست بحاجة لأقول لكِ إننا لم نفُز بالعبيد دون قتال. نحن نبيع هؤلاء العبيد في السوق العام، ويجري اقتسام المبلغ مناصفة: النصف للحكومة والنصف الآخر للمحاربين الذين جلبوهم. ويحظى المشترون بكمية العمل التي يؤديها العبيد. وفي نهاية السنة، يكون العبد الجيد قد أدى ضريبة العمل لسيده لمدة ست سنوات. وإذا كان عدد العبيد كبيرًا، يحق لسيدهم تحرير من يراه ويسمح له بالعودة إلى شعبه».

سألته تارا، وهي تشير إلى زخارف أغطيته الرائعة بابتسامة ساحرة: «هل تحاربون وأنتم ترتدون زخارف من البلاتين والألماس؟».

ضحك جاهان قائلًا: «نحن شعب مزهو بنفسه»، ثم واصل بحسن نية: «وربما نضفي قيمة كبيرة على المظهر الشخصي. نحن ننافس بعضنا بعضًا في روعة ما لدينا من ملابس أو تجهيزات إضافية، عندما نتقيد بواجبات خفيفة في الحياة، على الرغم من أن جلودنا في ميدان الحرب هي أبسط ما رأيت من جلود يرتديها المحاربون في برسوم. كما أننا نفتخر أيضًا بجمالنا البدني، لا سيما جمال نسائنا. وهل أجرؤ على القول، تارا الهيليومية، إنني آمل أن يأتي يوم تزورين فيه جاثول، ليرى شعبي امرأة جميلة حقًّا؟».

ردت الفتاة: «تتعلم نساء هيليوم إبداء الاستياء أمام الكلام المعسول»، لكن جاهان، جِد جاثول، لاحظ أنها ابتسمت وهي تقول ذلك.

ارتفع صوت البوق واضحًا وجميلًا أعلى من الضحك والحديث. صاح المحارب الشاب: «رقصة برسوم! إنني أطلبك للرقص، تارا الهيليومية».

نظرت الفتاة في اتجاه المقعد الطويل، حيث كانت قد شاهدت دجور كانتوس جالسًا. لكنه لم يكن هناك. هزت رأسها موافقة على طلب الجاثولي. كان العبيد يمرون بين الضيوف، يوزعون آلات موسيقية صغيرة ذات وتر واحد، وتوجد فوق كل آلة موسيقية عدة حروف تشير إلى النغمة وطولها. كانت تلك الآلات مصنوعة من خشب شجرة السكيل[٢٠]، والوتر من أحشاء الحيوانات، وتتخذ شكلًا يناسب ساعد الراقصة الأيسر الذي تكون مربوطة به. وهناك أيضًا حلقة من أحشاء الحيوانات، ترتديها الراقصة بين المفصلين الأول والثاني من سبابة يدها اليمنى، بحيث تُحدِث عند مرورها عبر وتر الآلة الموسيقية نغمة واحدة تريدها الراقصة.

نهض الضيوف، وأخذوا يتوجهون ببطء نحو المرجة القرمزية الواسعة في الطرف الجنوبي للحدائق حيث مكان الرقص، عندما كان دجور كانتوس يسرع نحو تارا الهيليومية. قال وهو يقترب منها: «أطلب

---

(٢٠) شجرة سكيل: شجرة من خشب مريخي صلب يُستخدم في بناء كل شيء من السكن إلى الأثاث. وتنتج أيضًا شجرة سكيل جوز جيد المذاق - http://barsoom.wikia.com/wiki/Skeel - المترجمة.

منك ...»، لكنها قاطعته بإيماءة.

صاحت في غضب مصطنع: «لقد تأخرت، دجور كانتوس. لا يجوز لمتقاعس أن يطلب من تارا الهيليومية، عليك أن تسرع الآن حتى لا تفقد أيضًا أولفيا مارثيس، التي لم أرَها أبدًا تنتظر فترة طويلة ليطلبها أحد لهذه الرقصة أو غيرها».

اعترف دجور كانتوس في أسى: «لقد فقدتها بالفعل».

أجابته الفتاة وهي لا تزال تتصنع الاستياء: «هل تعني أنك لم تأت إلى تارا الهيليومية إلا بعد أن فقدت أولفيا مارثيس؟».

قال الشاب بإصرار: «أوه، تارا الهيليومية، أنت تعرفين أفضل من ذلك. أليس من الطبيعي أن أفترض أنك تتوقعين مجيئي، فمَن وحده الذي طلبك لرقصة برسوم ما لا يقل عن اثنتي عشرة مرة من قبل؟».

سألته: «وأجلس ألهو بإبهامي إلى أن تجد الوقت مناسبًا لتأتي لي؟ آه، كلا، دجور كانتوس، تارا الهيليومية ليست لمتقاعس»، ثم ابتسمت له وتحركت مع جاهان، جِد جاثول، نحو حلبة الرقص حيث يتجمع الراقصون والراقصات.

تشبه «رقصة برسوم» الرقص الرسمي في المريخ -مثل رقصة «المسيرة الكبرى» التي نفتتح بها حفلاتنا الراقصة على كوكب الأرض- لكنها أكثر تعقيدًا وجمالًا بما لا يُقاس. ففي المريخ، قبل أن يحضر أي شاب/ شابة مأدبة اجتماعية مهمة تضم رقصًا، يجب أن يتمتع بالبراعة في ثلاث رقصات على الأقل: رقصة برسوم، ورقصته الوطنية،

ورقصة مدينته. ويقدم الراقصون/ الراقصات في هذه الرقصات الثلاث موسيقاهم، التي لا تتغير أبدًا، كما لا تتغير الخطوات أو الحركات، فهم يتناقلونها منذ زمن سحيق. تتسم جميع الرقصات البرسومية بالفخامة والجمال، لكن «رقصة برسوم» ملحمة مدهشة من الحركة والانسجام، لا تضم أوضاعًا متنافرة، أو أي حركات مبتذلة أو موحية. كانت توصف باعتبارها تفسيرًا للمُثُل العليا للعالم الذي يتوق إلى النعمة والجمال والعفة في المرأة، وإلى القوة والكرامة والولاء في الرجل.

بدأ الرقص اليوم جون كارتر، أمير الحرب في المريخ، مع زوجته ديجاه ثوريس. وإذا كان هناك راقصان آخران ينافسانهما في إعجاب الضيوف الصامت، فهما جِد جاثول المتألق وشريكته الجميلة. وخلال أشكال الرقص دائمة التغير، وجد الرجل يد الفتاة في يده، ثم ذراعه -الذي لم يغطِه بشكل كاف العتاد المرصَّع بالجواهر- حول جسدها الرشيق، أما الفتاة، وعلى الرغم من أنها رقصت ألف مرة سابقًا، فقد أحسَّت للمرة الأولى بالتواصل الشخصي لذراع رجل بجسدها العاري. اضطربت لأنها كان يجب أن تلاحظ ذلك، وتطلعت بتعجب وباستياء تقريبًا نحو الرجل كما لو كان خطأه. التقت عيناهما، وشاهدت في عينيه ما لم تشهد مثله من قبل في أعين دجور كانتوس. توقف الاثنان فجأة مع الموسيقى، في نهاية الرقص، ووقف كل منهما وهو ينظر مباشرة في عين الآخر. وكان جاهان الجاثولي هو من تكلم أولًا.

قال: «تارا الهيليومية، أنا أحبك!».

اعتدلت الفتاة وصاحت بغطرسة» «جِد جاثول نسي نفسه».

أجابها: «جِد جاثول يمكن أن ينسى كل شيء إلا أنتِ، تارا الهيليومية». ضغط بقوة على يدها الناعمة التي لا يزال ممسكًا بها بعد آخر شكل للرقصة، وكرر: «أحبك، تارا الهيليومية. لماذا ترفض أذناكِ سماع ما لم ترفض عيناكِ رؤيته الآن ... وتجيب عليه؟».

صاحت: «ماذا تعني؟ هل رجال جاثول أفظاظ هكذا؟».

أجابها بهدوء: «ليسوا أفظاظًا ولا حمقى، بل يعرفون عندما يقعون في حب امرأة، وعندما تحبهم امرأة».

ضربت تارا على الأرض بقدمها الصغير من الغضب، وهي تقول: «اذهب! قبل أن يصبح من الضروري أن يعرف والدي الإهانة التي وجهها لي ضيفه».

استدارت، وسارت مبتعدة. صاح الرجل: «انتظري! مجرد كلمة أخرى».

سألته: «كلمة اعتذار؟».

أجابها: «مجرد استشراف للمستقبل».

قالت: «لا يهمني أن أسمعها»، وتركته واقفًا هناك. شعرت بتوتر غريب، وبعد فترة وجيزة عادت إلى غرفتها في القصر، حيث وقفت تتطلع طويلًا من النافذة إلى ما وراء المرجة القرمزية في هيليوم الكبرى تجاه الشمال الغربي.

ابتعدت بغضب عن النافذة وهي تصيح بصوت عال: «إنني أكرهه!». استفسرت محظيتها أوثيا: «من هو؟».

ضربت تارا قدمها على الأرض وقالت: «هذا الفظّ، سيئ الخلق، جِد جاثول».

رفعت أوثيا حاجبيها الرفيعين.

عندما ضربت تارا الأرض بقدمها الصغير، نهض وحش كبير من زاوية الغرفة واتجه نحوها، ووقف يتطلع إلى وجهها. وضعت يدها على رأسه القبيح، وقالت: «عزيزي وولا[٢١] العجوز، لا يمكن أن يوجد حُب أعمق من حبك، فهو لا يُسيء لي أبدًا. ليت أولئك الرجال يتخذونك نموذجًا!».



(٢١) وولا: هو اسم الكلب المريخي لدى جون كارتر وعائلته - https://barsoom.fandom.com/wiki/Woola - المترجمة.

الفصل (٢)

تحت رحمه العاصفة

لم تعُد تارا الهيليومية إلى ضيوف والدها، لكنها انتظرت في جناحها كلمة من دجور كانتوس، كانت تعرف أنه يجب أن يأتي ليرجوها العودة إلى الحدائق، وعندئذ سوف ترفض بغطرسة. ولكن لم يصلها أي شيء من دجور كانتوس. شعرت تارا بالغضب بداية، ثم أحست أنها جُرِحت، وكانت في حيرة دائمة. لم تتمكن من الفهم. كانت تفكر أحيانًا في جِد جاثول ثم تضرب الأرض بقدمها؛ إذ كانت في الواقع شديدة الغضب من جاهان. يا لوقاحة الرجل! لقد ألمح أنه قرأ في عينيها حبها له. لم تتعرض من قبل أبدًا لهذه الإهانة والإذلال. لم يسبق أن كرهت رجلًا هكذا. وفجأة التفتت نحو أوثيا.

أمرتها: «أحضري الجلود الخاصة بالطيران!».

صاحت الأَمَة: «لكن، الضيوف! يتوقع والدك، أمير الحرب، أن تعودي».

قاطعتها تارا: «سوف يصاب بخيبة أمل».

ترددت الأَمَة، وحاولت تذكير سيدتها: «لكنه لا يوافق على أن تطيري بمفردك».

نهضت الأميرة الشابة، وأمسكت الأَمَة التعيسة من كتفيها وأخذت تهزها. صاحت: «لقد أصبحتِ لا تُطاقين، أوثيا. قريبًا لن يوجد بديل سوى إرسالك إلى سوق العبيد العام، وربما تجدين سيدًا يُرضيكِ».

اغرورقت أعين الجارية الرقيقة بالدموع، وقالت بدماثة: «هذا لأنني أحبك يا أميرتي». تقدمت تارا بمحبة واحتضنت الأَمَة وقبّلتها.

وقالت: «إن مِزاجي الآن كحيوان الثوات، أوثيا. سامحيني! أنا أحبك، وسوف أفعل من أجلك أي شيء، ولن أفعل أي شيء يضرك. ومرة أخرى، كما قلت مرارًا في السابق، إنني أمنحك حريتك».

أجابت أوثيا: «لا أريد حريتي إذا كانت ستبعدني عنك، تارا الهيليومية. أنا سعيدة هنا معك، وأعتقد أنني قد أموت من دونك».

تبادلت الفتاتان القبلات مرة أخرى. وتساءلت الأَمَة: «إذن لن تطيري بمفردك؟».

ضحكت تارا وقرصت رفيقتها، وقالت: «لا زلتِ مُصرة، يا لكِ من مزعجة صغيرة. بالطبع سوف أطير – ألا تفعل تارا الهيليومية دائمًا ما يحلو لها؟».

هزت أوثيا رأسها في حسرة، وقالت بإقرار: «للأسف! يتمتع أمير الحرب في برسوم بقوة الحديد في مواجهة تأثير الجميع ما عدا أمام اثنتين. فهو في أيدي ديجاه ثوريس وتارا الهيليومية يصبح مرنًا مثل

الطين في أيدي صانعي الخزف».



حلّقت طائرة تارا الهيليومية مسرعة بعيدًا، عبر قيعان البحار الصفراء، خارج مدينتي هيليوم التوأم. قادت الفتاة طائرتها نحو الشمال الغربي، وهي تشعر بالإثارة من سرعة طائرتها الصغيرة وطفوها. لم تتوقف لتعرف سبب اختيارها هذا الاتجاه، ربما لأن أقل المناطق المعروفة في برسوم تقع في هذا الاتجاه، وبالتالي هناك الرومانسية والغموض والمغامرة. كما تقع جاثول أيضًا في هذا الاتجاه، لكنها لم تكن تفكر في هذه الحقيقة بوعي.

على أنها كانت تفكر أحيانًا في جِد هذه المملكة النائية، وبالكاد ما كان رد فعلها تجاه هذه الأفكار يبعث على السرور. فلا تزال هذه الأفكار تثير حُمرة الخجل على خديها، وتبعث بموجه من الدم الغاضب إلى قلبها. كانت غاضبة جدًّا من جِد جاثول. وعلى الرغم من أنها يجب ألَّا تراه مرة أخرى أبدًا، كانت على يقين أن كراهيتها له ستظل ماثلة في ذاكرتها إلى الأبد. ودارت معظم أفكارها حول شخص آخر: دجور كانتوس. عندما تفكر فيه، تفكر أيضًا في أولفيا مارثيس من هاستور. اعتقدت تارا أنها تشعر بالغيرة من أولفيا الشقراء، وأثار هذا الشعور غضبها. شعرت بالغضب من دجور كانتوس ومن نفسها، لكنها لم تكن غاضبة على الإطلاق من أولفيا مارثيس التي أحبتها، وبالتالي لم تكن غيورة حقًّا. تكمن المشكلة في أن تارا فشلت للمرة الأولى في سير الأمور بطريقتها. لم يأت دجور كانتوس كعبد مُلبٍّ لها عندما توقعته،

آه، هنا جوهر الأمر برمته! وشهد جاهان، جِد جاثول، وهو الغريب، إهانتها. فقد رأى في بداية الحفل عدم طلبها للرقص، وكان عليه أن يأتي إليها لنجدتها وإنقاذها، كما تصوَّر دون شك، من مصير زهرة الجدار المغمورة. ومع تواتر هذه الفكرة، شعرت تارا بأن جسمها كله يحترق بخجل قرمزي، ثم تحولت فجأة إلى بيضاء باردة من الغضب، وعندئذ أدارت طائرتها فجأة، إلى حد تمزق جميع الجلود التي ترتديها وسقوطها على سطح الطائرة المستوي الضيق. وصلت إلى المنزل قبل حلول الظلام، وقد غادر الضيوف، وساد الهدوء في القصر. وبعد ساعة انضمت إلى والدها ووالدتها في وجبة العشاء.

قال جون كارتر: «هجرتينا، تارا الهيليومية. ليس هذا ما يتوقعه ضيوف جون كارتر».

أجابت تارا: «إنهم لم يأتوا لرؤيتي. لم أدعُهم».

قال والدها: «إنهم ضيوفك أيضًا».

نهضت الفتاة، ووقفت بجانبه، ولفت ذراعيها حول عنقه.

وصاحت وهي تداعب كتلة شعره الأسود: «يا لك من فيرجيني عجوز أصيل».

قال الرجل وهو يبتسم: «في فيرجينيا، يقلبك والدكِ فوق ركبته ويضربك».

تسللت إلى حضنه وقبّلته، ثم قالت: «أنت لم تعُد تحبني. لا أحد يحبني»، لكنها لم تتمكن من إظهار العبوس على ملامحها لأن ضحكة متدفقة أصرت على اختراق العبوس.

قال: «المشكلة أن عددًا كبيرًا يحبك. والآن هناك شخص آخر».

صاحت: «فعلًا! ماذا تقصد؟».

أجاب: «جاهان الجاثولي قد طلب الإذن ليخطبك».

اعتدلت الفتاة في جلستها، ورفعت ذقنها في الهواء، وقالت: «لن أتزوج من منجم للألماس يسير على قدمين. لن أتزوجه».

أجاب والدها: «قلت له هذا، كما أخبرته أنك مخطوبة لآخر. كان شديد التهذيب حول هذا الموضوع، لكنه جعلني أفهم في الوقت نفسه أنه اعتاد الحصول على ما يريد، وأنه يريدك بشدة. وأعتقد أن ذلك سيعني حربًا أخرى. فقد أبقى جمال والدتك هيليوم في حرب لسنوات عديدة. حسنًا، تارا الهيليومية، لو كنت شابًا، لأشعلت دون شك كل برسوم للفوز بك، كما لا أزال مستعدًّا لأن أفعل ذلك للإبقاء على والدتك الإلهية»، وابتسم وهو ينظر عبر الطاولة المصنوعة من خشب السورابوس وأدوات الطعام الذهبية عليها، نحو توهج جمال أجمل امرأة في المريخ.

قالت ديجاه ثوريس: «لا ينبغي أن تقلق فتاتنا الصغيرة بعد بمثل هذه المسائل. تذكر، جون كارتر، أنك لا تتعامل مع طفلة على كوكب الأرض، ستنقضي أكثر من نصف فترة حياتها قبل أن تصل ابنة برسوم إلى مرحلة النضج الفعلي».

قال بإصرار: «ولكن، ألا تتزوج بنات برسوم أحيانًا في فترة مبكرة من العُمر، عند بلوغهن سن العشرين؟».

أجابته: «نعم، لكنهن يبقين مرغوبات في أعين الرجال بعد أربعين جيلًا من عودة شعب كوكب الأرض إلى التراب. لسنا على عجل، على الأقل في برسوم. نحن لا نذبل ونتحلل هنا، كما أخبرتني أنه يحدث لقوم كوكبك، على الرغم من أنك، وجودك أنت نفسك، يناقض كلماتك. عندما يحين الأوان ستتزوج تارا الهيليومية من دجور كانتوس، وحتى ذلك الحين ما من داع لإعطاء هذه المسألة مزيدًا من التفكير».

قالت الفتاة: «كلا، هذا الموضوع يؤرقني، ولن أتزوج دجور كانتوس أو غيره. أنا لا أنوي الزواج».

نظر إليها والداها وهما يبتسمان، ثم قال والدها: «ربما يخطفك جاهان الجاثولي عندما يعود».

سألته الفتاة: «هل رحل؟».

ورد جون كارتر: «غادرت طائرته الفضائية في الصباح إلى جاثول».

قالت تارا وهي تتنفس الصعداء: «إذن كانت هذه آخر مرة أراه فيها».

أجابها جون كارتر: «لكنه يقول غير ذلك».

هزت الفتاة كتفيها متغاضية عن هذا الموضوع، وتحول الحديث إلى مواضيع أخرى. وصلت رسالة من ثوفيا البتارثية[٢٢] التي كانت تزور بلاط والدها، بينما كارثوريس، زوجها، يصطاد في أوكار. ورد

(٢٢) بتارث: إحدى الممالك المريخية، يعيش فيها المريخيون ذوي البشرة الحمراء - http://barsoom.wikia.com/wiki/Ptarth - المترجمة.

بالرسالة نشوب الحرب ثانية بين الثارك والوارهون[٢٣]، أو بالأحرى أن هناك اشتباكات؛ لأن الحرب كانت حالتهما الاعتيادية. لا تضم ذاكرة الرجال وجود سلام بين هاتين الجماعتين الوحشيتين من قبائل الخُضر، سوى هدنة مؤقتة واحدة، وقد انطلقت سفينتان حربيتان جديدتان من هاستور. كانت عصابة صغيرة من الثيرن المقدسين[٢٤] تحاول إحياء دين إيسوس[٢٥] القديم الذي فقد مصداقيته، وتزعم أن إيسوس لا تزال حية على شكل روح وأنها تواصلت معهم. ووصلت شائعات من دوسار[٢٦] عن الحرب. وزعم أحد العلماء أنه اكتشف وجود حياة بشرية على سطح القمر الأبعد. وحاول رجل مجنون تدمير مصنع الغلاف الجوي. واغتيل سبعة أشخاص في هيليوم الكبرى خلال آخر عشر زودات[٢٧] (ما يعادل اليوم على كوكب الأرض).

---

(٢٣) الوارهون: جماعة من المريخيين الخُضر، تتسم بالوحشية، وتأخذ اسمها من المدينة الميتة التي تُعتبر عاصمتها - https://barsoom.fandom.com/wiki/Warhoon - المترجمة.

(٢٤) الثيرنيون أو الثيرن: هم عِرق مريخي أبيض البشرة وأصلع، يرتدون باروكات شقراء، ويتمتعون بقوى عقلية خارقة - http://barsoom.wikia.com/wiki/Thern المترجمة.

(٢٥) إيسوس: امرأة عجوز من المريخيين ذوي البشرة السوداء، زعمت أنها إلاهة الحياة الأبدية، لكن حقيقتها تكشفت - http://barsoom.wikia.com/wiki/Issus - المترجمة.

(٢٦) دوسار: إحدى الممالك المريخية، يسكنها مريخيون حُمر، وتاريخها يمتلئ بالنزاعات مع المملكتين المجاورتين: هيليوم وبتارث - http://barsoom.wikia.com/wiki/Dusar - المترجمة.

(٢٧) ورد في قصة «آلهة المريخ» أن يوم المريخ يزيد بمقدار ضئيل على ٢٤ ساعة و٣٧ دقيقة (بتوقيت كوكب الأرض). ويقسمه المريخيون إلى عشرة أجزاء متساوية تسمى زود (أي أن دورة المريخ حول محوره تساوي ١٠ زود)، وينقسم الزود إلى خمسين فترة أقصر تسمى زات (أي أن الزود يعادل ٥٠ زات)، يتكون كل منها بدوره من ٢٠٠ فترة زمنية قصيرة تعادل تقريبًا الثانية في كوكب الأرض وتسمى تال (أي ٢٠٠ تال يعادل ١ زات) - المترجمة.

بعد الانتهاء من الطعام، أخذت ديجاه ثوريس تلعب مع أمير الحرب لعبة جيتان، أي الشطرنج المريخي، وهي تُلعب على لوحة من مائة من المربعات السوداء والبرتقالية على التناوب. ويحصل أحد اللاعبين على عشرين قطعة سوداء، ويحصل الآخر على عشرين قطعة برتقالية. وقد يهتم قراء كوكب الأرض الذين يحبون لعبة الشطرنج بالتعرف على وصف مختصر للعبة، وأعتقد أن هذا الوصف لن يضيع وقت من يريدون مواصلة القصة حتى نهايتها؛ ذلك أنهم سيجدون أن التعرُّف على جيتان سيضيف إلى التشويق والإثارة المُخبأة لهم.

يوضع رجال قطع اللعبة على اللوح، كما في لعبة الشطرنج، على الصفين الأول والثاني أمام كل لاعب. وبالترتيب من اليسار إلى اليمين على صف المربعات الأقرب لكل لاعب. وقطع جيتان هي: المحارب، البادوار، الدوار[٢٨]، الطيار، القائد، الأميرة، الطيار، الدوار، البادوار، المحارب. وفي الصف التالي، جميع القطع من البانتان[٢٩] ما عدا القطع الأخيرة التي تُسمَّى الثوات، وتمثل المحاربين الذين يمتطون حيوانات الثوات.

البانتان، الذين يتميزون كمحاربين بوضع ريشة واحدة، ينتقلون مسافة واحدة في أي اتجاه ما عدا إلى الخلف، ويتميز المحاربون الذين يمتطون الثوات بثلاث ريشات، وينتقلون مسافة واحدة مستقيمة وأخرى قُطرية، ويمكنهم القفز على القطع التي تعترضهم، أما المحاربون،

---

(٢٨) دوار: رتبة مريخية تعادل رتبة كابتن (نقيب) - http://barsoom.wikia.com/wiki/Dwar - المترجمة.

(٢٩) بانتان: هو جندي مريخي مرتزق، يتنقل من مكان لآخر ويقاتل لصالح من يرغب في شراء خدماته - http://barsoom.wikia.com/wiki/Panthan - المترجمة.

جنود المشاة الذين يتميزون بريشتين، فيمكنهم الانتقال مسافتين مستقيمتين في أي اتجاه أو قطريًا، وينتقل البادوار، وهو المُلازم ويرتدي ريشتين، مسافتين قطريًا في أي اتجاه، أو تركيب، وينتقل الدوار، وهو النقيب ويرتدي ثلاث ريشات، لثلاث مسافات مستقيمة في أي اتجاه أو تركيب، وينتقل الطيارون، الممثلين بمروحة ذات ثلاث شفرات، لثلاث مسافات في أي اتجاه، أو تركيب، قطريًا، ويمكنهم القفز فوق القطع التي تعترضهم. أما القائد، الذي يتميز بإكليل يضم عشر جواهر، فيمكنه الانتقال ثلاث مسافات في أي اتجاه، بشكل مستقيم أو قطري، والأميرة، التي يميزها إكليل يضم جوهرة واحدة، فمثلها مثل القائد، ويمكنها أن تقفز فوق القطع التي تعترضها.

يفوز أحد اللاعبين بالمباراة عندما يضع أي قطعة من قطعه في نفس مربع أميرة خصمه، أو عندما يقتل قائد القائد الآخر. تصبح النتيجة تعادلًا عندما يُقتل القائد بأي قطعة منافسة غير القائد المنافس، أو عندما يتقلص عدد القطع لدى كل جانب إلى ثلاثة أو أقل من نفس القيمة، ولا تنتهي اللعبة في النقلات العشر التالية، خمس لكل منهما. هذه ليست سوى الخطوط العريضة العامة للمباراة بإيجاز.

كانت ديجاه ثوريس وجون كارتر يلعبان هذه اللعبة عندما تمنت لهما تارا ليلة طيبة، وهي تتوجه إلى جناحها حيث حرير وفراء النوم. «أراكما صباح الغد، يا أحبائي»، هذا ما قالته وهي تخرج من الغرفة، ولم يدُر بخلدها ولا بخلد والديها، ولو قليلًا، أن هذه ربما المرة الأخيرة التي تقع أعينهما عليها.

شقشق الصباح غائمًا ورماديًا. ظهرت غيوم مضطربة ومنخفضة، وتنذر بالسوء، وأسفلها شظايا ممزقة تنطلق نحو الشمال الغربي. تطلعت تارا من نافذة مسكنها نحو هذا المشهد غير المعتاد؛ إذ نادرًا ما كانت السحب الملبدة بالغيوم تغطي سماء برسوم. كان من عادتها، في هذه الساعة من النهار، أن تمتطي أحد حيوانات الثوات الصغيرة ذات السرج، المشهورة لدى المريخيين الحُمر، لكن مشهد الغيوم الكثيفة أغراها بمغامرة جديدة. كانت أوثيا لا تزال نائمة، ولم تزعجها الفتاة، بل أسرعت بارتداء ملابسها بهدوء، وذهبت إلى الحظيرة التي تقع على سطح القصر، فوق مسكنها مباشرة، حيث توجد طائرتها الفضائية السريعة. لم تقد الطائرة أبدًا خلال الغيوم. لكنها المغامرة التي كانت تتوق دائمًا إلى القيام بها. كانت الرياح قوية، وتمكنت بصعوبة من توجيه الطائرة خارج الحظيرة دون حوادث، وعندئذ حلقت بسرعة فوق المدينتين التوأم. تقاذفتها الرياح بقوة، والفتاة تضحك بصوت عالٍ في مرح من التشويق والإثارة. كانت تقود السفينة الصغيرة كأي محارب مخضرم، على الرغم من أن قِلة من المحاربين القدامى هم من يمكنهم مواجهة خطر هذه العاصفة في مثل هذه السفينة الصغيرة الخفيفة. ارتفعت بسرعة نحو الغيوم، وهي تسابق شرائط الشظايا التي تنطلق سريعًا نتيجة للعاصفة، وبعد لحظة ابتلعتها تلك الكتل الكثيفة المتلاطمة أعلاها. هنا عالم جديد، عالم من الفوضى لا يضم بشرًا سواها، لكنه عالم بارد ورطب ومنعزل، ثم وجدته مثيرًا للإحباط بعد أن تبدد شعورها بأنه عالم جديد، واجتاحها شعورًا ساحقًا بمدى حجم

القُوى التي تُحيط بها. شعرت فجأة أنها شديدة الوحدة والبرودة، وصغيرة جدًّا، ولذا أسرعت بالارتفاع إلى أن تسللت بطائرتها إلى موضع تضيئه أشعة الشمس المجيدة، التي حولت سطح السفينة العلوي المعتم إلى كتل ملفوفة من الفضة المصقولة. لا تزال هناك برودة، ولكن دون رطوبة الغيوم، وارتفعت روحها، في عين الشمس الرائعة، مع تصاعد مؤشر مقياس الارتفاع. أخذت الفتاة تحدق في الغيوم، التي أصبحت بعيدة أسفلها، وأحست بأنها معلقة بثبات في منتصف السماء، لكن طنين مروحة الطائرة، والريح التي تضرب فيها، فضلًا عن الأرقام العالية التي ارتفعت وانخفضت تحت زجاج عداد السرعة، قد أخبرها أن سرعتها ممتازة، وعندئذ قررت العودة.

قامت بأول محاولة فوق السُّحب، لكنها لم تنجح. واندهشت عندما اكتشفت عدم قدرتها حتى على الاستدارة ضد الرياح العالية، التي تصطدم بالسفينة الضعيفة وتهزها. هبطت سريعًا نحو المنطقة المظلمة التي تجتاحها الرياح، بين السُّحب المتدفعة والسطح القاتم للأرض المظللة. وهنا حاولت مرة أخرى إجبار مقدمة السفينة إلى الدوران للخلف في اتجاه هيليوم، لكن العاصفة تمكنت من السفينة الضعيفة ودفعتها بلا رحمة، بحيث لفت عدة مرات، وتقاذفتها كقطعة فلين في شلال. وأخيرًا نجحت الفتاة في تصحيح وضع الطائرة الفضائية على نحو محفوف بالمخاطر. لم يسبق لها أن اقتربت هكذا من الموت، لكنها لم تشعر بالرعب. لقد أنقذتها رباطة جأشها، فضلًا عن قوة الجلود التي كانت تربطها بسطح السفينة. كانت حركتها مع العاصفة

آمنة، ولكن إلى أين تأخذها؟ وتصورت قلق والدها ووالدتها عندما لا تظهر في وجبة الصباح.. لن يجدوا طائرتها، وسيعتقدون أنها سقطت في مكان ما في مسار العاصفة ككتلة محطمة ومتشابكة فوق جسدها الميت، ثم يخرج الرجال الشجعان بحثًا عنها، ويخاطرون بحياتهم، وقد تضيع حياتهم خلال البحث. كانت تعرف ذلك، فمثل هذه العاصفة لم تهب أبدًا خلال حياتها على برسوم.

يجب أن تعود! ويجب أن تصل إلى هيليوم قبل أن يؤدي شغفها المجنون بالإثارة إلى التضحية بحياة شُجاعة واحدة! ارتأت أن أكبر قدر من السلامة واحتمال النجاح يقع فوق السُّحب، ولذا ارتفعت ثانية، ومرة أخرى خلال البخار قارس البرودة الذي تتقاذفه الرياح. ومرة أخرى كانت سرعتها هائلة؛ إذ يبدو أن الرياح لم تقلّ، بل زادت. سعت تدريجيًّا إلى التحقق من سرعة طيران سفينتها. وعلى الرغم من أنها نجحت أخيرًا في عكس اتجاه الموتور، فقد حملتها الرياح معها في اتجاهها. وعندئذ فقدت تارا الهيليومية أعصابها. ألم يكن عالمها ينحني دومًا إذعانًا لكل رغبة لديها؟ ما هذه الرياح التي تجرأت على التصدي لها؟ يجب أن تثبت لها أن ابنة أمير الحرب لا يمكن معارضتها! سوف تعرف الريح أن تارا الهيليومية لا يمكن أن يحكمها أحد، حتى قوى الطبيعة!

وبالتالي دفعت المحرك إلى الأمام مرة أخرى، ثم قامت بكل قوتها، وهي تجزّ على أسنانها البيضاء في عزيمة شرسة، بدفع ذراع التوجيه لأسفل نحو المرفأ بقصد إرغام مقدمة سفينتها على الانطلاق مباشرة

في مواجهة الرياح، لكن الرياح تمكنت من السفينة الضعيفة، وقلبتها على ظهرها، وأخذت تدفعها وتقلبها وتتقاذفها مرارًا وتكرارًا، أسرعت المروحة للحظة إلى جيب هوائي، ثم تمكنت منها العاصفة ثانية وقلبتها حول محورها، تاركة الفتاة عاجزة تمامًا عن السيطرة على تلك الآلة الصغيرة التي ترتفع وتنخفض، وتتلوى وتتداعى.. إنها رياضة عناصر الطبيعة التي حاولت أن تتحداها. كانت المفاجأة هي أول إحساس انتاب تارا الهيليومية، أنها أخفقت في تحقيق ما أرادته، ثم بدأت تشعر بالقلق، ليس على سلامتها، وإنما على قلق والديها، والمخاطر الحتمية التي سيواجهها الباحثون عنها. ولامت نفسها على أنانيتها الطائشة التي تُعرض سلامتها وسلامة الآخرين للخطر. كما أدركت أيضًا الخطر الجسيم المحيط بها، لكنها لا تزال غير مرعوبة، كما يليق بابنة ديجاه ثوريس وجون كارتر. كانت تعرف أن خزانات الطفو قد تبقيها طافية إلى أجل غير مسمى، لكنها بلا طعام أو ماء، والرياح تحملها تجاه منطقة من المناطق غير المعروفة في برسوم. ربما من الأفضل أن تهبط على الأرض فورًا وتنتظر قدوم الباحثين عنها، بدلًا من أن تترك نفسها هكذا لتحملها الرياح إلى مناطق أكثر بُعدًا عن هيليوم، مما يقلل إلى حد كبير من فرص اكتشاف موقعها مبكرًا. على أنها عندما انخفضت في اتجاه الأرض، اكتشفت أن عنف الرياح يجعل محاولة الهبوط بمثابة دمار، فارتفعت ثانية بسرعة.

عندما أصبحت على بُعد بضع مئات من الأقدام فوق سطح الأرض، تمكنت من تقدير حجم العاصفة العملاق على نحو أفضل مما تصورته

عندما كانت تحلق في المنطقة الهادئة نسبيًا فوق السُّحُب، وتمكنت الآن من تمييز أثر الرياح على سطح برسوم. كان الهواء مليئًا بالغبار وتتطاير خلاله بعض أجزاء النباتات. وعندما حملتها العاصفة عبر مساحة مروية من الأراضي الزراعية، شاهدت أشجارًا ضخمة وجدرانًا حجرية ومبان ترتفع عاليًا في الهواء وتتبعثر في جميع أنحاء البلد المُدَمَّر، وسرعان ما حملتها الرياح إلى معالم أخرى فرضت على وعيها اقتناعًا تنامى سريعًا أنها قبل أي شيء شخص ضئيل جدًا وتافه وعاجز. كان استمرار الوضع بمثابة صدمة لاعتزازها بنفسها. ومع اقتراب المساء، كانت على استعداد للاعتقاد بأن هذا الوضع سوف يدوم إلى الأبد. لم تقِلّ ضراوة العاصفة، ولا توجد أي إشارة على أنها ستقِلّ. لم يكن بمقدورها إلا أن تخمن المسافة التي قطعتها، لأنها لم تصدق في صحة الأرقام العالية التي تراكمت على سجل عداد المسافات. كان يصعب تصديق هذه الأرقام، لكنها تعرف أنها صحيحة، فقد طارت وحملتها الرياح، خلال اثنتي عشرة ساعة، لمسافة ٧٠٠٠ هاد كاملة. وحملتها الرياح، قبل حلول الظلام مباشرة، فوق إحدى مدن المريخ القديم المهجورة، مدينة توركواس(٣٠)، لكنها لم تعرف ذلك. ولو عرفت، لكانت تخلت ببساطة عن أي أمل باق؛ ذلك أن توركواس بالنسبة لشعب هيليوم تبدو بعيدة جدًا، بمثل بُعد جزر البحر الجنوبي بالنسبة لنا. ولا تزال العاصفة، التي لا يخفّ غضبها، تحملها.

---

(٣٠) توركواس: كانت قديمًا إحدى المدن القوية على المريخ، وأصبحت الآن مجرد إحدى المدن الميتة - http://barsoom.wikia.com/wiki/Torquas - المترجمة.

ظلت طوال تلك الليلة تندفع عبر الظلام أسفل السُّحُب، أو ترتفع مسرعة خلال الفراغ الذي يضيئه بتألق ضوء قمري برسوم. أحسَّت بالبرد والجوع وكانت بائسة تمامًا، لكن روحها الصغيرة الشجاعة أبت الاعتراف بأن محنتها ميؤوس منها، على الرغم من أن عقلها كان يعلن عن هذه الحقيقة. وكان ردها على عقلها، الذي قالته أحيانًا بصوت عال في تحد مفاجئ، يستدعي إلى الذاكرة العِناد الإسبرطي لوالدها في مواجهة الإبادة: «لا زلت أعيش!».

شهد صباح ذلك اليوم زائرًا حضر مبكرًا إلى قصر أمير الحرب. كان جاهان، جِد جاثول، وقد وصل بعد وقت قصير من ملاحظة غياب تارا الهيليومية. وفي ظل جو الانفعال، لم يعلن أحد عن وصوله إلى أن صادفه جون كارتر في ممر الاستقبال الكبير بالقصر، حيث كان أمير الحرب خارجًا على عجل لاتخاذ الترتيبات اللازمة لإرسال السفن بحثًا عن ابنته.

قرأ جاهان القلق على وجه أمير الحرب، وقال: «سامحني إن تدخلت، جون كارتر. لقد جئت أطلب أن أبقى هنا ليوم آخر، فمن التهور محاولة الطيران بسفينة فضائية في مثل هذه العاصفة».

أجابه أمير الحرب: «يمكنك أن تبقى ضيفًا مُرحبًا به جاهان، إلى أن تختار المغادرة، لكنك يجب أن تغفر أي إهمال قد يظهر من جانب هيليوم إلى أن نستعيد ابنتي».

صاح جاهان: «ابنتك! تستعيدها! ماذا تقصد؟ أنا لا أفهم».

رد أمير الحرب: «لقد ذهبت، هي وطائرتها الخفيفة. هذا كل ما

نعرفه. لا يمكننا سوى الافتراض أنها قررت أن تطير قبل وجبة الصباح، ووقعت في براثن العاصفة. عذرًا جاهان، أنا مضطر لأن أتركك؛ إذ أتولى ترتيب إرسال السفن بحثًا عنها»، لكن جاهان، جد جاثول، كان يسرع بالفعل في اتجاه بوابة القصر، وهناك قفز فوق حيوان الثوات المُنتظر، وتبعه اثنين من المحاربين يرتديان معادن جاثول، وانطلق عبر طرقات هيليوم إلى القصر المخصص لاستضافته.



الفصل (٣)

بشر بلا رؤوس

وقفت السفينة الحربية «فاناتور» مثبتة في مرساتها القوية فوق سطح القصر المخصص لجد جاثول وحاشيته. وكان أنين ماكيناتها يشير إلى غضب العاصفة المجنون، بينما يؤكد قلق وجوه أفراد الطاقم خطورة الوضع، حيث تتطلب واجباتهم وجودهم على السفينة الحربية. حالت الشرائط الجلدية السميكة دون انجراف هؤلاء الرجال من فوق سطح السفينة، بينما اضطر الرجال على السطح الأدنى إلى التشبث بالقضبان والأعمدة لإنقاذ أنفسهم من الانجراف مع كل موجة غضب نيزكي جديدة. حملت مقدمة السفينة «فاناتور» رسمًا لشعار جاثول، بينما لم تظهر أي أعلام أو رايات في الأجزاء العليا من السفينة؛ لأن العاصفة كانت تدفعها في تعاقب سريع، كما بدا للرجال المشاهدين أنها تدفع السفينة نفسها بعيدًا. لم يكن في تصورهم أن أي ماكينة يمكن أن تصمد لفترة طويلة أمام هذه القوة الجبارة. تشبث كل محارب مفتول العضلات، وهو ممسك بسيفه القصير، بإحدى الجلود الاثني عشر.

وإذا أفلتت مرساة واحدة نتيجة لقوة العاصفة، لقطعت السيوف الإحدى عشر باقي جلود المراسي الأخرى؛ ذلك أن تثبيت السفينة جزئيًا يحكم عليها بالفشل، بينما وجودها طليقة في العاصفة ربما يمنحها على الأقل فرصة ضئيلة للحياة.

صرخ محارب لمحارب آخر: «باسم دم إيسوس، أعتقد أنهم سيصمدون!».

أجاب محارب آخر من المحاربين الموجودين على سطح القصر: «وإن لم يصمدوا، فلتُكافئ أرواح أجدادنا هؤلاء المحاربين الشجعان على السفينة فاناتور، فمنذ اللحظة التي تتمزق فيها حزم أحبالها، لن يطول الوقت حتى يرتدي طاقمها جلد الموتى. لكني أعتقد، يا تانوس، أنها سوف تصمد. دعنا على الأقل نشكر ظروف عدم إبحارنا قبل العاصفة؛ فكل منا الآن لديه فرصة للعيش».

أجاب تانوس: «نعم، أكره أن أكون في الخارج اليوم على السفينة القوية التي تبحر في سماء برسوم».

وعندئذ، ظهر الجد جاهان على السطح، ومعه باقي جماعته واثني عشر محارب من هيليوم. استدار القائد الشاب نحو أتباعه.

وقال: «سوف أبحر على الفور في فاناتور، بحثًا عن تارا الهيليومية التي من المعتقد أن الرياح جرفت طائرتها الصغيرة ذات الراكب الواحد. ولست بحاجة لأن أشرح لكم مدى ضآلة فرص فاناتور في الصمود أمام غضب العاصفة، ولن أطلب منكم السير نحو حتفكم. فليبق كل من يرغب في البقاء دون خزي. وليتبعني الآخرون»، ثم قفز على حبال

السلم الذي يتحرك بعنف في العاصفة.

كان تانوس أول من تبعه. وعندما صعد آخر محارب على سطح السفينة، لم يبق على سطح القصر سوى المحاربين الاثني عشر من هيليوم، حيث اتخذوا وهم يحملون سيوفهم المهام التي كان الجاثوليين يتولونها عند المراسي.

لن يغادر فاناتور الآن أي محارب واحد ممن ظلوا على متنها.

قال جاهان: «لم أتوقع أقل». وبمساعدة المجموعة الموجودة على سطح السفينة، تمكن هو والآخرون من العثور على شرائط جلدية للتأمين. هز قائد فاناتور رأسه. كان يحب سفينته الأنيقة، فخر نوعها في السلاح البحري الصغير في جاثول. كان يفكر فيها وليس في نفسه. تصور سفينته ترقد ممزقة وملتوية فوق الغطاء النباتي الأصفر في قاع بحر بعيد، ثم تحتلها وتنهبها بعض القبائل الخضراء المتوحشة. وهنا نظر نحو جاهان.

سأله الجد: «هل أنت مستعد، سان توثيس؟».

«كل شيء جاهز».

«فلنبحر إذن!».

سرت الكلمة عبر سطح السفينة وإلى محاربي هيليوم في أسفل، الذين قطعوا الأحبال عند سماع الطلقة الثالثة. كان على السيوف الاثني عشر الحادة أن تضرب في وقت واحد وبقوة متساوية، وأن يقطع كل منها بالكامل، وعلى الفور، ثلاث حزم من الحبال الثقيلة، بحيث

لا تتشابك أي نهاية طليقة مكونة كتلة تتسبب في كارثة فورية للفاناتور.

بووم! انطلق صوت بندقية الإشارة عبر الرياح العاصفة إلى المحاربين الاثني عشر عند سطح القصر. بووم! ارتفع اثنا عشر سيفًا فوق اثني عشر كتفًا قويًا. بووم! قطعت اثنتا عشرة شفرة حادة اثنتي عشرة مرساة متذمرة، قطعًا كليًّا مثل يد واحدة.

انطلقت الفاناتور، مع دوران مراوحها، إلى الأمام مع العاصفة، التي ضربت مؤخرتها مثل لكمة قوية، وأوقفت السفينة الكبيرة على مقدمتها، ثم أمسكت بها وأدارتها كما يدور رأس طفل. وعلى سطح القصر، كان اثنا عشر رجلًا يشاهدون في عجز صامت ويصلون من أجل أرواح المحاربين الشجعان الذين يتوجهون لملاقاة حتفهم. كما رأى آخرون المشهد، من منصات الهبوط الشامخة في هيليوم ومن ألف حظيرة طائرات فوق ألف سطح. على أن الاستعدادات لإرسال رجال شجعان آخرين إلى هذه الدوامة المخيفة لبحث ميؤوس منه، لم تتوقف لأكثر من لحظة، فهذه هي شجاعة محاربي برسوم.

لكن السفينة فاناتور لم تسقط على الأرض، على مرأى من المدينة على الأقل، وطوال مشاهدة المراقبين لها، لم تجنح أبدًا ولو لثانية. كانت تميل أحيانًا على جانب أو آخر من جانبيها، أو تندفع وتهبط، أو تتلوى مرارًا وتكرارًا، أو تقف عند مقدمتها أو مؤخرتها عند أي تقلب مفاجئ للقوة الهائلة التي تحملها. رأى المراقبون أن هذه السفينة الكبيرة مجرد لعبة تحركها الرياح مع أجزاء أخرى من الحطام، الكبير والصغير، الذي ملأ السماء. لم يحدث أبدًا من قبل، سواء في ذاكرة الرجال أو حوليات

التاريخ المسجل، أن اندلعت عاصفة من هذا القبيل فوق برسوم.

وفي لحظة أخرى، نسي الجميع سفينة فاناتور كصرح قرمزي أنيق، ظل علامة على هيليوم الصغرى لعصور، حيث تحطمت على الأرض، حاملة الموت والدمار للمدينة أسفلها. وسادت حالة من الذعر. اندلع حريق في الأنقاض. بدت كل قوة في المدينة في حالة شلل، وعندئذ أصدر أمير الحرب أوامره إلى الرجال الذين على وشك الخروج للبحث عن تارا الهيليومية بأن يكرسوا كل طاقاتهم لإنقاذ المدينة، فقد شهد أيضًا بداية رحلة فاناتور، وأدرك عدم جدوى إهدار الرجال الذين تحتاجهم بشدة هيليوم الصغرى لحفظها من التدمير التام.

بدأت العاصفة تهدأ بعد وقت قصير من ظهر اليوم الثاني. وقبل غروب الشمس، كانت الطائرة الصغيرة التي تأرجحت فوقها تارا الهيليومية بين الحياة والموت خلال تلك الساعات الطويلة قد جنحت ببطء بفعل نسيم لطيف فوق مشهد التلال المتموجة التي كانت في يوم ما جبالًا شامخة فوق قارة مريخية. شعرت الفتاة بالإنهاك من عدم النوم، ونقص الطعام والشراب، ومن رد الفعل العصبي الناجم عن التجارب المرعبة التي مرت بها. لمحت الفتاة على مسافة قريبة، لا يفصلها عنها سوى تل، ما بدا برجًا له قبة. هبطت سريعًا بالطائرة إلى أن حال التل دون رؤيتها للسكان المحتمَلين للبناء الذي شاهدته. كان البرج يعني لها مسكنًا للإنسان، وبالتالي وجود الماء، وربما الطعام. إذا كان البرج من البقايا المهجورة لعصر انقضى، فلن تجد طعامًا، لكن الفرصة قائمة لتجد الماء. وإذا كان المبنى مأهولًا بالسكان، عليها أن تقترب بحذر،

فليس من المتوقع أن يعيش في هذه الأرض النائية سوى الأعداء. تعرف تارا الهيليومية أنها في موقع بعيد عن المدينتين التوأم في إمبراطورية جدها، لكنها إذا خمنت أنها على بُعد يزيد على ١٠٠٠ هاد، لأصابها الذهول من إدراك اليأس المطلق لحالتها.

أبقت الطائرة منخفضة، لأن خزانات الطفو لا تزال سليمة، وانحنت الفتاة بالطائرة نحو الأرض، إلى أن حملتها الرياح بلطف إلى جانب آخر تل يقع بينها وبين المبنى الذي تصورت أنه برج من صنع الإنسان. وهنا هبطت بالطائرة على الأرض بين بعض الأشجار القصيرة، وسحبتها تحت شجرة تخفيها إلى حد ما من الطائرات التي قد تمر أعلاها. أنهت عملها بسرعة، وتحركت للأمام كي تستطلع الأمر. مثل معظم نساء طبقتها، لم تكن مُسلحة سوى بنصل واحد نحيل، وبالتالي لا يمكنها في أي حالة طارئة، مثل ما تواجهه الآن، إلا أن تعتمد على ذكائها كي لا يكتشفها الاعداء. تسللت بحرص وبأقصى قدر من الحذر في اتجاه قمة التل، مستفيدة من كل ساتر طبيعي توفره الظروف الطبيعية لإخفاء اقترابها عن المراقبين المحتملين أمامها، بينما تلقي نظرات سريعة نحو الخلف للحظات خشية أن يفاجئها أحد من ذلك الجانب.

وصلت أخيرًا إلى القمة، حيث يمكنها من وراء شجيرة قصيرة تخفيها أن ترى ما يوجد على بُعد. امتد أسفلها واد جميل محاط بتلال منخفضة، تناثرت فيه العديد من الأبراج الدائرية ذات القباب، ويحيط بكل برج جدار حجري يضم داخله عددًا من الفدادين. بدت حالة الزراعة في الوادي جيدة. ويوجد برج وحظيرة مسورة على الجانب

الآخر من التل، أسفلها مباشرة. لفت سطح البرج انتباهها بداية، فقد كان البناء يبدو متطابقًا من جميع النواحي مع تلك الأبنية البعيدة الأخرى في الوادي: جدار عالٍ من الجبس لبناء ضخم، يحيط ببرج مبني على نحو مماثل، يوجد فوق سطحه الرمادي رسم بألوان زاهية لشمار غريب. بلغ قطر كل برج حوالي أربعين سوفاد(٣١)، حوالي أربعين قدم بمقاييس كوكب الأرض، وارتفاعه ستين حتى قاعدة القبة. بالنسبة لشخص من كوكب الأرض، تبدو هذه المباني على الفور بمثابة الصوامع التي يستخدمها مزارعو الألبان لتخزين العلف لقطعانهم، لكن التمحيص الدقيق، الذي يكشف عن فتحات متفرقة في الجدار، إضافة إلى بنية القباب، من شأنه أن يُغير هذا الاستنتاج. رأت تارا الهيليومية أن القباب تبدو مواجهة لأكثر من منشور زجاجي -عدد لا يُحصى منها- ويتألق بشكل رائع ما يتعرض منها لغروب الشمس، مما جلب إلى ذاكرتها فجأة زخارف جاهان الجاثولي الرائعة. وعندما تذكرت الرجل، هزت رأسها بغضب. تحركت بحذر لمسافة قدم أو اثنين لترى البرج الأقرب وحظيرته على نحو أفضل.

وعندما نظرت تارا الهيليومية إلى أسفل، نحو الحظيرة المحيطة بأقرب برج، قطبت حاجبيها للحظة في عبوس مفاجئ، واتسعت عيناها في تعبير ينم عن تشكك مشوب بالرعب؛ إذ رأت مجموعة من عشرين أو أربعين من الأجساد البشرية، عارية ومقطوعة الرأس. ظلت تنظر

---

(٣١) السوفاد يعادل حوالي ١,١٧ بوصة بمقاييس كوكب الأرض - http://barsoom.wikia.com/wiki/Linear_Measurement - المترجمة.

لاهثة للحظات طوال، غير قادرة على تصديق ما تراه بعينيها: هذه الأشياء البشعة حية وتتحرك! شاهدتهم يزحفون على أيديهم وركبهم من مكان لآخر، ويبحثون حولهم بأصابعهم. ورأت بعضهم في أحواض، ويبدو أن الآخرين يبحثون عنهم. أما من في الأحواض، فهم يأخذون شيئًا من أوعية ويضعونه على ما يبدو حفرة في الموضع الذي كان يجب أن توجد فيه أعناقهم. لم تكن هذه الكائنات أسفلها بمسافة كبيرة، ولذا تمكنت من رؤيتهم بوضوح: أجساد لرجال ونساء، متناسقة بشكل جميل، وتماثل بشرتهم بشرتها، وإن كان لونها الأحمر أفتح قليلًا. تصورت في البداية أنها تتطلع إلى كارثة، وأن الرؤوس قُطِعت مؤخرًا، بالتالي تتحرك الأجساد بقوة رد الفعل العضلي، لكنها أدركت الآن أن هذه هي حالتهم العادية. سحرها رعبها منهم، بحيث بالكاد ما أبعدت نظرها عنهم. كان واضحًا من أياديهم التي تتلمس كل شيء حولهم أنهم بلا أعين، وأكدت حركاتهم البطيئة بدائية جهازهم العصبي وبالتالي صِغر أمخاخهم. تعجبت الفتاة كيف يعيشون، فلم يكن بمقدور أكثر خيالاتها جموحًا أن تتصور هذه المخلوقات المشوهة كفلاحين أذكياء يحرثون التربة. على أن حرث تربة الوادي كان واضحًا، وأن هذه الكائنات تحصل على غذاء. ولكن، من يحرث التربة؟ ومن الذي يحتفظ بهذه الكائنات التعيسة ويُطعمها؟ ولأي غرض؟ لقد كان لغزًا يتجاوز قدرتها على الاستنتاج.

أثار مشهد الطعام شعورها مرة أخرى بالجوع يقرضها والعطش يحرق حلقها. كانت ترى الطعام والماء داخل الحظيرة. ولكن، هل

تجرؤ على الدخول حتى إن وجدت وسيلة؟ تشككت في ذلك؛ إذ مجرد التفكير في إمكانية التواصل مع هذه المخلوقات البشعة كان يصيبها بقشعريرة.

تجولت عيناها مرة أخرى عبر الوادي، إلى أن شاهدت ما بدا نهرًا صغيرًا يشق طريقه متعرجًا وسط الأراضي الزراعية - وهو مشهد غريب في برسوم. آه، لو كان نهرًا! ربما كان أملها حقيقيًا، فالحقول سوف تمدها بالقوت الذي يمكن أن تحصل عليه ليلًا، بينما تختبئ نهارًا بين التلال التي تحيط بها. وفي وقت ما، نعم، في وقت ما، تعرف أن الباحثين سيأتون؛ لأن جون كارتر، أمير الحرب في برسوم، لن يوقف أبدًا البحث عن ابنته إلا بعد تمشيط كل هاد مربع على سطح الكوكب مرارًا وتكرارًا، فهي تعرفه وتعرف محاربي هيليوم، ولذا تعرف أنها يجب أن تنجح في تجنب الأذى إلى أن يأتوا، فهم سيأتون في نهاية المطاف.

عليها أن تنتظر حتى يحل الظلام، قبل أن تجرؤ على المغامرة في الوادي، وفكرت أن عليها -في أثناء ذلك- البحث عن مكان آمن إلى حد معقول من تلك الوحوش الشرسة. ربما تخلو المنطقة من الكائنات آكلات اللحوم، لكن المرء لا يمكنه التأكد أبدًا في أرض غريبة. وعندما أوشكت على الانسحاب وراء حافة التل، جذبت الحظيرة أدناها اهتمامها مرة أخرى. ظهر شخصان من البرج، يتطابق جسداهما الجميلان وأجساد تلك المخلوقات مقطوعة الرأس التي يتحركان خلالها، لكن الوافدين الجديدين لم يكونا مقطوعي الرأس. حملت أكتاف كل منهما رأسًا يبدو بشريًا، لكن حدس الفتاة أحسسها

بأنها ليست رؤوسًا بشرية. كانا بعيدين عنها إلى حد لا يتيح أن تميزهما بوضوح في الضوء الخافت للنهار الذي أخذ يتلاشى، لكنها أدركت أن حجم الرأسين ضخمًا، لا يتناسب مع الجسدين المتناسقين تمامًا، كما كانا مفلطحين من حيث الشكل. تمكنت أيضًا من رؤية ملابس الرجلين، كانا يرتديان نوعًا من العتاد الذي يتدلى منه السيفان الطويل والقصير لمحاربي برسوم، وتوجد حول أعناقهم القصيرة ياقات جلدية ضخمة، مقطوعة على نحو يناسب تغطية الكتفين وكذا الجزء السفلي من الرأس بشكل مريح. بالكاد ما كان يمكن تمييز ملامحهما، لكنها كانت تنم عن بشاعة أثارت لديها شعورًا بالاشمئزاز.

حمل الرجلان حبلًا طويلًا كانا مثبتين به، ويوجد على مسافات متقطعة منه تبلغ كل منها حوالي ٢ سوفاد، ما خمنت الفتاة لاحقًا أنها أصفاد خفيفة، حيث شاهدت المحاربين يمرون بين المخلوقات الضعيفة في الحظيرة، ويربطان حول المعصم الأيمن لكل منها أحد هذه الأصفاد. وعند الانتهاء من ربط الجميع بالحبل، بدأ أحد المحاربين بشد وسحب الحبل من نهايته الحرة كأنما يحاول جر المجموعة مقطوعة الرأس في اتجاه البرج، بينما تحرك الآخر بينهم، وهو يضرب أجسادهم العارية بسوط طويل خفيف. نهضت المخلوقات على أقدامها ببطء وبلادة، وبين جر المحارب الأمامي وضربات سوط المحارب الخلفي، وصل القطيع اليائس أخيرًا إلى البرج. ارتجفت تارا الهيليومية وهي تستدير مبتعدة. أي سلوك لهذه المخلوقات؟

هبط الليل فجأة. انتهى اليوم البرسومي، وخلال فترة الغسق القصيرة

التي تجعل الانتقال من النهار إلى الظلام مفاجئة مثل إطفاء مصباح كهربائي، لم تجد تارا الهيليومية أي مأوى. ربما لا توجد وحوش لتخاف منها، أو بالأحرى تتجنبها، فلم تكن تارا الهيليومية تحب كلمة «خوف». على أنها كانت لتسعد لوجود قمرة، ولو صغيرة جدًّا، في طائرتها الصغيرة، لكنها لم تكن موجودة، فقد شغلت خزانات الطفو هيكل الطائرة الداخلي تمامًا. آه، توصلت إلى فكرة! يا لها من غبية لأنها لم تفكر في ذلك من قبل! يمكنها أن تربط الطائرة بالشجرة التي تقع أسفلها، وتسمح لها بالارتفاع بقدر طول الحبل. وبتثبيت الحبل بحلقات سطح السفينة، سوف تأمن من أي وحش يصدف تجواله في المكان. ويمكنها في الصباح أن تهبط بها إلى الأرض مرة أخرى قبل أن تُكتَشَف.

تسللت تارا الهيليومية على منحدر التل إلى أسفل نحو الوادي. كان ظلام الليل يخفيها من مرأى أي مراقب ربما يتسكع عند أي نافذة في البرج المجاور. وكان كلوروس[٣٢]، أبعد قمري المريخ، يرتفع قليلًا فوق الأفق ليبدأ رحلته البطيئة عبر السماوات. ويغرب بعد ٨ زود – أي ما يزيد قليلًا على تسع عشرة ساعة ونصف الساعة بتقويم كوكب الأرض– وفي أثناء ذلك الوقت، يكون زميله المفعم بالحيوية، القمر ثوريا، قد أكمل دورتين حول الكوكب وأكثر من نصف الطريق في دورته الثالثة. لقد غرب حالًا، ولن ينطلق فوق الأفق المعاكس قبل

(٣٢) كلوروس: أحد أبعد قمري المريخ عن الكوكب الأم، ومعروف لدى سكان كوكب الأرض باسم القمر ديموس - http://barsoom.wikia.com/wiki/Cluros - المترجمة.

ما يزيد على ثلاث ساعات ونصف، ليندفع بسرعة ومنخفضًا حول هذا الكوكب الآخذ في الاحتضار. وفي أثناء هذا الغياب المؤقت للقمر المجنون، تأمَل تارا الهيليومية في العثور على طعام وماء، وتفوز مرة أخرى بسلامة سطح سفينتها.

تلمست طريقها عبر الظلام، مع إعطاء البرج وحظيرته أوسع مسافة ممكنة. كانت تتعثر أحيانًا، ففي الظلال الطويلة التي يلقيها القمر كلوروس في صعوده، كانت الأشياء تبدو مشوهة إلى حد كبير؛ لأن الضوء القادم من القمر لم يزل غير كاف لمساعدتها. كما أنها لم تكن ترغب، في الواقع، في وجود ضوء. يمكنها أن تجد النهر في الظلام عبر حيلة بسيطة، بأن تذهب إلى أسفل التل، وتسير إلى أن ترى تلك الأشجار المثمرة والعديد من المحاصيل التي تنمو في كافة أنحاء الوادي، بحيث يمكنها حمل الكثير من الطعام قبل أن تصل إلى النهر. وإذا أظهر لها القمر الطريق بوضوح أكبر، كان ليحميها بالتالي من أي سقوط مفاجئ، لكنه كان سيُظهرها أيضًا بوضوح أكبر لسكان الأبراج الغريبين، وهذا يجب ألا يحدث بطبيعة الحال. ويمكنها أن تنتظر حتى تتحسن الظروف في الليلة التالية، حيث لا يظهر كلوروس في السماء على الإطلاق، وبالتالي يسود الظلام المطلق خلال غياب القمر ثوريا، لكن ألم العطش والجوع لم يعُد محتملًا، لا سيما أن الطعام والشراب يبدوان في الأفق، ولذلك قررت أن تخاطر بالاكتشاف بدلًا من أن تستمر معاناتها لفترة أطول.

مرت الفتاة بأمان عبر البرج الأقرب، وتحركت بالسرعة التي

شعرت أنها تتسق والسلامة، واختارت الطريق الممكن بحيث تستفيد من ظلال الأشجار النامية على مسافات، وتكتشف في الوقت نفسه الأشجار التي تحمل ثمارًا. وعلى الفور حققت نجاحًا، فالشجرة الثالثة التي وقفت أسفلها كانت مثقلة بثمار ناضجة. فكرت تارا أنها لم تذُق من قبل أبدًا مثل هذه الثمرة اللذيذة، على أنها ليست سوى فاكهة اليوسا[٣٣] التي تُعتبر بلا طعم تقريبًا، وغير مستساغة إلا بعد طهيها وتتبيلها، وهي تنمو بسهولة بقدر قليل من الري، وتوجد بوفرة على الأشجار، ولهذه الفاكهة قيمة غذائية عالية، ولذا تُعتبر من الأغذية الأساسية لغير الموسرين، كما تُعتبر -نظرًا لتدني سعرها وارتفاع قيمتها الغذائية- إحدى الحصص الغذائية الرئيسة للجيوش والقوات البحرية في برسوم، ولذا فازت بلقب «المريخ يوسا» الذي يمكن ترجمته إلى «البطاطس المقاتلة». كانت الفتاة حكيمة بما يكفي لأن تتناول قدرًا ضئيلًا من هذه الثمار، لكنها ملأت جيب حقيبتها بالفاكهة قبل أن تواصل طريقها.

مرت ببرجين قبل أن تصل إلى النهر، وهنا توخت الاعتدال ثانية ولم تشرب إلا قليلًا، وببطء شديد كانت تستمتع بتكرار شطف فمها وغسل وجهها ويديها وقدميها. وعلى الرغم من برودة الليل، كما هي ليالي المريخ، فقد كان الإحساس بالانتعاش أكثر من تعويض عن عدم ارتياحها الجسماني لدرجة الحرارة المنخفضة. بدّلت صندلها،

---

(٣٣) يوسا: فاكهة مريخية، لذيذة الطعم، تؤكل كما هي وإن كان معظم المريخيين يفضلونها مطبوخة ومتبلة - http://barsoom.wikia.com/wiki/Usa - المترجمة.

واتخذت مسارًا قرب النهر للبحث عن التوت أو الدرنات الصالحة للأكل التي ربما كانت مزروعة هناك، وعثرت على صنفين يمكن أكلهما في حالتهما النيئة. وضعت تلك الدرنات مع بعض ثمار اليوسا في جيب حقيبتها، ليس لضمان التنوع فحسب، وإنما أيضًا لأنها وجدتها مستساغة أكثر. كانت تعود أحيانًا إلى النهر لتشرب، ولكن باعتدال في كل مرة. وكانت عيناها وأذناها في حالة انتباه دائم لأي بوادر للخطر، لكنها لم تشهد أو تسمع ما يمكن أن يزعجها. شعرت الآن أنها يجب أن تعود إلى طائرتها، خشية اكتشافها في ضوء القمر ثوريا الذي يتأرجح منخفضًا. كانت خائفة من الابتعاد عن الماء، فسوف تشعر بالعطش الشديد قبل أن تأمل في العودة مرة أخرى إلى النهر. لو كان لديها مجرد وعاء صغير لحمل المياه، حتى وإن كانت كمية صغيرة تكفيها حتى الليلة التالية، لكنها لا تملك أي شيء، ولذا يجب أن تقنع بأنها لديها من عصائر الفاكهة والدرنات التي جمعتها.

وبعد أن شربت للمرة الأخيرة من النهر، أطول وأعمق شربة ماء سمحت بها لنفسها، نهضت لتقتفي أثر خطواتها نحو التلال. لكن توترًا أصابها فجأة من شر مرتقب. ما هذا؟ يمكن أن تقسم أنها رأت شيئًا يتحرك في الظل تحت شجرة ليست بعيدة. وقفت الفتاة دون حركة لعدة دقائق، وبالكاد ما كانت تتنفس. ظلت عيناها ثابتة على الظلال الكثيفة أسفل الشجرة، وتيقظت أذناها خلال سكون الليل. سمعت أنينًا منخفضًا يهبط من التلال، حيث خبأت طائرتها. تعرف هذه النبرة

جيدًا، إنها نبرة الصوت الغريبة التي يطلقها حيوان البانث(٣٤). يوجد آكل اللحوم الضخم هذا في طريقها مباشرة. لكنه لم يكن قريبًا مثل ذلك الشيء الآخر، الذي يختبئ في الظلال على مسافة قريبة منها. ما هذا؟ كان التوتر الناجم عن عدم اليقين هو ما يُثقل كاهلها. لو كانت تعرف طبيعة المخلوق القابع هناك، لتلاشى نصف الخطر. نظرت حولها بسرعة بحثًا عن ملاذ تلجأ إليه، إذا ثبتت خطورة هذا الشيء.

ارتفع الأنين ثانية من التلال، لكنه كان أقرب هذه المرة. وجاء الرد على الفور تقريبًا من الجانب الآخر من الوادي، خلفها، ثم من مسافة على يمينها، ومرتين من يسارها. عثرت عيناها على شجرة قريبة. تحركت ببطء، دون أن تُبعِد عينيها عن ظلال تلك الشجرة الأخرى، نحو الفروع المتدلية التي قد توفر لها ملاذًا عند الحاجة. وعند أول خطوة، ارتفع هدير منخفض من الموقع الذي تراقبه، وسمعت صوت تحرك مفاجئ لجسد كبير. وفي الوقت نفسه، انطلق المخلوق تحت ضوء القمر في هجوم كامل عليها: بذيله المنتصب، وآذانه المفلطحة، وفمه الكبير الذي يضم عدة صفوف من الأنياب الحادة القوية متلهفًا للانقضاض على فريسته، وتحمله عشرة سيقان نحو الأمام في قفزات كبيرة، وأخذ يصدر من حلق الوحش زئير مخيف يستهدف شلّ فريسته. إنه حيوان

---

(٣٤) البانث: حيوان مفترس شرس متعدد الأرجل، أصلع تقريبًا مثل جميع الحيوانات المريخية إلا من شعر كثيف خشن كبير كالأسد حول رقبته السميكة. جسده طويل ورشيق، ويعتمد على عشرة أرجل قوية، وفكاه الضخمان مجهزين بعدة صفوف من أنياب طويلة تشبه الإبرة، مثله مثل حيوانات الكالوت أو الكلاب المريخية، وفمه يصل إلى نقطة بعيدة خلف أذنيه الصغيرتين، بينما عيناه الخضراء مائلة وجاحظة وتضيف لمسة الرعب الأخيرة إلى مظهره الفظيع - http://barsoom.wikia.com/wiki/Banth - المترجمة.

البانث، الأسد البرسومي الضخم ذو العُرف. رأته تارا الهيليومية قادمًا، وقفزت في اتجاه الشجرة التي كانت تتحرك نحوها. أدرك البانث نيتها، وضاعف سرعته. أثار هديره البشع الأصداء في التلال وفي الوادي، لكن هذه الأصداء أتت من حلوق أخرى لحيوانات من نفس نوعه، حتى بدا للفتاة أن القدر ألقى بها وسط عدد لا يُعد ولا يُحصى من هذه الوحوش الشرسة.

كانت سرعة البانث المُهاجِم مذهلة، ومن حسن الحظ أنه لم يكن يطارد الفتاة في العراء. كان هامش سلامتها معدومًا؛ إذ عندما تأرجحت برشاقة إلى الفروع الأدنى، اصطدم المخلوق بأوراق الشجر، وكاد أن يصل إليها وهو يحاول القفز إلى أعلى للإمساك بها. ما حفظها ليس سوى مزيج من حسن الحظ وخفة الحركة. انحرفت مخالب آكل اللحوم باصطدامه بفرع سميك. لكن النداء الذي أطلقه كان قريبًا جدًّا، بحيث مس ساعده العملاق جسدها قبل لحظة من اندفاعها نحو الفروع الأعلى.

ارتبك البانث، ونَفَّس عن غضبه وخيبة أمله بسلسلة من الزئير المخيف الذي تسبب في ارتجاف الأرض، هذا بالإضافة إلى زئير وهدير وأنين زملائه وهم يقتربون من كل اتجاه، أملًا في أن ينتزعوا منه بدهاء أو براعة أي جزء من ضحيته. التفت نحوهم مزمجرًا وهم يحوطون بالشجرة، بينما تقبع الفتاة في موقع متشعب أعلاهم، وتنظر إلى الوحوش الصفراء الهزيلة وهي تتحرك على أقدامها المبطنة دون إحداث صوت في دائرة مضطربة. وتعجبت من غرابة القَدَر الذي أتاح

لها الهبوط الآن إلى هذا الوادي البعيد ليلًا دون أن تُصاب بأذى، لكنها تساءلت كيف يمكنها العودة إلى التلال؟ كانت تعرف أنها لا تجرؤ على المغامرة بذلك ليلًا، كما خمنت أنها قد تواجه في النهار أخطارًا أكبر. أصبح الاعتماد على هذا الوادي للحصول على القوت إمكانية ضعيفة؛ لأن حيوانات البانث ستبقيها بعيدة عن الغذاء والماء خلال الليل، بينما سيحول سكان البرجين بلا شك دون استطاعتها على جمع الغذاء نهارًا. لم يكن أمامها سوى حل واحد عسير، أن تعود إلى طائرتها وتُصلي من أجل أن تدفعها الرياح إلى منطقة أقل رعبًا، ولكن، متى يمكنها العودة إلى الطائرة؟ لم تقدم حيوانات البانث أي دليل على التخلي عنها، وحتى لو تجولت بعيدًا عن الأنظار، فهل تجرؤ على المخاطرة بهذه المحاولة؟ تشككت في ذلك.

بدت في حالة ميؤوس منها، كان الوضع يائسًا في الواقع.



الفصل (٤)

الوقوع في الأسر

تغير المشهد مع انطلاق القمر ثوريا، المتسابق السريع ليلًا، في السماء مرة أخرى، كأنما ظهر بفعل السِّحْر جانب جديد على وجه الطبيعة. كما لو أن المرء انتقل في لحظة من كوكب إلى آخر. هذه هي المعجزة القديمة التي تتجدد دومًا في ليالي المريخ، حتى بالنسبة إلى المريخيين: يتألق قمران في السماء، كان أحدهما موجودًا، لكن الظلال المتصارعة سريعة التغير أدت إلى تغيير التلال نفسها. يلقي القمر الفخم المهيب كلوروس، وهو مستقر تقريبًا، ضوءًا ثابتًا على العالم أدناه، أما القمر ثوريا، الجُرم السماوي العظيم المجيد، فهو يتأرجح سريعًا عبر القبة المقوسة للّيل الأزرق المشوب بالسواد، ويتحرك على ارتفاع شديد الانخفاض بحيث يبدو كأنما يمس التلال. يا له من مشهد رائع سحر الفتاة بفتنته! كما حدث وسيحدث دائمًا.

غمغمت تارا الهيليومية: «آه، ثوريا، الملكة المجنونة في السماء! تمر التلال في موكب فخم، تعلو وتهبط قممها، وتتحرك الأشجار في دوائر لا تهدأ، وتبدو الأعشاب الصغيرة كأقواس ضئيلة، كل شيء يتحرك، حركة مضطربة غامضة دون صوت، بينما يمر القمر ثوريا». تنهدت الفتاة، وألقت بصرها ثانية نحو الواقع القاسي أسفلها: حيوانات البانث الضخمة واضحة، والحيوان الذي اكتشف وجودها لا يزال رابضًا ينظر إلى أعلى نحوها في جوع. ابتعدت معظم الحيوانات بحثًا عن فريسة أخرى، وبقي بعضها على أمل أن تدفن أنيابها في ذلك الجسد الناعم.

هبط الليل. غادر القمر ثوريا السماء مرة أخرى، وأسرع للقاء الحب مع الشمس في سماء أخرى. بقي بانث واحد منتظرًا بفارغ الصبر أسفل الشجرة التي تأوي تارا الهيليومية. غادرت حيوانات البانث الأخرى، لكن صدى زئيرها وهديرها وأنينها ارتد لتارا رعدًا أو دويًا أو طافيًا من أماكن قريبة وبعيدة. ما الفريسة التي وجدوها في هذا الوادي الصغير؟ بالتأكيد هناك شيء معتادين على العثور عليه هنا، ما جذب أعدادًا كبيرة منهم. تساءلت الفتاة عما قد يكون.

يا لطول الليل! شعرت تارا الهيليومية بالذبول والبرودة والإنهاك، وتشبثت بالشجرة في يأس متزايد، بل وغفت مرة وكادت أن تسقط. كان الأمل ضئيلًا في قلبها الصغير الشجاع. إلى أي مدى يمكنها أن تتحمل؟ سألت نفسها هذا السؤال، ثم هزت رأسها بشجاعة وفردت كتفيها وقالت بصوت عال: «ما زلت أعيش!».

نظر البانث نحوها هادرًا.

وصل القمر ثوريا ثانية، ثم ظهرت الشمس العظيمة -يسعى العاشق الملتهب إلى تحقيق رغبة قلبه. وتابع القمر كلوروس، الزوج البارد، طريقه الهادئ، وديعًا كما كان قبل أن ينتهك منزله هذا العاشق الملتهب. والآن، تسير الشمس مع القمرين في السماء، تاركين ألغازهم البعيدة، ويضفون غرابة على الفجر المريخي. نظرت تارا الهيليومية عبر الوادي الجميل الذي يمتد حولها من جميع الأطراف. كان غنيًّا وجميلًا، لكنها ارتجفت وهي تنظر إليه؛ فقد تراءت أمامها صورة الكائنات مقطوعة الرأس التي تخفيها الأبراج والجدران. هذه الكائنات نهارًا، والبانث ليلًا! آه، هل من عجب أنها ارتجفت؟

مع قدوم الشمس، نهض الأسد البرسومي الضخم على قدميه، التفت بأعين غاضبة نحو الفتاة أعلاه، وأطلق هديرًا منذرًا بالسوء، ثم تسلل مبتعدًا نحو التلال. راقبته الفتاة، ورأته يبتعد عن الأبراج بأوسع مسافة ممكنة، ولم يبعد نظره أبدًا عن أحدهما خلال مروره عليه. يبدو أن السكان علّموا هذه المخلوقات الوحشية احترامهم. ابتعد الآن عن نظرها في ممر ضيق، ولم تشاهد أي حيوان آخر في أي اتجاه. يبدو المشهد مهجورًا، عل الأقل لحظيًّا. تساءلت الفتاة عما إذا كانت تجرؤ على محاولة الوصول إلى التلال واستعادة طائرتها. كانت تخشى قدوم العمال إلى الحقول، حيث كانت على يقين من قدومهم. ارتجفت ثانية عندما تصورت الأجساد مقطوعة الرأس، ووجدت نفسها تتساءل عما إذا كانت هذه الكائنات تخرج إلى الحقول وتعمل. نظرت نحو أقرب

برج. لا توجد أي علامة على الحياة. الوادي هادئ الآن ومهجور. هبطت بثبات إلى الأرض. كانت عضلاتها في حالة تشنج، وكل تحرك يُشعرها بالألم. توقفت لحظة لتشرب مرة أخرى من النهر. شعرت بالانتعاش، ثم اتجهت دون إبطاء نحو التلال. بدت الخطة الوحيدة هي قطع المسافة في أسرع وقت ممكن. لم تعُد الأشجار توفر إمكانية الإخفاء، ولذا لم تخرج عن طريقها لتقترب منهم. بدت التلال بعيدة جدًا. لم تعتقد في الليلة السابقة أنها قطعت كل هذه المسافة. حقًّا لم تكن مسافة كبيرة، لكنها تبدو الآن هائلة مع وجود ثلاثة أبراج يجب أن تجتازهم في وضح النهار.

يقع البرج الثاني في طريقها مباشرة تقريبًا. لن يقلل الانعطاف من فرصة الكشف عنها، لكنه سوف يطيل فترة تعرضها للخطر. ولذا، واصلت طريقها مباشرة نحو التل، حيث توجد طائرتها، بغض النظر عن البرج. ظنت عند مرورها بالحظيرة الأولى أنها سمعت صوت حركة داخلها، لكن البوابة لم تنفتح وتنفست الصعداء عندما تجاوزتها. وصلت إلى الحظيرة الثانية، وعليها أن تدور حول جدارها الخارجي؛ لأنه يقع عبر طريقها. وعندما اقتربت منه، سمعت صوت حركة، كما ميزت أصوات حديث. سمعت صوت رجل يُصدِر تعليمات بلغة برسوم العامة: كثيرون عليهم جمع اليوسا، وكثيرون عليهم ري هذا الحقل، وكثيرون عليهم زراعة هذا النبات، وهلم جرًّا، مثل رئيس العمال الذي يحدد عمل اليوم لطاقمه.

وصلت تارا الهيليومية إلى البوابة في الجدار الخارجي. تأرجحت

البوابة مفتوحة نحوها دون سابق إنذار. تصورت أنها قد تخفيها للحظة عن السكان في الداخل، فركضت مع بقائها قريبة من الجدار إلى أن ابتعدت عن مرأى النظر وراء انحناء المبنى، ووصلت إلى جانب الحظيرة الآخر. وهنا، أخذت تلهث من الجهد الذي بذلته ومن الإثارة التي سببها هروبها المُضني، وألقت نفسها بين بعض الأعشاب الطويلة التي تنمو بالقرب من أسفل الجدار. استلقت مرتجفة لبعض الوقت، دون أن تجرؤ حتى على رفع رأسها والنظر حولها. لم تشعر تارا الهليومية أبدًا من قبل بالشلل الناتج عن الرعب. كانت مصدومة وغاضبة من نفسها؛ فهي ابنة جون كارتر، أمير الحرب في برسوم، ويجب ألا يظهر عليها الخوف. ولم يقلل حتى من شعورها بالخجل والغضب عدم وجود من يشهد حالها، والأسوأ هو معرفتها أنها قد تشعر بنفس القدر من الخوف إذا مرت بظروف مماثلة مرة أخرى. كانت تعرف أنه ليس الخوف من الموت، بل هو التفكير في الأجساد مقطوعة الرأس، وأنها قد تراهم، ويمكنتهم حتى لمسها، ووضع أيديهم عليها، والإمساك بها. ارتجفت وارتعدت عندما فكرت في ذلك.

اكتسبت بعد فترة قدرة كافية القدرة على السيطرة على نفسها، ورفعت رأسها ونظرت حولها. ولرعبها، اكتشفت أنها عندما تنظر إلى كل مكان ترى أشخاصًا يعملون في الحقول أو يستعدون للعمل. كان العمال يأتون من أبراج أخرى، حيث تتوجه مجموعات صغيرة منهم إلى هذا الميدان أو ذاك، بل يعمل بعضهم بالفعل على بُعد ثلاثين آد منها -حوالي مائة ياردة- وهناك مجموعة، ربما عشرة، من الرجال والنساء،

في الطرف الأقرب لها، يتمتع جميعهم بهيئة جميلة وإن كانت وجوههم بشعة. كانوا عراة عمليًا، لأن أغطيتهم هزيلة، وهي حقيقة ملحوظة بين فلاحي الحقول في المريخ. ارتدى كل منهم طوقًا جلديًا غريبًا، يرتفع ليغطي الرقبة تمامًا، فضلًا عن قطعة جلدية أخرى تكفي لدعم سيف واحد وحقيبة ذات جيب. كانت الجلود قديمة جدًّا وبالية، بما يوضح أنها مستخدَمة لفترة طويلة في أعمال شاقة، وكانت خالية تمامًا إلا من شعار واحد على الكتف الأيسر. على أن رؤوسهم كانت مغطاة بحُلي من معادن ثمينة ومجوهرات، بحيث لم يكن مرئيًا سوى ما يزيد قليلًا على الأعين والأنف والفم. يا له من مشهد لا إنساني مخيف، وفي الوقت نفسه لبشر بشعين. كانت العينان متباعدتين وجاحظتين، والأنف لا تزيد على شقين صغيرين متوازيين عموديًا أعلى ثقب مستدير هو الفم. تثير رؤوسهم الاشمئزاز، إلى حد أن الفتاة لم تصدق كيف تُشكل هذه الرؤوس جزءًا لا يتجزأ من الأجساد الجميلة تحتها.

كانت تارا الهيليومية مسحورة مما تراه، إلى حد أنها بالكاد ما أبعدت عينيها عن تلك المخلوقات الغريبة – لكن الأحداث أثبتت أنها كان يجب أن تتراجع عن ذلك، فلكي تشاهدهم، اضطرت للكشف عن جزء من رأسها، وأصابها الذعر عندما شاهدت أحد المخلوقات يتوقف عن عمله ويحدق في وجهها مباشرة. لم تجرؤ على التحرك؛ إذ لا يزال من الممكن أن هذا الشيء لم يرها، أو يشك على الأقل في اختباء مخلوق بين الأعشاب. إذا أمكنها تبديد هذه الشكوك بأن تظل بلا حراك، قد يعتقد المخلوق أنه مخطئ ويعود إلى عمله. لكن الأمر، مع

الأسف، لم يكن كذلك. رأت هذا الشيء يثير انتباه الآخرين نحوها، وعلى الفور بدأ أربعة أو خمسة منهم يتحركون في اتجاهها.

يستحيل الآن تجنب اكتشافها، ويكمن أملها الوحيد في الهرب. إذا أمكنها التملص منهم والوصول إلى التلال والطائرة، تستطيع أن تهرب. لا توجد سوى طريقة واحدة: الفرار، على الفور وبسرعة. نهضت واقفة، وانطلقت مسرعة على طول قاعدة الجدار الذي يجب أن تدور حوله لتصل إلى الجانب المقابل، حيث يقع بعده التل الذي تستهدفه. استقبلت المخلوقات الغريبة ما فعلته بأصوات صفير غريبة، وعندما ألقت نظرة خاطفة من فوق كتفها، رأتهم جميعًا ينطلقون خلفها بسرعة.

سمعت أيضًا صيحات شديدة اللهجة تأمرها بالتوقف، لكنها لم تعرها أي اهتمام. وقبل أن تستكمل الدوران حول نصف الحظيرة، اكتشفت أن فرص نجاح هروبها كبيرة؛ حيث تبينت أن سرعتها تفوق سرعة مطارديها. تعاظمت آمالها عندما لاح التل أمامها، لكنها سرعان ما تبددت لِما رأته أمامها؛ ففي الحقول التي تقع بينها وبين التل، يوجد مائة من المخلوقات المماثلة التي تطاردها، وجميعهم في حالة تأهب، ويبدو أن الصفير كان تحذيرًا لهم. انطلقت التعليمات والأوامر من كل مكان، ما جعل المجموعة الموجودة أمامها تنتشر على شكل نصف دائرة كبيرة لاعتراضها. وعندما دارت يمينًا على أمل الإفلات من الشبكة، شاهدت آخرين قادمين من الحقول خلفها، نفس الشيء من جهة اليسار. لكن تارا الهيليومية لا تعترف بالهزيمة. لم تتوقف على الإطلاق، بل توجهت مباشرة نحو مركز نصف الدائرة

الأمامية التي تكمن خلفها فرصتها الوحيدة للهروب. وقامت وهي تركض بسحب خنجرها النحيل الطويل، مثلها مثل والدها الشجاع، فإذا كان يجب أن تموت، فلتمت وهي تقاتل. رأت ثغرات في الخط الرفيع المواجه لها، فتوجهت نحو أوسعها. خمنت المخلوقات على جانبي الثغرة نواياها، فتقاربوا لإغلاقها ووضع أنفسهم في طريق الفتاة، أدى هذا إلى اتساع الفتحات على جانبي تلك المجموعة، وعندما ظهر أن الفتاة تسرع نحوهم، استدارت فجأة بزاوية قائمة، وركضت سريعًا في الاتجاه الجديد لبضع ياردات، ثم انطلقت بسرعة نحو التل مرة أخرى. والآن، هناك محارب واحد، توجد بجواره فجوة واسعة على كل جانب، يعترض طريقها الواضح نحو الحرية، بينما يركض جميع الآخرين بأسرع ما يمكنهم لاعتراضها. كانت موقنة أنها إذا تمكنت من اجتياز هذا المحارب دون تأخير كبير، ستنجح في الهرب، تتوقف كل آمالها على ذلك. أدرك المخلوق ذلك أيضًا، لأنه تحرك بحذر، وإن كان سريعًا، لاعتراضها، مثلما يناور لاعب الرجبي المدافع عندما يدرك أنه يقف بمفرده بين الفريق المنافس وتسديد الكرة في مرماه.

كانت تارا الهيليومية تأمل في البداية أن تتفاداه؛ إذ خمنت أنها أسرع، بل وأكثر مرونة، من هذه المخلوقات الغريبة، لكنها سرعان ما أدركت أن زملاءه الأقرب لها سوف ينقضون عليها خلال الوقت الذي تستغرقه في محاولة التملص من قبضته، وبالتالي يستحيل الهرب، ولذا اختارت أن تتوجه نحوه مباشرة. توقف المخلوق عندما خمّن قرارها،

نصف رابض وبأذرع ممدودة في انتظارها. كان سيفه في إحدى يديه، لكن صوتًا ارتفع بنبرة سلطوية يأمره: «أمسكها على قيد الحياة! لا تضرّ بها!». وعلى الفور، أعاد سيفه إلى غمده، وهنا انقضت عليه تارا الهيليومية. انطلقت مباشرة نحو جسده الجميل، وفي لحظة التفاف ذراعيه ليمسك بها، غاص نصلها الحاد بعمق في صدره العاري. ألقى بها تأثير قوة الطعنة على الأرض، وعندما نهضت تارا الهيليومية على قدميها مرة أخرى، رأت مشهدًا مرعبًا: الرأس الكريه ينفصل ويتدحرج خارج الجسم، ويزحف بعيدًا عنها على ستة أرجل قصيرة تشبه أرجل العنكبوت. كافح الجسم في تشنج، ثم رقد ساكنًا. وعلى الرغم من أن زمن التأخير الناجم عن المواجهة كان قصيرًا، فقد كان مدة كافية لتراجعها؛ إذ عندما نهضت، انقض عليها مخلوقان، وأدركت على الفور أنها محاصرة. غاص نصلها ثانية في الجسد العاري، وتدحرجت الرأس ثانية منفصلة وزحفت بعيدًا. لكنهم تغلبوا عليها، وفي لحظة وجدت نفسها محاطة بالكامل بمائة من هذه المخلوقات، يسعون جميعًا للإمساك بها. تصورت في البداية أنهم يريدون تمزيقها إلى أشلاء انتقامًا لقتلها اثنين من زملائهم، لكنها أدركت أن الفضول وليس الشر هو أكبر دوافعهم.

«هيا!»، قال أحد الخاطفين، بعد أن أمسكاها جيدًا. كان يحاول أخذها معه نحو البرج القريب. صاح الثاني: «إنها لي. ألست أنا من أمسكها؟ إنها ستأتي معي إلى برج مواك».

قال الأول بإصرار: «مستحيل! أنها تبع لوود. سوف آخذها، وسوف يشعر كل من يتدخل بمدى حِدة سيفي، في الرأس!»، ونطق آخر كلمتين وهو يصيح بصوت عال.

«تعالي! هذا يكفي»، صاح بنبرة تحمل معنى السلطة، «لقد أمسكناها في حقول لوود، وبالتالي سوف تذهب إلى لوود».

أصر الرجل الذي زعم أنها تبع مواك: «اكتشفناها في حقول مواك، أسفل برج مواك».

قال تابع لوود: «لقد سمعت ما قاله نولاك، سوف أفعل ما قاله».

أجاب الآخر: «ليس وهذا التابع لمواك يحمل سيفًا. سوف أقطعها إلى نصفين، وآخذ النصف إلى مواك، لا أن أتخلى عنها تمامًا إلى لوود»، وسحب سيفه، أو بالأحرى وضع يده على مقبضه في بادرة تهديد. وقبل أن يفكر حتى في سحبه، كان تابع لوود يوجه طعنة مخيفة بسيفه غاصت بعمق في رأس خصمه. انهار الرأس المستدير الكبير على الفور، كما ينهار البالون المثقوب، وتدفقت منه مادة رمادية شبه سائلة. ظلت الأعين الجاحظة محدقة، وكانت بلا جفون، وأخذت عضلة الفم التي تشبه المعصرة تُفتح وتُغلق، ثم سقط الرأس من الجسم على الأرض. وقف الجسم متبلدًا لبرهة، ثم بدأ يتحرك ببطء هائمًا إلى أن أمسك أحد الآخرين بذراعه.

اقتربت رأس من الرأسين الزاحفين على الأرض، وقالت «هذا

الرايكور[٣٥] ينتمي إلى مواك. أنا مواكي. وسوف آخذه»، ودون مزيد من المناقشة، بدأ يزحف فوق الجزء الأمامي من الجسم مقطوع الرأس، باستخدام سيقانه الستة القصيرة التي تشبه سيقان العنكبوت، فضلًا عن مخلبين قويين في مقدمة سيقانه تشبهان بقوة مخالب سرطان البحر على كوكب الأرض، إلا أنهما كانا من الحجم نفسه. وفي الوقت نفسه، وقف الجسم في لا مبالاة سلبية، يتدلى ذراعاه بإهمال على جانبيه. تسلق الرأس وصولًا إلى الأكتاف، واستقر داخل الطوق الجلدي الذي أصبح الآن يخفي مخالب وسيقان الرأس. وأبدى الجسم على الفور دلائل على حركة ذكية. فقد رفع يديه وضبط الطوق ليصبح أكثر راحة، وأخذ الرأس بين راحتيه وثبتها في مكانها. وعندما بدأ يتحرك، لم تكن حركته بلا هدف، بل كانت خطواته ثابتة وبغرض ما.

شاهدت الفتاة كل هذه الأشياء في تعجب متزايد. والآن، لا يوجد بين المواكيين من يبدو ميالًا للنزاع على حق لوود فيها، واقتادها آسرها نحو البرج الأقرب. رافقهما العديدون، بما فيهم ذلك الذي حمل الرأس الطليق تحت ذراعه. أخذ الرأس المحمول يتحدث مع الرأس المُثبت فوق كتفي الشيء الذي يحمله. ارتعدت تارا الهيليومية. كان

(٣٥) رايكور: حيوان مستأنس يستخدمه عِرق الكلدينيين في جميع الأغراض مثل النقل والطعام، وأداء المهام التي لا يستطيع الكلديتيون القيام بها لضعف أجسامهم. يبدو الرايكور على شكل إنسان بلا رأس، وبشرته من اللون الأحمر الفاتح، عضلاتهم قوية وأجسادهم جميلة، لكنهم لا يستطيعون الحياة من دون الكلدينيين الذين يوجهونهم نحو الطعام. توجد فجوة كبيرة في أعلى جسد الرايكور، يركب فيها الكلدينيون ويمسكون العمود الفقري المكشوف بما يمكنهم من السيطرة على أطراف الرايكور. ويُقال إن الرايكور هو هجين من أسرى المريخيين الحُمر وحيوان مريخي أليف كان الكلدينيون يستخدمونه - http://barsoom.wikia.com/wiki/Rykor - المترجمة.

الأمر مريعًا! كل ما رأته من هذه المخلوقات المخيفة كان فظيعًا، فضلًا عن أن تكون سجينة تحت سلطتهم تمامًا. يا لظلم سلفها الأول! ماذا فعلت لتستحق هذا المصير القاسي؟

توقفوا عند الجدار المحيط بالبرج، بينما يفتح أحدهم البوابة، ثم دخلوا إلى الحظيرة. ويا لرعب الفتاة التي وجدتها مليئة بأجساد بلا رؤوس! وضع المخلوق الذي حمل الجسم مقطوع الرأس هذا العبء على الأرض، حيث زحف الجسم فورًا نحو أحد الأجسام القريبة الراقدة. كانت بعض الأجسام تتحرك في غباء جيئة وذهابًا، لكن هذا الجسم كان يرقد ساكنًا. كان جسم أنثى. زحف الرأس إلى الجسم، وشق طريقه نحو الكتفين وثبّت نفسه. وقف الجسم بخفة منتصبًا. اقترب أحد أولئك الذين رافقوهم من الحقول، ومعه العتاد والطوق المأخوذ من الجسم الميت الذي كان الرأس فوقه سابقًا. استولى عليها الآن الجسم الجديد، حيث تولت اليدين تثبيتهم ببراعة. وأصبح المخلوق الآن في حالة جيدة، كما كان قبل أن تطعن تارا جسمه السابق بنصلها الرفيع. لكن الأمر اختلف، فقد كان ذكرًا من قبل، والآن أنثى. على أن ذلك لم يُحدث فارقًا في الرأس. وفي واقع الأمر، لاحظت تارا -أثناء التدافع والمعركة عليها- أن الاختلافات بين خاطفيها الذكور والإناث تكاد تكون معدومة. فقد شارك كلاهما على قدم المساواة في مطاردتها، وارتدى كلاهما عتادًا متطابقًا، وحمل كلاهما سيوفًا. كما شهدت العديد من الإناث والذكور يمتشقون أسلحتهم في اللحظة التي بدا فيها أن العراك بين الفصيلين أصبح وشيكًا.

لم تحظ الفتاة سوى بفرصة قصيرة لملاحظة المخلوقات المثيرة للشفقة في الحظيرة، فبعد أن وجه آسرها الآخرين بالعودة إلى الحقول، قادها في اتجاه البرج. دخلا إلى شقة يبلغ عرضها حوالي عشرة أقدام وطولها حوالي عشرين قدم، يوجد في أحد طرفيها سلم يؤدي إلى مستوى أعلى، وتوجد في الطرف الآخر فتحة لسلم مماثل يقود إلى أسفل. على الرغم من أن الغرفة تقع على نفس مستوى الأرض، فقد كانت مضاءة ببراعة عن طريق نوافذ جدارها الداخلي، حيث يأتي الضوء من فناء دائري في وسط البرج. تقع جدران الفناء في مواجهة ما يشبه البلاط الأبيض المصقول، والجزء الداخلي كله مغمورًا بضوء مبهر، وهو ما أوضح للفتاة على الفور الغرض من المناشير الزجاجية التي بُنيت بها القباب. وكانت السلالم نفسها كافية لإثارة الملاحظة؛ إذ تُستخدم الممرات المائلة، ففي جميع العمارة البرسومية، بغرض الاتصال بين المستويات المختلفة، ويصدق ذلك بوجه خاص على التكوينات القديمة وفي المقاطعات البعيدة التي شهدت تغيرات قليلة في عادات وتقاليد العصور القديمة.

قاد الآسر تارا الهيليومية أسفل السلم، إلى أسفل وأسفل خلال غرف لا تزال مضاءة من المصدر الرائع. كانا يمران أحيانًا عبر آخرين يسيرون في الاتجاه المعاكس، ويتوقفون دائمًا لفحص الفتاة وتوجيه أسئلة إلى آسرها.

وكانت إجابته على الفضوليين: «لا أعرف أي شيء. لكنها وُجِدت في الحقول، وأمسكت بها بعد قتال، قتلت هي خلاله ريكورين، وقتلت

أنا أحد اتباع مواك، وآخذها الآن إلى لوود الذي تنتمي إليه، بطبيعة الحال. وإذا أراد لوود استجوابها، فالأمر متروك له، وليس هذا شأني».

وصلا الآن إلى غرفة تضم نفقًا دائريًا يخرجهما بعيدًا عن البرج، وقادها المخلوق عبر هذا الطريق. يبلغ قُطر النفق سبعة أقدام، وأرضيته مُسطحة لتصلح كممشى. كانت المسافة من البرج ولمائة قدم مبطنة بنفس المادة الشبيهة ببلاط مصدر الضوء، ومضاءة جيدًا بالضوء المنعكس من هذا المصدر. كان النفق يواجه، بعد ذلك، أحجارًا من أشكال وأحجام مختلفة، تم تقطيعها وتركيبها معًا بإتقان، فسيفساء شديدة الدقة دون نمط محدد. توجد أيضًا فروع وأنفاق أخرى تتقاطع مع هذا النفق، وتوجد أحيانًا فتحات لا يزيد قُطر أي منها على قدم واحد، وعادة ما تكون قريبة من الأرضية. ومرسوم فوق كل فتحة من هذه الفتحات الصغيرة شعار مختلف، بينما ظهرت كتابة هيروغليفية عند كافة نقاط التقاطع والتلاقي على جدران النفق الأكبر. لم تتمكن الفتاة من قراءة هذه الكتابة، وإن خمنت أنها أسماء الأنفاق، أو إشعارات تشير إلى الاتجاهات التي تؤدي إليها. حاولت دراسة بعض النقوش، ولكن لا يوجد أي حرف مألوف لديها، وهو الأمر الذي يبدو غريبًا؛ إذ بينما تختلف اللغات المكتوبة في أمم برسوم، يوجد بينها العديد من الأحرف والكلمات المشتركة.

حاولت الفتاة التحدث مع حارسها، لكنه بدا غير راغب في الحديث معها، فتوقفت عن المحاولة عندما أدركت ذلك. لاحظت أنه لم يتعرض لها بأي إهانة، كما لم يكن خشنًا دون داع أو بأي شكل من

أشكال القسوة. ويبدو أن قتلها لجسدين بخنجرها لم يثر أي عداء أو رغبة الانتقام في أذهان الرؤوس الغريبة التي علت الأجسام، حتى أولئك الذين تعرضت أجسامهم للقتل. لم تحاول فهم الأمر، لأن معرفتها أو خبرتها السابقة لم تمكنها من تحديد العلاقة الغريبة بين رؤوس وأجسام هذه المخلوقات، ولا تبعث معاملتهم لها حتى الآن على أي شيء يثير مخاوفها. وربما من حسن حظها أنها وقعت في أيدي هذه المجموعة الغريبة من الناس، الذين قد لا يقتصر الأمر على حمايتهم لها من الضرر، بل ربما يساعدوها أيضًا في العودة إلى هيليوم. لم تنس أنهم يثيرون الاشمئزاز ويتسمون بالغرابة. وإذا كانوا لا يقصدون إلحاق أي ضرر بها، يمكنها على الأقل أن تتغاضى عن شعورها بالاشمئزاز. أثار تجدد الأمل داخلها روحًا من البهجة، وتحركت بمرح تقريبًا الآن إلى جانب رفيقها الغريب، بل وجدت نفسها تدندن لحنًا مرحًا يتمتع بالشعبية في هيليوم. أدار المخلوق الواقف بجانبها عينيه الخاليتين من أي تعبير نحوها.

وسألها: «ما هذا الضجيج الذي تصدرينه؟».

أجابت: «ليس سوى دندنة لحن».

كرر بعدها: «دندنة لحن! أنا لا أعرف ماذا تعنين، ولكن قومي بذلك ثانية، فقد أعجبني».

قامت الفتاة هذه المرة بغناء الكلمات، بينما يستمع رفيقها باهتمام. لم يدل وجهه على ما يدور داخل هذا الرأس الغريب؛ فقد خلا وجهه من أي تعبير، مثله مثل العنكبوت. لقد ذكّرها بالعنكبوت. وعندما انتهت،

التفت نحوها ثانية.

وقال: «هذا مختلف. أعجبني أكثر حتى من الآخر. كيف تفعلين ذلك؟».

قالت: «لماذا، هذا هو الغناء. ألّا تعرف ما الأغنية؟».

أجاب: «كلا. أخبريني كيف تفعلين ذلك».

قالت: «يصعب الشرح؛ فأي شرح يفترض بعض المعرفة بالنغم والموسيقى، بينما يشير سؤالك إلى أنك لا تعرف أيًا منهما».

قال: «كلا، لا أعرف ما تتحدثين عنه، ولكن قولي لي كيف تفعلين ذلك؟».

أوضحت: «إنها مجرد تحويرات لإيقاعات صوتي. استمع!»، وغنت مرة أخرى.

قال بإصرار: «أنا لا أفهم، لكنه يعجبني. هل يمكنك تعليمي أن أفعل ذلك؟».

أجابته: «لا أعرف، ولكن يسعدني أن أحاول».

فقال: «سوف نرى ماذا سيفعل لوود معك. إذا لم يكن يريدك، سوف أحتفظ بك، وأنت تقومين بتعليمي إصدار مثل هذه الأصوات».

أخذت تُغني ثانية، بناء على طلبه، وهما يواصلان طريقهما عبر النفق المتعرج، الذي أصبح الآن مضاء بمصابيح متباعدة تبدو مماثلة لمصابيح الراديوم المألوفة لديها والمشتركة بين جميع أمم برسوم، حيث أُتقِن صنعها، بقدر ما تعرف، منذ فترة بعيدة جدًا لدرجة فقدان أصلها في

العصور القديمة. تتكون هذه المصابيح، عادة، من وعاء نصف كروي من الزجاج الثقيل، الزجاج الذي يحتوي على مُركب يضم، وفقًا لجون كارتر، ما يجب أن يكون عنصر الراديوم، يُلصق الوعاء بعد ذلك على صفيحة معدنية ذات ظهر معزول بدرجة كبيرة، ويُثبت الوعاء بالصفيحة في بنية الجدار أو السقف، حسب الرغبة، حيث يُصدر ضوءًا بشدة أكبر أو أقل وفقًا لتركيبة المادة المُعبأة، ولفترة زمنية غالبًا لا حصر لها.

التقيا خلال سيرهما بعدد كبير من سكان هذا العالم تحت الأرضي، ولاحظت الفتاة أن معادن وعتاد العديد من هؤلاء السكان كانت أكثر زخرفة مما يرتديه العاملون في الحقول أعلاه. بيد أن الرؤوس والأجسام كانت متشابهة، بل متطابقة. لم يلحق بها أحد الضرر، وتشعر الآن بشعور أقرب إلى السعادة. وهنا، دخل مرشدها فجأة إلى فتحة في الجانب الأيمن من النفق، ووجدت نفسها في غرفة كبيرة وجيدة الإضاءة.



الفصل (٥)

العقل المثالي

ماتت الأغنية التي كانت على شفتيها عندما دخلت الغرفة، تجمدت من مشهد الرعب الذي التقى عينيها. يرقد على الأرض في وسط الغرفة جسم مقطوع الرأس -جسم تم التهامه جزئيًا- بينما تزحف نحوه وفوقه نصف دزينة من الرؤوس، يسيرون على أرجلهم العنكبوتية القصيرة، ويمزقون جسم المرأة بمخالبهم، ثم يحملون القطع الممزقة إلى أفواههم الفظيعة. إنهم يأكلون لحوم البشر، يأكلونه نيئًا!

لهثت تارا الهيليومية رعبًا، وابتعدت وهي تغطي عينيها براحتيها.

قال آسرها: «تعالي! ما الأمر؟».

همست بنبرة مرتعبة: «إنهم يأكلون لحم جسد المرأة».

سألها: «ولِمَ لا؟ هل تتصورين أننا نحتفظ بالرايكور للعمل فقط؟ آه، كلا. إن مذاقهم لذيذ عند الإبقاء عليهم وتسمينهم. وهذا أيضًا من حسن حظ من نربيهم للغذاء، فهم لا يفعلون أي شيء على الإطلاق إلا أن يأكلوا».

صاحت: «يا للبشاعة!».

ركز نظره عليها للحظة، لكن وجهه الخالي من التعبير لم يكشف إن كانت نظرته تنم عن المفاجأة، أو الغضب، أو الشفقة. قادها بعد ذلك عبر الغرفة، مرورًا بذلك المشهد المخيف الذي أبعدت نظرها عنه. كانت ترقد على الأرض، بالقرب من الجدران، نصف دزينة من الأجسام مقطوعة الرأس وترتدي العتاد. خمنت الفتاة أن الرؤوس المحتفلة بالوليمة قد تخلت مؤقتًا عن هذه الأجسام، إلى أن يحتاجوا ثانية إلى خدماتهم. اشتملت جدران هذه القاعة على الكثير من الفتحات المستديرة الصغيرة، التي لاحظت الفتاة وجودها في أجزاء مختلفة من الأنفاق، لكنها لم تستطع تخمين الغرض منها.

سارا عبر ممر آخر، ثم غرفة ثانية أكبر من الأولى ومضاءة على نحو أكثر براعة. رأت داخلها العديد من المخلوقات ذات رؤوس وأجساد، بينما ترقد العديد من الأجسام مقطوعة الرأس قرب الجدران. توقف هنا آسرها، وتحدث مع أحد شاغلي الغرفة.

قال: «أسعى إلى لوود. أحضرتُ له مخلوقًا قبضت عليه في الميادين العلوية».

تزاحم الآخرون لفحص تارا الهيليومية. أصدر أحدهم صفيرًا، وعندها عرفت الفتاة شيئًا عن الفتحات الصغيرة في الجدران؛ إذ زحف منها على الفور ما يشبه العناكب العملاقة: عشرات أو أكثر من الرؤوس البشعة. توجه كل منها نحو أحد الأجسام الراقدة وقام بتثبيت نفسه في المكان المحدد، واستجابت الأجسام فورًا في الاتجاه الذكي للرؤوس،

نهضت المخلوقات، وتولت الأيدي تعديل الأطواق الجلدية ووضع باقي العتاد في موضعه، ثم عبرت الغرفة إلى حيث تقف تارا الهيليومية. لاحظت الفتاة أن زخارف جلودهم أكثر من تلك التي يرتديها أي من الآخرين الذين شاهدتهم سابقًا، وبالتالي خمنت أنهم أعلى سلطة من الآخرين. لم تكن مخطئة؛ فقد أشار سلوك آسرها إلى ذلك، حيث خاطبهم كمن يخاطب رؤساءه.

قام العديدون الذين فحصوا جسمها بقرصها بلطف باستخدام الإبهام والسبابة، وشعرت الفتاة بالاستياء. ضربت على أيديهم لإزاحتها وهي تصيح بغطرسة: «لا تلمسني! أليست أميرة هيليوم؟» لم يتغير التعبير على تلك الوجوه الرهيبة. لم يكن بمقدورها أن تحدد ما إذا كانوا غاضبين أو مستمتعين، وما إذا كان ما فعلته أثار احترامهم أو ازدراءهم لها. تحدث واحد منهم فقط على الفور.

وقال: «يجب زيادة تسمينها».

اتسعت أعين الفتاة من الرعب. وتحولت نحو آسرها صائحة: «هل تعتزم هذه المخلوقات المخيفة التهامي؟».

أجابها: «هذا ما سوف يقرره لوود»، ثم انحنى مقربًا فمه من أذنها وقال هامسًا: «الضجيج الذي سمعته منك وتسميه أغنية قد أعجبني، وسوف أكافئك بتحذيرك عدم استعداء هؤلاء الكلدينيين[٣٦]. إنهم أقوياء جدًّا، ولوود يستمع إليهم. لا تقولي عنهم مخيفين. إنهم يتمتعون

(٣٦) الكلدينيون: عِرق مريخي شديد الذكاء، يسكن في منطقة صغيرة في برسوم تُعرف باسم بانتوم وغير معروفة للعالم خارجها - https://barsoom.fandom.com/wiki/Kaldane - المترجمة.

بالوسامة. انظري إلى زخارفهم الرائعة، وذهبهم، وجواهرهم».

قالت: «شكرًا لك. لقد أطلقت عليهم الكلدينيين، ما معنى ذلك؟».

أجاب: «إننا جميعًا كلدينيون».

سألته: «وأنت أيضا؟»، وأشارت إليه، موجهة إصبعها النحيل نحو صدره».

قال وهو يلمس جسمه: «كلا، ليس هذا، هذا رايكور»، ثم أضاف وهو يلمس رأسه: «لكن هذا كلديني. إنه العقل والفكر، والسلطة التي توجه كل الأشياء»، ثم أشار إلى جسمه وقال: «الرايكور ليس شيئًا، إنه ليس حتى كالمجوهرات على عتادنا، كلا، ليس حتى كالعتاد نفسه، إنه مجرد يحملنا. صحيح أننا سنجد صعوبة في العيش من دونه، لكن قيمته أقل من قيمة العتاد أو الجواهر؛ لأن إعادة إنتاجه أقل صعوبة». التفت ثانية إلى الكلدينيين الآخرين، وقال: «هل ستخبرون لوود أنني هنا؟».

أجاب أحدهم: «ذهب سيبت بالفعل إلى لوود. وسوف يقول له. أين وجدت هذا الرايكور مع الكلديني الغريب الذي لا يمكنه فصل نفسه؟».

حكى آسر الفتاة ثانية قصة الإمساك بها. قص الحقائق كما حدثت تمامًا، دون تجميل، وكان صوته بلا تعبير كوجهه، كما استقبل الآخرون قصته بنفس الطريقة. بدت المخلوقات تفتقر تمامًا إلى العاطفة أو -على الأقل- قدرة التعبير عنها، وكان من المستحيل الحُكم على ما تركته القصة من انطباع عليهم، أو حتى إن كانوا سمعوها، فقد كانت

أعينهم الجاحظة تحدق ببساطة، وعضلات أفواههم تُفتح وتُغلق أحيانًا، ولم تقلل الألفة من رعب الفتاة منهم، كلما شاهدتهم، زاد شعورها بالاشمئزاز منهم، وكثيرًا ما اهتز جسمها بارتعاشات تشنجية عندما تنظر إلى الكلدينيين. لكنها تشعر بالهدوء والانتعاش عندما تقع عيناها على أجسامهم الجميلة، وتتمكن للحظة من حذف الرؤوس من ذهنها، على الرغم من أن مشهد الأجسام مقطوعة الرأس الراقدة على الأرض كان صادمًا مثل مشهد الرؤوس وهي تصعد على الأجسام. على أن المشهد الأكثر بشاعة وغرابة حتى الآن هو تلك الرؤوس الزاحفة على أرجل عنكبوتية. وكانت تارة على يقين بأنها ستصرخ إذا اقترب أحدهم منها ولمسها، بينما قد يحاول أحدهم الزحف فوقها - أووووه! أثارت الفكرة نفسها شعورًا بالدوار.

عاد سيبت إلى الغرفة، وقال: «سوف يقابلكِ لوود، أنتِ والأسر. هيا!»، ثم استدار نحو باب في الجهة المقابلة للباب الذي دخلت منه تارا إلى الغرفة. سأل سيبت آسر الفتاة: «ما اسمك؟».

أجاب: «أنا جيك، كبير العمال الثالث في حقول لوود».

«وما اسمها؟».

«لا أعرف».

«لا يهم. هيا!»

ارتفعت عاليًا الحواجب الأرستقراطية لتارا الهيليومية. لا يهم، طبعًا! إنها، أميرة هيليوم، الابنة الوحيدة لأمير الحرب في برسوم!

صاحت: «انتظر! يهمني أن تعرفوا من أنا، إذا كنتم تأخذونني إلى حضرة الجد، عليكم أن تعلنوا عن الأميرة تارا الهيليومية، ابنة جون كارتر، أمير الحرب في برسوم».

قال سيت آمرًا: «صمتًا! لا تتحدثي إلا عندما يُطلب منك. تعالي معي!».

اختنقت تارا من الغضب. حثها جيك: «هيا»، وأمسكها من ذراعها، وسارت معه. لم تكن سوى أسيرة، لا تعني الرتب والألقاب أي شيء لهؤلاء الوحوش القساة. قادوها عبر ممر قصير، على شكل S، إلى غرفة مبطنة كلية بمادة بيضاء مثل البلاط، في مواجهة المناطق الداخلية للجدار الخفيف. توجد العديد من الفتحات الدائرية الصغيرة بالقرب من قاعدة الجدران، لكنها أكبر من تلك الفتحات المشابهة التي لاحظتها في مكان آخر، وكانت معظم هذه الفتحات مغلقة. توجد أمام المدخل مباشرة فتحة ذات إطار ذهبي، وفوقها شعار غريب مُرصَّع بالمعدن الثمين نفسه.

وقف سيت وجيك في الغرفة والفتاة بينهما، وقف ثلاثتهم بصمت أمام الفتحة في الجدار المقابل. رقد على الأرض بجوار الفتحة جسم رجل مقطوع الرأس، بأبعاد تكاد أن تكون ملحمية، ووقف على جانبيه محارب مدجج بالسلاح، يمتشق سيفه. انتظر الثلاثة ربما لخمس دقائق، ثم ظهر شيء في الفتحة. كان زوجًا من مخالب كبيرة، زحفت مباشرة لتصعد فوق الجسم الكلديني البشع، هائل الأبعاد. كان هذا النصف ضخمًا مثل كل من رأتهم تارا الهيليومية، ومظهره الكامل أكثر فظاعة بلا حدود. كانت بشرة الآخرين من اللون الرمادي المشوب بالزرقة، أما

هذا، فكانت بشرته ذات مسحة أكثر زُرقة بقليل، وكانت أعينه محاطة بخطوط بيضاء وقرمزية، مثلما كان فمه أيضًا.

ومن كل فتحة من فتحتي أنفه، امتد أفقيًا خط أبيض وخط قرمزي بعرض الوجه.

لم يتحدث أو يتحرك أحد. زحف المخلوق نحو الجسم الممدد، وثبّت نفسه في موضع الرقبة، ثم ارتفع الاثنان ككيان واحد، واقترب من الفتاة. نظر إليها، ثم تحدث إلى آسرها.

سأله: «أنت كبير العمال الثالث في ميادين لوود؟».

«نعم، لوود، واسمي جيك».

«قل لي ما تعرفه عن هذه»، وأومأ نحو تارا الهيليومية.

أطاع جيك الأمر وأخبره، ثم توجه لوود نحو الفتاة لمخاطبتها.

سألها: «ماذا كنت تفعلين داخل حدود بانتوم؟».

«قذفتني عاصفة شديدة إلى هنا وأصابت طائرتي، التي حملتني بالتالي إلى حيث لا أعرف. وقد هبطتُ إلى الوادي ليلًا بحثًا عن الطعام والشراب. جاءت حيوانات البانث، فلجأت إلى شجرة من أجل السلامة، ثم أمسك بي شعبك عندما كنت أحاول مغادرة الوادي. أنا لا أعرف لماذا أخذوني، لم أفعل أي شيء مُضرّ، وكل ما أطلبه أن تسمح لي بمواصلة طريقي بسلام».

أجاب لوود: «من يدخل بانتوم لا يغادرها أبدًا».

«لكن شعبي ليس في حرب مع شعبكم. أنا أميرة هيليوم، جدي

الأكبر جيداك، وجدي جِد، ووالدي أمير الحرب في برسوم كلها. لا يحق لك إبقائي، وأطلب منك إطلاق سراحي في الحال».

كرر المخلوق دون أي تعبير على وجهه: «من يدخل بانتوم لا يغادرها أبدًا. أنا لا أعرف أي شيء عن المخلوقات الأدنى في برسوم، الذين تتكلمين عنهم. لا يوجد سوى عِرق سام واحد -عِرق البانتوميين، الطبيعة كلها موجودة لخدمتهم. وسوف تقومين بدورك، ولكن ليس بعد- أنت نحيفة جدًّا. علينا تسمينها يا سيبت. لقد سئمت من الرايكور. ولعل هذه تتسم بمذاق مختلف. حيوانات البانث كريهة جدًّا، ونادرًا ما يدخل أي مخلوق آخر إلى الوادي. أما أنت يا جيك، فسوف نكافئك، سوف أُرقيك من الحقول إلى الجحور. ومن الآن فصاعدًا، ستظل تحت الأرض كما يتوق كل بانتومي. ولن تضطر بعد الآن إلى تحمل الشمس البغيضة، أو تنظر إلى السماء البشعة، أو الأمور البغيضة التي تنمو وتشوه السطح. وفي الوقت الحالي، عليك أن تعتني بهذا الشيء الذي أحضرته لي، تأكد من أنها تنام وتأكل، ولا تفعل أي شيء آخر. تفهمني، جيك، لا تجعلها تفعل أي شيء آخر!».

أجاب جيك: «أفهم، لوود».

قال المخلوق آمرًا: «خذوها بعيدًا».

استدار جيك وقاد تارا الهيليومية خارج الغرفة. شعرت الفتاة بالهلع وهي تفكر في المصير الذي ينتظرها، المصير الذي يبدو لا مفر منه. كان واضحًا أن هذه المخلوقات لا تملك أي مشاعر رقيقة أو شهامة يمكن أن تستنجد بها، كما يبدو من المستحيل الإفلات من متاهات ممرات

جحورهم تحت الأرضية. يبدو مستحيلًا.

لحق بهما سيبت خارج القاعة العامة وتحدث مع جيك لفترة وجيزة، ثم قادها حارسها خلال شبكة مُربِكة من الأنفاق المتعرجة حتى وصلا إلى شقة صغيرة.

«سوف نبقى هنا لفترة، ربما يرسل لوود لرؤيتك ثانية، وإذا لم يفعل، ربما لن يتم تسمينك، بل سيستخدمك لغرض آخر». كان من حسن حظ الفتاة وراحة بالها أنها لم تدرك مقصده، ثم قال جيك: «غنّي لي».

لم تشعر تارا بأي رغبة على الإطلاق في الغناء، لكنها غنّت؛ فقد كان لديها أمل دائم في الهرب عند أي فرصة، وإذا تمكنت من الفوز بصداقة أحد هذه المخلوقات، ستزداد فرصها نسبيًا. وقف جيك وعيناه ثابتتان نحوها طوال هذه المحنة، مما أثار توترها.

وعندما انتهت من الغناء، قال: «هذا رائع، لكنني لم أخبر لوود. لاحظتِ أنني لم أخبر لوود حول هذا الموضوع. إذا عرف، كان سيجعلك تغنين له، وبالتالي سيبقيك معه حتى يسمع الغناء كلما أراد، أما الآن، أنت معي طوال الوقت».

سألته الفتاة: «كيف تعرف أن غنائي سيعجبه؟».

أجاب جيك: «سيعجبه. إذا أعجبني شيء، إذن سيعجبه. ألسنا جميعًا متطابقين؟».

قالت الفتاة: «الناس في عِرقي لا تعجبهم نفس الأشياء».

علّق جيك: «يا للغرابة! يحب الكلدينيون نفس الأشياء ويكرهون نفس الأشياء. إذا اكتشفت شيئًا جديدًا وأعجبني، فإنني أعلم أنه سوف يلقى إعجاب جميع الكلدينيين. ولذا أنا أعرف أن لوود سوف يعجبه غناءك. نحن جميعًا نتشابه، كما ترين».

قالت الفتاة: «لكنك لا تبدو مثل لوود».

«لوود هو الملك، وهو أكبر حجمًا وأكثر روعة، لكننا، أنا وهو، متطابقين، ولِمَ لا؟ ألم يُنتِج لوود البيضة التي خرجت أنا منها؟».

استفهمت الفتاة: «ماذا؟ لم أفهم ما قلته».

أوضح جيك: «نعم، لقد خرجنا جميعًا من بيض لوود، تمامًا مثل جميع سرب مواك، خرجوا جميعًا من بيض مواك».

صاحت تارا بنبرة تدل على الفهم: «أوه! تقصد أن لوود لديه العديد من الزوجات، وأنت من ذرية واحدة منهن».

أجاب جيك: «كلا، ليس على الإطلاق. لوود ليس له زوجة، إنه يضع البيض بنفسه. أنت لا تفهمين».

أقرت تارا الهيليومية أنها لم تفهم.

قال جيك: «سأحاول إذن أن أشرح لك، إذا أعطيتني وعدًا أنك سوف تُغنين لي في وقت لاحق».

قالت: «أعدك».

بدأ يشرح: «نحن لسنا مثل الرايكور، فهم مخلوقات من مرتبة أدنى، مثلك ومثل البانث وأشياء من هذا القبيل. ليس لدينا نوعًا جنسيًّا، ولا

أي أحد منا ما عدا الملك، فهو ثنائي الجنس. يبيض الملك العديد من البيض، الذي نخرج منه نحن، العمال والمحاربين، ومن بين كل ألف بيضة، توجد بيضة واحدة تفقس ملكًا. هل لاحظت الفتحات المغلقة في الغرفة التي رأيت فيها لوود؟ تضم كل منها ملكًا آخر، إذا هرب أحدهم، سينقض على لوود ويحاول قتله، وإذا نجح، سيصبح لدينا ملك جديد، ولكن لن يحدث أي فارق، سيكون اسمه لوود، ويستمر كل شيء كما كان من قبل. ألا ترين أننا متشابهين؟ يعيش لوود منذ فترة طويلة، وأنتج العديد من الملوك، ولذا يترك عددًا قليلًا فقط من هذا البيض حيًا بحيث يوجد من يخلفه عند وفاته، ويقتل الآخرين».

سألت الفتاة: «لماذا يحتفظ بأكثر من واحد؟».

أجاب جيك: «تحدث في بعض الأحيان حوادث، ويُقتل جميع الملوك الذين يحافظ السرب عليهم، وعندما يحدث ذلك، يحصل السرب على ملك آخر من سرب مجاور».

سألت الفتاة: «وهل جميعكم أبناء لوود؟».

أجابها: «جميعنا باستثناء عدد قليل، من خرجوا من بيض الملك السابق، لكن لوود عاش فترة طويلة ولا يوجد الكثير من الآخرين».

سألته تارا: « هل تعيشون فترة طويلة أم قصيرة؟».

«فترة طويلة».

«وهل يعيش الرايكور أيضًا فترة طويلة؟».

قال: «كلا، يعيش الرايكور عشر سنوات، ربما، إذا استمروا أقوياء

ومفيدين. عندما لا يعُد في مقدورهم خدمتنا، إما بسبب كبر السن أو المرض، نتركهم في الحقول وتأتي حيوانات البانث في الليل وتحصل عليهم».

صاحت: «يا لها من فظاعة!».

كرر كلمتها: «فظاعة؟ لا أرى أي فظاعة. الرايكور ليس سوى جسم بلا عقل.. إنهم لا يرون، ولا يشعرون، ولا يسمعون، وبالكاد ما يتحركون، ولنا فقط، وسيموتون جوعًا إن لم نجلب لهم الطعام. كما أنهم لا يفكرون، إنهم ليسوا سوى جلودنا. وكل ما يمكنهم القيام به لأنفسهم هو أخذ الطعام من الحوض ووضعه في أفواههم. أما وهم معنا - انظري إليهم!»، ثم استعرض بفخر الجسم النبيل أسفله، جسم مفعم بالحياة والطاقة والشعور.

سألته تارا: «كيف تفعل ذلك؟ أنا لا أفهم على الإطلاق».

قال: «وسوف أجعلك تشاهدين»، ثم استلقى على الأرض وفصل نفسه عن الجسم، وهنا أصبح الجسم ممددًا كشيء ميت، سار على ساقيه العنكبوتيتين نحو الفتاة، وقال: «انظري الآن، هل ترين هذا الشيء؟»، ومدّ ما بدا حزمة مخالب من الجزء الخلفي من رأسه. «توجد فتحة في مؤخرة فم الرايكور، فوق الطرف العلوي مباشرة من عموده الفقري. أقوم بإدخال مخالبي في هذه الفتحة، وأمسك بالحبل الشوكي. وعندئذ أتحكم على الفور في كل عضلة بجسم الرايكور لأنه يصبح جسمي، مثلما يمكنكِ توجيه حركة عضلات جسمِك. أنا أشعر بما قد يشعر به الرايكور إذا كان لديه رأس ومخ. إذا أصابه ضرر،

فإنني سأعاني إذا بقيت متصلًا به، ولذا في اللحظة التي يُصاب فيها أحدهم بجروح أو بمرض، فإننا نهجره إلى رايكور آخر. وكما يمكننا أن نعاني آلام إصاباتهم البدنية، فإننا نستمتع بالمثل بملذات الرايكور الجسدية. عندما يصبح جسمك مُجهدًا، تكونين عديمة الفائدة نسبيًا، وعندما يمرض، تمرضين، وإذا قُتل، تموتين. أنت أَمَة لكتلة غبية من اللحم والعظام والدم. لا يوجد شيء في جثتك أفضل مما في جثة البانث. إن عقلك فقط هو ما يجعلك أعلى من البانث، لكن عقلك مُقيد بحدود جسمك. لكن الأمر مختلف بالنسبة لنا، حيث العقل هو كل شيء. يشغل العقل ٩٠٪ من حجمنا. وليس لدينا سوى أبسط الأعضاء الحيوية، وهي صغيرة جدًّا؛ إذ ليس عليها أن تساعد في دعم نظام معقد للأعصاب، والعضلات، واللحم، والعظام. ليس لدينا رئتين؛ لأننا لا نحتاج إلى الهواء. وعلى مسافة كبيرة أسفل المستويات التي يمكن أن تأخذ الرايكور إليها، توجد الحياة الحقيقية التي يعيشها الكلدينيون في شبكة واسعة من الجحور. لكن الرايكور الذي يتنفس الهواء سوف يهلك هناك، مثلك أيضًا فأنت هناك تموتين. ونحن نُخزن هناك كميات كبيرة من الطعام في غُرف مُحكمة الإغلاق، وسوف يستمر ذلك إلى الأبد. وتوجد مياه تحت السطح بمسافة كبيرة، سوف تتدفق لعدد لا يُحصى من العصور بعد استنفاد المياه السطحية. ونحن نستعد للزمن الذي نعلم أنه سيأتي، عندما تُستنفد البقايا الأخيرة من جو برسوم، وعندما تنفد المياه والأطعمة. وقد أنشأنا لهذا الغرض شيئًا لا يموت من جراء الطبيعة على الكوكب: إنه العقل المثالي».

سألته الفتاة: ولكن، ما الغرض الذي تستهدفونه عندما يحين ذلك الوقت؟».

قال: «أنت لا تفهمين. الأمر أكبر من قدرتك على استيعابه، لكنني سأحاول أن أشرحه لك. توجد الأقمار والشمس والنجوم في برسوم لغرض واحد، منذ بداية الزمن، عملت الطبيعة باجتهاد نحو تحقيق هذا الغرض. كانت الأشياء موجودة في الحياة منذ البداية، لكنها كانت بلا عقل. تطورت تدريجيًا النُظُم العصبية البدائية والعقول الصغيرة، وهكذا استمر التطور.. أصبحت العقول أكبر حجمًا وأكثر قوة. وأنت تشاهدين فينا أعلى تطور، لكن بعضنا يعتقد أنه لا تزال هناك خطوة أخرى، وهي أن عِرقنا سوف يتطور في المستقبل البعيد إلى الشيء الخارق: العقل فقط. ستختفي السيقان والمخالب والأعضاء الحيوية، وسيصبح الكلديني في المستقبل مجرد عقل ضخم، أصم، وأبكم، وأعمى، ويعيش في قبو محكم الإغلاق، مدفون تحت سطح برسوم: مجرد عقل عظيم ورائع وجميل، دون أي شيء يلهيه عن التفكير الأبدي».

صاحت تارا: «تعني أنه سيرقد هناك وبغرض التفكير فحسب؟».

قال: «مجرد ذلك! هل هناك أروع من ذلك؟».

أجابت الفتاة: «نعم، يمكنني التفكير في عدد من الأشياء التي ستكون روعتها بلا نهاية».



الفصل (٦)

في وسط الرعب

ما قاله المخلوق لتارا الهيليومية، منحها غذاء للفكر. كانت تعرف أن كل شيء قد خُلِق لتحقيق غرض مفيد، واجتهدت بإخلاص لاكتشاف الموقع المناسب للكلدينيين في المخطط الكوني. وكانت على يقين أن لهم موقع، لكنه يتجاوز تصورها، وبالتالي عليها أن تستسلم. تذكرت مجموعة صغيرة من الأشخاص في هيليوم، نبذوا متع الحياة سعيًا للمعرفة. كانوا متعجرفين في علاقاتهم بمن يعتبرونهم أدنى فكرًا؛ فقد اعتبروا أنفسهم على درجة عالية من التفوق. وابتسمت عندما تذكرت ملاحظة قالها والدها ذات مرة حولهم، مفادها أن أيًا منهم إذا قرر إسقاط أنانيته وتدميرها، سيستغرق تطهير هيليوم أسبوعًا. يحب والدها الناس العاديين، ويرى أن الذين يعرفون القليل والذين يعرفون الكثير هم على قدم المساواة. وتارا الهيليومية مثل والدها في هذا الصدد، ومثله أيضًا في أنها عاقلة وطبيعية.

على الرغم من الخطر الذي تواجهه، أثار هذا العالم الغريب اهتمامها. شعرت بالشفقة تجاه الرايكور، كما أثار داخلها تخمينات واسعة. كيف ومن أي نموذج تطور؟ وسألت جيك.

فقال: «غنّي لي مرة أخرى، وسوف أقول لكِ، إذا سمح لي لوود أن أحتفظ بكِ، لن تموتي أبدًا. يجب أن احتفظ بكِ دائمًا، حتى تُغنين لي».

اندهشت الفتاة من تأثير صوتها على المخلوق. هناك عصب في مكان ما في هذا العقل الهائل يتأثر باللحن. كانت هذه هي الرابطة الوحيدة بينها وبين هذا العقل عند فصله عن الرايكور. وربما يتمتع بغرائز بشرية أخرى عندما يهيمن على الرايكور، لكنها خافت حتى من مجرد التفكير في ذلك. بعد أن غنت، انتظرت أن يتحدث جيك، لكنه ظل صامتًا لفترة طويلة، ينظر فقط إلى وجهها بأعينه الفظيعة.

ثم قال: «أتساءل، ما إذا كان من الممتع أن أنتمي إلى عِرقك. هل كلكم تغنون؟».

قالت: «كلنا تقريبًا، نغني قليلًا، لكن علينا القيام بأشياء كثيرة أخرى مثيرة للاهتمام وممتعة. نحن نرقص ونلعب ونعمل ونحب، وأحيانًا نحارب لأننا عِرق من المحاربين».

فقال الكلديني: «الحب! أعتقد أنني أعرف ماذا تعنين، لكننا، لحسن الحظ، أعلى من المشاعر -عندما تنفصل عن الرايكور. أما عندما تهيمن على الرايكور- آه، هذا مختلف. وعندما كنت أستمع إلى غنائك وأنظر إلى جسمك الجميل، أعرف ماذا تقصدين بالحب. يمكنني أن أحبك».

ابتعدت عنه الفتاة، وقالت لتذكيره: «لقد وعدتني أن تخبرني عن أصل الرايكور».

بدأ يقول: «منذ عصور، كانت أجسامنا أكبر ورؤوسنا أصغر، وكانت أرجلنا ضعيفة جدًّا، بحيث لم نتمكن من التحرك بسرعة أو لمسافة بعيدة. وكان هناك مخلوق غبي يسير على أربعة أرجل ويعيش داخل حفرة في الأرض، ويجلب إليها الطعام. ولذا قمنا بحفر جحورنا لنصل إلى الحفرة ونأكل الطعام الذي يجمعه. إلا أنه لم يجلب ما يكفي الجميع -أي ما يكفي لنفسه وجميع الكلدينيين- وبالتالي كان علينا أيضًا أن نخرج للحصول على الطعام. وكان هذا العمل شاقًّا بالنسبة لأرجلنا الضعيفة. ثم بدأنا نركب على ظهور هذه الرايكورات البدائية. استغرق الأمر عصورًا عديدة دون شك، وأخيرًا جاء الزمن الذي وجد فيه الكلدينيون وسيلة لتوجيه الرايكور. وإلى الآن، يعتمد الرايكور كليًّا على العقل المتفوق لدى سيده كي يوجهه نحو الطعام. وبمرور الوقت، أصبحت عقول الرايكور أصغر حجمًا. اختفت أذناه وعيناه، لأنه لم يعُد يستخدمهم، كان الكلديني يرى له ويسمع له. وبخطوات مماثلة، وقف الرايكور على قدميه الخلفيتين، حتى يتمكن الكلديني من الرؤية لمسافة أبعد. ومع تقلص عقله، تقلصت رأسه. كان الفم هو العضو الوحيد المُستخدَم في الرأس، ولذا ظل الفم قائمًا بمفرده. وكان أفراد العِرق الأحمر يسقطون في أيدي أسلافنا من حين لآخر، وشاهدوا جمال ومزايا الشكل الذي منحته الطبيعة للعرق الأحمر الذي كان الرايكور يتطور إليه. وبتهجين ذكي، ظهر الرايكور الحالي. إنه حقًّا ليس سوى

نتاج لذكاء الكلدينيين الخارق - إنه جسمنا، نفعل به ما نراه مناسبًا، تمامًا كما تفعلين ما تجدينه مناسبًا مع جسمك، إلا أن لدينا ميزة امتلاك إمدادات غير محدودة من الأجسام. أما كنت تودين أن تكوني كلدينية؟».

لم تعرف تارا الهيليومية المدة الزمنية التي أبقوها خلالها في القاعة تحت الأرض، فقد بدت فترة طويلة جدًّا. كانت تأكل وتنام وتشاهد صفوفًا بلا نهاية من المخلوقات التي تمر عبر مدخل سجنها. وهناك صف يأتي من أعلى وهو يحمل الطعام، الطعام، الطعام. ويعودون على الجانب الآخر بلا أحمال. وكانت تعرف -عندما تشاهدهم- أن الوقت نهار في أعلى. وعندما لا يمرون، تعرف أنه الليل، وأن حيوانات البانث على وشك التهام الرايكورات المتروكة في الحقول في اليوم السابق. بدأ الشحوب يتسلل إليها، وتزداد نحافة. لم تحب الطعام الذي يقدمونه لها، فهو لا يناسب نوعها، كما أنها لم تأكل كثيرًا من الطعام المستساغ خشية أن تصبح سمينة. كان لفكرة السمنة دلالة جديدة هنا.. دلالة رهيبة.

لاحظ جيك أنها ازدادت نحافة وبياضًا، تحدث معها عن ذلك، فأخبرته أنها لا يمكن أن تزدهر تحت الأرض، بل يجب أن تحصل على الهواء النقي وأشعة الشمس، أو سوف تذبل وتموت. ويبدو أنه نقل كلماتها إلى لوود؛ إذ أخبرها بعد فترة غير طويلة أن الملك أمر بأن تُحتَجَز في البرج، واقتادوها إلى البرج. كانت تأمل أن هذا حدث نتيجة حديثها مع جيك، فمجرد رؤية الشمس مرة أخرى يُعد إنجازًا. واتتها الآن فكرة، لم تجرؤ على التفكير فيها من قبل وهي تقبع في تلك المتاهة الرهيبة التي كان يستحيل أن تجد خلالها طريقها إلى العالم

الخارجي، لكن الآن هناك سبب بسيط للأمل. يمكنها على الأقل أن ترى التلال، وإذا رأتهم، ألا يمكن أن تأتي فرصة أيضًا للوصول إليها؟ إذا كان لديها مجرد عشر دقائق، عشر دقائق قليلة! لا تزال الطائرة هناك، تعرف أنها يجب أن توجد هناك. مجرد عشر دقائق وتصبح حرة، حرة إلى الأبد بعيدًا عن هذا المكان المخيف. لكن الأيام تواصلت ولم تكن وحدها أبدًا، ولا حتى لخمس دقائق. خططت كثيرًا للهرب، ولولا البانث لكانت تستطيع الهرب بسهولة خلال الليل، حيث ينفصل جيك دائمًا عن جسده ويغرق في حالة تبدو شبه غيبوبة. لا يمكن القول إنه ينام، أو على الأقل لا يبدو الأمر مثل النوم؛ إذ تظل عيناه خالية الجفون دون تغيير، لكنه يرقد بهدوء في أحد الأركان. تمثلت تارا الهيليومية في ذهنها مشهد الهرب ألف مرة، تُسرع إلى جانب الرايكور وتستولي على السيف المُعلق في عتاده. تفعل ذلك قبل أن يعرف جيك مقصدها، ثم تدفع بنصلها إلى رأسه البشع قبل أن يتمكن من إطلاق إنذار، لن يستغرق وصولها إلى الحظيرة أكثر من دقيقة، لن يتمكن الرايكور من إيقافها؛ لأنهم لا يملكون عقولًا لتخبرهم أنها تهرب. وقد شاهدت من النافذة فتح وإغلاق البوابة التي تؤدي من الحظيرة إلى الحقول، وتعرف طريقة عمل المزلاج الكبير. تمر من البوابة، وتنطلق مسرعة إلى التل. والتل قريب، لن يمكنهم اللحاق بها. المسألة بسيطة! أو أنها بسيطة لولا وجود البانث! البانث ليلًا، والعاملون في الحقول نهارًا.

لم تُظهر الفتاة التحسُن الذي يرغبه خاطفوها، فقد كانت محبوسة في البرج ودون تمارين رياضية أو طعام مناسب. سألها جيك في محاولة

لمعرفة أسباب عدم امتلاء جسمها، وأن مظهرها لم يعُد حتى مثلما كان عليه عند أسرِها. كان قلقه ناجمًا عن تساؤلات لوود المتكررة، ما أثار في ذهن تارا الهيليومية فكرة خطة قد تتيح لها فرصة جديدة للهروب.

قالت لجيك: «أنا معتادة على السير في الهواء الطلق وأشعة الشمس، ولا يمكن أن أعود كما كنت من قبل إذا بقيت محبوسة دائمًا في هذه الغرفة المنفردة، أتنفس القليل من الهواء ولا أمارس التمارين الرياضية. اسمح لي أن أخرج إلى الحقول كل يوم، وأتجول تحت الشمس المشرقة، وأنا واثقة أنني سأصبح عندئذ أفضل وأكثر سِمنة».

قال: «لكنك قد تهربين».

سألته: «كيف أهرب وأنت دائمًا معي؟ وحتى إذا رغبت في الهرب، أين يمكنني أن أذهب؟ أنا لا أعرف حتى اتجاه هيليوم، وأظن أنها بعيدة جدًّا. ستأكلني حيوانات البانث في الليلة الأولى، أليس كذلك؟»

قال جيك: «نعم. سوف أسأل لوود في هذا الموضوع».

أخبرها في اليوم التالي أن لوود وافق على أخذها إلى الحقول، كتجربة لفترة ليرى إن كانت تتحسن.

وأضاف جيك: «وإن لم تزدادي بدانة، سيرسل لكِ على أي حال، لكنه لن يستخدمكِ كطعام».

ارتجفت تارا الهيليومية.

أخذها في ذلك اليوم، وبعد أيام عديدة، خارج البرج إلى الحقول، مرورًا بالحظيرة. كانت تتحين دائمًا فرصة للهرب، لكن جيك كان دومًا

بالقرب منها. لم يكن وجود جيك هو ما يحول دون محاولتها للهرب، بل كان عدد العمال الذين يعملون في حقل يقع بينها وبين التلال حيث تكمن الطائرة. كان يمكنها التملص من جيك بسهولة، ولكن ماذا عن العديد الآخرين. أخبرها جيك وهو يرافقها في أحد الأيام إلى الحقول أن هذه هي المرة الأخيرة.

قال لها: «سوف تذهبين هذا المساء إلى لوود. أنا آسف لأنني لن استمع إلى غنائك مرة أخرى».

«هذه الليلة!»، بالكاد ما تنفست الكلمة، لكنها كانت نابضة بالرعب.

ألقت لمحة سريعة نحو التلال.. كانت قريبة جدًّا! لكن حتى العمال يحولون بينها وبين التلال، ربما العشرات منهم.

قالت وهي تشير إلى العمال: «هل يمكن أن نسير إليهم؟ أود أن أرى ما يفعلونه».

أجاب جيك: «هذه مسافة بعيدة جدًّا، وأنا أكره الشمس. هنا أفضل كثيرًا، حيث يمكنني الوقوف تحت ظل هذه الشجرة».

وافقت قائلة: «معك حق، يمكنك البقاء هنا وأسير أنا إلى هناك. لن يستغرق الأمر أكثر من دقيقة».

أجاب: «كلا، سوف أذهب معك. أنت تريدين الهرب، لكنك لن تنجحين».

قالت: «لا يمكنني الهرب».

قال جيك موافقًا: «أعرف، لكنك قد تحاولين، لا أتمنى أن تحاولي، ربما من الأفضل أن نعود إلى البرج في الحال، سيصعب وضعي إذا هربتي».

رأت تارا الهيليومية أن فرصتها الأخيرة في الهرب تتلاشى تمامًا، ولن توجد فرصة أخرى بعد اليوم. فكرت في حُجة لإغرائه بالاقتراب ولو قليلًا في اتجاه التلال.

قالت: «لا أطلب منك سوى القليل جدًا. سوف تريد أن أغني لك الليلة، وستكون المرة الأخيرة، فإذا لم تسمح لي بالذهاب ومشاهدة ما يفعله الكلدينيون، لن أغني لك أبدًا مرة أخرى».

تردد جيك، ثم قال: «سوف أمسك بذراعك طوال الوقت».

قالت بتأكيد: «بطبيعة الحال، إذا كنت ترغب في ذلك. هيا!».

سار الاثنان في اتجاه العمال والتلال. كانت مجموعة صغيرة من العمال تستخرج الدرنات من الأرض. لاحظت أنهم ينحنون أثناء أداء عملهم، وتميل أعينهم البشعة نحو التربة المقلوبة. قادت جيك بالقرب منهم، وتظاهرت بأنها تريد معرفة طريقة عملهم بالضبط، وكان جيك يحكم قبضته طوال الوقت على معصمها الأيسر.

قالت وهي تتنهد: «تثير طريقة عملهم الاهتمام»، ثم صاحت فجأة: «انظر، جيك!»، وهي تشير بسرعة إلى الخلف في اتجاه البرج. استدار الكلديني، وهو لا يزال ممسكًا بها، لينظر في الاتجاه الذي أشارت إليه، في الوقت نفسه، وبسرعة البانث، لكمته بقبضتها اليمنى بكل ما

أمكنها من قوة – ضربت الجزء الخلفي من رأسه السمين، فوق الطوق مباشرة. كانت الضربة كافية لتحقيق غرضها، حيث فصلت الكلديني عن الرايكور وسقط الرأس على الأرض، تراخت فورًا القبضة من على معصمها، مع تراخي الجسم الذي لم يعد يسيطر عليه عقل جيك، تعثر على غير هدى للحظة قبل أن يجثو على ركبتيه ثم ينقلب على ظهره، لكن تارا لم تنتظر لترى النتائج الكاملة لما قامت به. ما إن تراخت قبضة الأصابع على معصمها، حتى انطلقت الفتاة تركض مسرعة نحو التلال. وفي الوقت نفسه، انطلقت صافرة الإنذار من شفتي جيك، ففرد العمال ظهورهم، وكان أحدهم يقف في مسار الفتاة تقريبًا. تفادت الفتاة الأيدي الممدودة واتخذت طريقها ثانية في اتجاه التلال والحرية. اصطدم قدمها في أداة شبيهة بالمجرفة، تُستخدم في تقليب التربة، والتي تُركت ونصفها مطمور في الأرض. ركضت للحظة، وهي تتعثر، في جهد مجنون لاستعادة توازنها، لكن الشقوق المقلوبة أعاقت قدميها، فتعثرت ثانية وسقطت هذه المرة. وعندما كانت تسارع للنهوض مرة أخرى، سقط جسم ثقيل فوقها وأمسك بذراعيها. خلال لحظات، أصبحت مُحاطة وتُجر على قدميها. وعندما تطلعت حولها شاهدت جيك يزحف إلى رايكوره الراقد على الأرض، وبعد لحظة تقدم نحوها.

لم يوضح وجهه القبيح، العاجز عن التعبير، ماذا يدور في هذا الدماغ الضخم. هل كانت أفكاره تنم عن الغضب، أو الكراهية، أو الانتقام؟ ليس بإمكان تارا الهيليومية أن تُخمن، كما أنها لم تكن مهتمة؛ لقد حدث الأسوأ، حاولت الهرب وفشلت. لن تتوفر أبدًا فرصة أخرى.

قال جيك: «هيا! سنعود إلى البرج». تواصلت رتابة صوته القاتلة دون انقطاع. هذا أسوأ من الغضب، لأنه لا يكشف شيئًا عن نواياه، لكنه يزيد رعبها من هذه العقول الكبيرة التي تبعد عن إمكانية المشاعر البشرية.

عادت تارا إلى محبسها في البرج، وجلس جيك القرفصاء مرة أخرى بجانب المدخل، لكنه حمل في يده سيفًا، ولم يتخلى عن الرايكور وإنما استبدله بآخر أحضره معه عندما أظهر الأول دلائل تنم عن التعب. جلست الفتاة تنظر إليه، لم يكن قاسيًا معها، لكنها لم تشعر تجاهه بالامتنان، ولا بالكراهية؛ فتلك العقول العاجزة عن الإحساس بأي مشاعر جميلة، لم تثر شيئًا لديها. لم تشعر بالامتنان، أو العاطفة، أو الكراهية تجاههم، لم تشعر سوى برعب دائم في وجودهم. لقد سمعت كبار العلماء يناقشون مستقبل العِرق الأحمر، وتذكرت أن البعض أشار إلى أن العقل سوف يسيطر في نهاية المطاف على الإنسان. لن توجد أي أفعال أو عواطف غريزية، ولن يحدث أي فِعل بناء على الدافع، بل على العكس سيصبح العقل بمثابة السبب المباشر لكل فِعل. وقد أعرب صاحب تلك النظرية عن أسفه لأنه قد لا يتمتع أبدًا بنعمة هذه الحالة، التي قال إنها سوف تسفر عن حياة مثالية للجنس البشري.

تمنت تارا من كل قلبها أن يكون هنا الآن هذا العالِم المبتكِر ليشهد بالكامل النتائج العملية لتحقيق نبوءته. الخَيار محدود بين الرايكور المادي البحت والكلديني العقلي البحت، أما في الجزء المتوسط السعيد الذي يضم الإنسان العادي وغير المثالي، كما تعرفه، تكمن حالة

الوجود المرغوبة أكثر. فكرت الفتاة أن هذا درس رائع لجميع المثاليين الذين يطمحون إلى الكمال الشامل في أي مرحلة من مراحل السعي البشري؛ إذ قد يكتشفون هنا حقيقة أن الرغبة في الكمال المطلق أقل كثيرًا من الرغبة في نقيضه.

امتلأ عقل تارا الهيليومية بأفكار قاتمة، حيث كانت تنتظر أمر الاستدعاء من لوود؛ ما قد يعني بالنسبة لها شيئًا واحدًا فقط: الموت. خمنت سبب طلبه لها، وكانت تعرف أنها يجب أن تجد وسائل للتدمير الذاتي قبل أن تنتهي الليلة، لكنها لا تزال تتشبث بالأمل والحياة. لن تستسلم إلا عندما لا تجد أي طريقة أخرى. أذهلت جيك مرة بصيحة عالية قوية: «ما زلت أعيش!».

سألها الكلديني: «ماذا تقصدين؟».

أجابت: «أعني تحديدًا ما قلته. أنني ما زلت أعيش، وما دمت أعيش سوف أجد وسيلة. أما لو ميتة، لا يوجد أمل».

سألها: «تجدين وسيلة من أجل ماذا؟».

أجابت: «من أجل الحياة والحرية وشعبي».

قال برتابة: «من يدخل بانتوم لا يغادرها أبدًا».

لم ترد. وبعد فترة تحدث جيك ثانية: «غني لي».

وبينما كانت تُغني، حضر محاربون لاصطحابها إلى لوود. أخبروا جيك أن عليه البقاء.

سأل جيك: «لماذا؟».

أجاب أحد المحاربين: «أنت أغضبت لوود».

سأل جيك: «كيف؟».

أجاب المحارب: «لقد أظهرت افتقارك إلى قوة العقل غير الملوثة. وسمحت للمشاعر أن تؤثر عليك، ما دل على أنك معيب، وأنت تعرف مصير من يعانون من العيوب».

قال جيك بإصرار: «أعرف مصيرهم، لكنني لست معيبًا».

رد المحارب: «أنت سمحت للضوضاء الغريبة التي تصدر منها أن تُسعِدك وتهدئك، مع أنك تعرف جيدًا أن أصل هذه الضوضاء وغرضها لا يتعلق على الإطلاق بالمنطق أو قوى العقل، وهذا في حد ذاته يُشكل اتهامًا بالضعف لا يرقى إليه الشك. وبعد ذلك تأثرت دون شك بمشاعر غير منطقية جعلتك تسمح لها بالسير في الحقول إلى مكان تمكنت فيه من محاولة الهرب كادت أن تنجح. ولو كانت قوة عقلك غير معيبة، لأقنعتك بأنك غير ملائم. والنتيجة الطبيعية، والمعقولة، هي التدمير. ولذلك، سوف يجري تدميرك بطريقة تجعلك مثالًا مفيدًا لجميع الكلدينيين الآخرين من سرب لوود. والآن، عليك أن تبقى مكانك».

قال جيك: «أنت على حق. سأبقى هنا إلى أن يرى لوود من المناسب تدميري بأكثر طريقة عقلانية».

نظرت إليه تارا باندهاش، وهم يقودونها خارج الغرفة. نظرت إليه ثانية من فوق كتفها وقالت: «جيك، تذكر، أنت لا تزال تعيش!»، ثم اقتادوها عبر أنفاق لا نهائية إلى حيث ينتظرها لوود.

عندما وصلت عنده، وجدته جاثمًا في ركن الغرفة على سيقانه العنكبوتية الستة. ويرقد رايكوره بالقرب من الجدار المقابل، جسم جميل يلتف حوله عتاد رائع، شيء ميت دون كلديني يوجهه. صرف لوود المحاربين الذين رافقوا السجينة، ثم جلس مثبتًا عينيه الرهيبتين عليها، وظل لفترة صامتًا. لم يكن أمام تارا إلا أن تنتظر، كما لم تستطع إلا أن تُخمن ما يمكن أن يحدث، وعندما يحدث، ستجد وقتًا كافيًا لمواجهته. ما من ضرورة لتوقع النهاية. والآن، تكلم لوود.

«تفكرين في الهرب»، قال برتابة قاتلة بلا أي تعبير، مثل باقي عِرقه -وهي النتيجة الوحيدة التي يمكن أن يسفر عنها التعبير الشفاهي للعقل الذي لا يتأثر بالمشاعر- «لن تهربي. أنت مجرد تجسيد لأشياء غير كاملة: عقل معيوب، وجسم معيوب. ولا يمكن أن يوجد الاثنان معًا ويتحقق الكمال. تشاهدين هناك جسمًا مثاليًا»، وأشار نحو الرايكور، «ليس لديه عقل»، ثم رفع إحدى مخالبه نحو رأسه وقال: «وهنا، العقل المثالي. إنه لا يحتاج إلى جسم كي يعمل بشكل مثالي وصحيح كعقل. تضعين عقلك الضعيف في مواجهة عقلي! تخططين الآن حتى لقتلي. وإن فشلتي، توقعي أنك بذلك تقتلين نفسك. سوف تعرفين قوة العقل على المادة. أنا العقل، وأنت المادة. عقلك ضعيف للغاية وغير متطور ليصبح جديرًا باسم العقل. لقد سمحتِ له بأن يزداد ضعفًا عن طريق أفعال متهورة تمليها المشاعر. لا قيمة للمشاعر؛ فليس لها عمليًا أي سيطرة على وجودك. لن تقتليني، ولن تقتلي نفسك. عندما أكون معك، ستُقتلين إذا بدا ذلك شيئًا منطقيًا. أنت لا تتصورين إمكانيات القوة التي

تكمن في عقل متطور على نحو مثالي. انظري إلى ذلك الرايكور، ليس لديه عقل، لا يمكن أن يتحرك بإرادته إلا قليلًا. فالغريزة الميكانيكية الموروثة التي سمحنا ببقاءها داخله تتيح له حمل الطعام إلى فمه، لكنه لا يستطيع أن يجد الطعام لنفسه، يجب أن نضع الطعام في متناوله، ودائمًا في نفس المكان. وإذا وضعنا الطعام عند قدميه وتركناه بمفرده، سوف يموت جوعًا. والآن، شاهدي ما يمكن أن يحققه العقل الحقيقي».

أدار عينيه في اتجاه الرايكور، وجثم هناك مبحلقًا في الشيء عديم الإحساس. ولرعب الفتاة، بدأ الجسم مقطوع الرأس يتحرك، نهض ببطء على قدميه، وسار عبر الغرفة إلى لوود، ثم انحنى وأمسك الرأس البشع في يديه، ورفعها إلى أعلى ثم وضعها على كتفيه.

سألها لوود: «ما فرصك في مواجهة هذه القوة؟ وما فعلته مع الرايكور، يمكنني أن أفعله معك».

لم ترد تارا الهيليومية؛ فمن الواضح أنه لا توجد ضرورة لأي رد صوتي.

قال لوود: «كنتِ تشكين في قدراتي!»، وكان كلامه صحيحًا، على أن الفتاة لم تقل ذلك، لكنها فكرت فيه فقط.

سار لوود عبر الغرفة ثم رقد وفصل نفسه عن الجسم، وزحف على الأرض إلى أن وقف مباشرة أمام الفتحة الدائرية التي رأته الفتاة يخرج منها في اليوم الذي جلبوها فيه إلى حضرته للمرة الأولى. وقف هناك وركّز عينيه البشعتين على الفتاة. لم يتكلم، لكن عينيه المُملتين كانتا تنظران مباشرة إلى مركز مخها. شعرت بقوة يتعذر مقاومتها تدفعها في

اتجاه الكلديني. كافحت لمقاومتها، وحاولت إبعاد عينيها، لكنها لم تتمكن. كانت عيناها محتجزتين، كأنما في سحر مروع، في محجري عينيه اللامعتين والخاليتين من الجفون، اللتين تقعان في الدماغ الضخم الذي يواجهها. تحركت ببطء نحو الوحش المروع، وكانت كل خطوة بمثابة صراع مؤلم من المقاومة. حاولت البكاء بصوت عال في محاولة لإيقاظ ملكاتها المُخدَرة، لكن الصوت لم يصل إلى شفتيها. شعرت بأنها قد تستطيع استعادة قدرتها على التحكم في خطواتها إذا تحولت تلك الأعين بعيدًا عنها، ولو للحظة، لكن الأعين لم تبتعد عنها أبدًا. بدا لمعان أعينه يزداد عمقًا، حيث تستجمع كل بقايا السيطرة على جهازها العصبي بالكامل.

ومع اقترابها من الشيء، ابتعد ببطء على سيقانه العنكبوتية. لاحظت أن مخالبه لوحت ببطء ذهابًا وإيابًا وهو يبتعد تدريجيًا، ويدخل في الفتحة المستديرة بالجدار. هل يجب أن تتبعه إلى هناك أيضًا؟ ما الرعب الجديد المجهول الذي تخبئه تلك الغرفة الخفية؟ كلا! لن تدخل. لكنها قبل أن تصل إلى الجدار، وجدت نفسها على الأرض وتزحف على يديها وركبتيها نحو الفتحة مباشرة، ولا تزال أعين ذلك المخلوق تتسمر نحو أعينها. بذلت عند عتبة الفتحة آخر جهد بطولي لمقاومة القوة التي تسحبها، لكنها استسلمت في النهاية. وبلهاث انتهى بتنهيدة، مرت تارا خلال الفتحة لتصل إلى الغرفة التي تقع بعدها.

كان حجم الفتحة كبيرًا بما يكفي لدخولها. دخلت، ووجدت نفسها في غرفة صغيرة ولوود جاثم أمامها. ويرقد جسم كبير وجميل

لرايكور ذكر عند الجدار المقابل، ولم يكن يرتدي أي عتاد أو أغطية.

قال لوود: «ترين الآن عدم جدوى التمرد».

ويبدو أن العبارة حررتها للحظات من السحر، فقد أدارت عينيها بسرعة بعيدًا عنه.

قال آمرًا: «انظري لي!».

أبقت تارا الهيليومية عينيها متجنبة النظر إليه. شعرت بقوة جديدة، أو على الأقل بتقلُّص سلطة المخلوق عليها. هل أدركت سر هيمنته الخارقة على إرادتها؟ لم تجرؤ أن تأمل في ذلك. مع تجنب عينيها لعينيه، تحركت نحو الفتحة التي جرتها إليها تلك الأعين المؤذية. أمرها لوود ثانية أن تتوقف، لكن الصوت وحده كان يفتقر إلى أي سلطة للتأثير عليها. لم يكن الصوت مثل الأعين. سمعت المخلوق يطلق صافرة، وعرفت أنه يستدعي المساعدة. ونظرًا لأنها لم تجرؤ على النظر نحوه، لم تشاهده وهو يستدير ويركز بصره على الجسم الكبير مقطوع الرأس الراقد بجوار الجدار.

لا تزال الفتاة تحت تأثير المخلوق إلى حد ما، لم تستعِد بعد سيطرتها الكاملة والمستقلة على قواها. تحركت كمن يعاني آلام كابوس شنيع، تحركت ببطء وألم كأنما يوجد ثقل ضخم يعوق حركة أطرافها، أو كأنما تجر جسمها خلال سائل لزج. كانت الفتحة مغلقة، آه، إنها قريبة جدًّا، ورغم الجهد الذي تبذله، لم تحقق تقدمًا ملموسًا نحوها.

كان الجسم مقطوع الرأس يزحف خلفها على يديه ورجليه، مدفوعًا بقوة الرأس الخبيثة. وصلت أخيرًا إلى الفتحة. شيء ما داخلها كان يقول لها إنها ما إن تعبر الفتحة، حتى تتحطم سيطرة الكلديني. كانت على وشك الانتهاء والدخول إلى الغرفة المجاورة، عندما شعرت بيد ثقيلة عند كاحلها، أدركها الرايكور وأمسك بها، وعلى الرغم من مقاومتها، فقد جرها من ظهرها إلى الغرفة مع لوود. أمسك بها بقوة وقرّبها منه، ثم لصدمتها بدأ يربت عليها بلطف.

سمعت صوت لوود الرتيب يقول: «ترين الآن، لا جدوى من التمرد، وعقابه».

قاتلت تارا الهيليومية دفاعًا عن نفسها، لكن عضلاتها كانت ضعيفة إلى حد يدعو إلى الرثاء في مواجهة هذا التجسد الأبله للقوة الغاشمة. لكنها قاومت، قاومت في مواجهة احتمالات يائسة لتكريم الاسم الفخور الذي تحمله. قاومت وحدها، وهي التي يضحي محاربو الإمبراطورية الجبارة، زهرة فرسان المريخ، بحياتهم بسرور لإنقاذ حياتها.



الفصل (٧)

مشهد بغيض

طارت سفينة الفضاء فاناتور خلال العاصفة. لم تسقط مصطدمة بالأرض، أو تتلوى بفعل قوة عناصر الطبيعة متحولة إلى كومة من الحطام، وهو ما يرجع كليًا إلى نزوة الطبيعة. ظلت، كسفينة عاجزة، تركب طوال فترة العاصفة فوق تلك الأمواج العاصفة التي تقذفها الرياح. وعلى الرغم من جميع المخاطر والتقلبات التي شهدتها، عاشت السفينة وطاقمها حياة مسحورة لمدة تصل إلى ساعة تقريبًا لانحسار الإعصار. وعندئذ وقعت الكارثة – كارثة بالفعل لطاقم فاناتور ومملكة جاثول.

ظل الرجال دون طعام أو شراب منذ مغادرتهم هيليوم، كما ظلوا يتدافعون ويتحملون ضربات الجلود التي تثبتهم بالسفينة إلى حد استنفاد قواهم. هدأت العاصفة لفترة قصيرة، حاول خلالها أحد أفراد الطاقم الوصول إلى مقره بعد إزالة الشرائط الجلدية التي تثبته بسطح السفينة حفاظًا على سلامته المحفوفة بالمخاطر. وكان سلوكه هذا يُعد في حد

ذاته انتهاكًا مباشرًا للأوامر، في أعين أفراد الطاقم الآخرين، واتخذت نتيجته -التي جاءت على نحو مفاجئ بطريقة مذهلة- شكل الانتقام السريع والرهيب. ما إن أزال الرجل أحزمة السلامة، حتى أحاط ذراع سريع من العاصفة الوحشية بالسفينة، فأخذت تنقلب تكرارًا ومرارًا، ما أسفر عن سقوط ذلك المحارب المتهور عند أول دوران.

ونظرًا لفك الجلود، نتيجة لدوران والتواء السفينة المستمر وقوة الرياح، أخذت معدات الصعود والهبوط تنجر أسفل السفينة ككتلة متشابكة من الحبال والجلود. وفي تلك الظروف التي تنقلب خلالها الفاناتور كليًا، تلتف هذه الأشياء حولها إلى أن تقع ثورة أخرى في الاتجاه المعاكس، فتحملهم الرياح نفسها مرة أخرى من سطح السفينة إلى مؤخرتها، وتتخبط في العاصفة تحت السفينة المندفعة.

سقط المحارب وسط هذا كله، وكالغريق الذي يتعلق بقشة، أمسك بالحبال المتشابكة التي سندته وحالت دون سقوطه. تشبث بقوة اليأس بالحبال، في سعي محموم لشبك ساقيه وجسمه بها، لكن قبضة يده كانت تخف مع كل اهتزاز للسفينة، وعلى الرغم من معرفته أنهم سيصطدمون بالأرض في نهاية المطاف، فقد قاتل بالجنون الذي ولّده اليأس للحظات بائسة أطالت معاناته.

هذا هو المشهد الذي رآه جاهان الجاثولي من فوق حافة سطح سفينة الفاناتور المترنحة، عندما حاول معرفة مصير محاربه. كان مُثبتًا بالحافة العليا من السفينة، وبالقرب منه حزام جلدي منفرد لم يتشابك مع الكتلة السفلية المُعقدة التي تتحرك بحرية عند جانب السفينة، وتنتهي

بخُطاف. أدرك جِد جاثول الوضع بلمحة واحدة. كان أحد رجاله ينظر أدناه في أعين الموت، وكانت وسيلة العون تكمن في يد الجِد.

لم يتردد للحظة، فك الأحزمة الجلدية التي تثبته على سطح السفينة، وأمسك بالحزام الجلدي المخصص للهبوط، وانزلق على جانب السفينة. تأرجح مثل بندول مجنون جيئة وذهابًا، وهو يدور ويلتف على مسافة ثلاثة آلاف قدم فوق سطح برسوم، وأخيرًا حدث ما كان يأمله.. وصل إلى الحِبال التي لا يزال المحارب يتشبث بها، وإن كانت قوته تتناقص بسرعة. ثبّت جاهان إحدى ساقيه على حلقة من الخيوط المتشابكة، ثم سحب نفسه مقتربًا بما يكفي للتشبث بحلقة أخرى قريبة من المحارب. وعلى الرغم من عدم استقرار تشبثه، انتقل الجِد ببطء إلى الحزام الجلدي المخصص للهبوط وأمسك به واستخدمه ليهبط وصولًا إلى الخُطاف في نهايته. وهنا رَبَط عتاد المحارب بحلقة، مباشرة قبل أن تنزلق أصابع الرجل التي ضعفت قبضتها على الحبال.

لقد أنقذ حياة الرجل، مؤقتًا على الأقل، وتحول انتباهه الآن، تحول نحو تأمين سلامته الشخصية. كان العديد من خُطافات الهبوط الأخرى تتشابك بقوة في فوضى الحبال التي شَبَك عتاد المحارب بها، وسعى إلى تأمين نفسه بإحداها حتى تهدأ العاصفة بما يكفي ليتيح له التسلق صعودًا إلى سطح السفينة. ولكن ما إن وصل إلى خُطاف يتأرجح بالقرب منه، حتى علقت السفينة في موجة متجددة من غضب العاصفة، وأخذت الحبال تندفع وتضرب السفينة الكبيرة، وضرب خُطاف معدني ثقيل يندفع عبر الهواء جبهة جِد جاثول، بين العينين مباشرة.

في ظل ذهول جاهان للحظات، ضعفت قبضة أصابعه على الحبال وسقط الرجل في اتجاه الأرض على بُعد ثلاثة آلاف قدم، خلال الهواء الرقيق لكوكب المريخ الآخذ في الاحتضار، بينما يتشبث المحاربون المخلصون بالأحزمة الجلدية على سطح السفينة فاناتور المتأرجحة دون معرفة أي شيء عن مصير زعيمهم المحبوب. ولم يكن قبل ما يزيد على ساعة، بعد أن هدأت العاصفة، أن أدركوا أنهم فقدوه، أو عرفوا بطولة تضحيته بذاته في موقف أنهى حياته. تستقر الفاناتور الآن على عارضة مسطحة، حيث جرفتها رياح قوية وإن كانت مطردة. تخلّص المحاربون من الأحزمة الجلدية التي تربطهم بسطح السفينة، كان الضباط يرصدون الخسائر والأضرار، عندما سمعوا صرخة ضعيفة جذبت انتباههم إلى رجل مُعلق في الحبال تحت العارضة. رفعته أذرع قوية إلى سطح السفينة، وعندئذ عرف طاقم فاناتور بطولة الجِد ونهايته. لم يتمكنوا سوى التخمين على نحو مبهم بالمسافة التي قطعوها، كما لم يكن في مقدورهم العودة للبحث عنه في ظل ظروف العجز التي تعانيها السفينة. كانوا مجموعة حزينة اندفعت إلى الأمام خلال الهواء نحو وجهة اختارها لهم مصيرهم.

وماذا عن جاهان، جِد جاثول؟ سقط مندفعًا لمسافة ألف قدم، ثم أسرته العاصفة بمخلبها العملاق وحملته عاليًا مرة أخرى لمسافة بعيدة. قذفت به العاصفة كقطعة ورق صغيرة تطير في الهواء، كأنما هو رياضة الرياح وألعوبتها، أدارته مرارًا وتكرارًا، حملته إلى أعلى وهبطت به إلى أسفل، لكنه بعد كل هجمة جديدة كان يقترب من الأرض. وتُعد

نزوات العواصف الإعصارية قاعدة في هذا النوع من العواصف، حيث إن تلك العواصف جميعها هي في حد ذاتها نزوات. فهي تقتلع الأشجار العملاقة وتدمرها، وتنقل في الزوبعة نفسها الأشجار الصغيرة الواهية لأميال وتودعها سالمة في أعقاب الأشجار العملاقة.

وهكذا كان الحال مع جاهان الجاثولي. توقع للحظات أن يندفع نحو الدمار، لكنه وجد نفسه مستقرًا بلطف على الطحالب اللينة الصفراء في قاع البحر الميت. لم تكن حالته الجسدية نتيجة لمغامرته المروعة أسوأ من التورم الطفيف على جبهته من جراء ضربة الخُطاف المعدني. نهض الجِد غير مُصدق برحمة القَدر معه، نهض ببطء كأنما كان مقتنعًا بأن يجد عظامه مسحوقة ولن تقدر على حمله، لكنه كان سليمًا، ونظر حوله في محاولة عقيمة لتحديد الاتجاه. كان الغبار والحطام يتطاير في الهواء. لم تكن الشمس ساطعة. واقتصرت رؤيته على مسافة نصف قطرها بضع مئات من الياردات من الطحالب الصفراء والهواء المُحمل بالغبار. ربما توجد على بُعد خمسمائة ياردة في أي اتجاه أسوار مدينة عظيمة، لكنه لا يعرف. لم يكن مُجديًا أن يتحرك من موقعه إلى أن يصبح الهواء نقيًا، حتى يتمكن من معرفة اتجاه سيره، ولذا تمدد على الطحالب وهو ينتظر ويفكر في مصير محاربيه وسفينته، دون أن يفكر كثيرًا في وضعه المحفوف بالمخاطر.

كانت سيوفه ومسدساته وخنجر مثبته في عتاده، وضم جيب حقيبته كمية صغيرة من المؤن المُركزة التي تُشكل جزءًا من معدات المقاتلين في برسوم. كل هذا، علاوة على عضلاته المُدرَبة وشجاعته العالية

وروحه الباسلة، كان يكفيه في مواجهة أي شقاء قد يكمن بينه وبين جاثول، التي تقع في اتجاه لا يعرفه وعلى بُعد لا يعرفه.

كانت الرياح تهبط بسرعة ومعها الغبار الذي يحجب المشهد الطبيعي. كان مقتنعًا أن العاصفة انتهت، لكنه كان غاضبًا من خموله الناتج عن ضعف الرؤية، فضلًا عن أن الظروف لم تتضح قبل هبوط الليل، وبالتالي كان مضطرًّا إلى انتظار بزوغ اليوم الجديد في نفس البقعة التي قذفته إليها العاصفة. أمضى ليلة غير مريحة دون حرير وفراء النوم. أحس بالإغاثة وهو يرى ظهور الفجر المفاجئ. أصبح الهواء نقيًا الآن، وشاهد في ضوء النهار الجديد سهلًا متموجًا يمتد في جميع الاتجاهات حوله، بينما بالكاد ما يُميز في الشمال الغربي الخطوط العريضة لتلال منخفضة. يعرف جاهان بوجود بلد يقع في جنوب شرق جاثول، وتصور أنه عرف مكانها وهو يخمن اتجاه وسرعة العاصفة التي حملته إلى موقع بالقرب منها، وافترض أن جاثول تقع وراء التلال التي يراها الآن، في حين أنها تقع في الواقع بعيدًا في اتجاه الشمال الشرقي.

لم يكن قبل يومين أن تمكن جاهان من عبور السهل والوصول إلى قمة التلال التي يأمل أن يرى بلده منها، لكن خيبة الأمل أصابته؛ فقد امتد أمامه سهل آخر، يتسم بأبعاد أكبر من أبعاد السهل الذي عبره، وتقع وراءه تلال أخرى. كان هذا السهل يختلف عن السهل الأول، حيث انتشرت خلاله تلالًا متفرقة معزولة. لكنه كان مقتنعًا بأن جاثول تقع في مكان ما في اتجاه بحثه، ولذا هبط إلى الوادي واتخذ خطواته في اتجاه الشمال الغربي.

ظل جاهان الجاثولي لأسابيع يعبر الوديان والتلال بحثًا عن بعض العلامات المألوفة التي قد تشير إلى طريقه نحو وطنه، لكن قمة كل سلسلة جبلية كانت تكشف عن مشهد طبيعي آخر غير مألوف. رأى عددًا قليلًا من الحيوانات ولم يشهد أي إنسان، إلى أن توصل أخيرًا إلى اعتقاد بأنه موجود في منطقة أسطورية من برسوم القديمة التي تقع تحت لعنة الآلهة القديمة - البلد الذي كان في يوم ما يتمتع بالثراء والخصوبة، وأنكر شعبها الآلهة بكبرياء وغطرسة، وكانت العقوبة هي الإبادة.

وفي أحد الأيام تسلق التلال المنخفضة ونظر إلى واد مأهول بالسكان، ويضم أشجار وحقول مزروعة، وقطع من الأرض مُحاطة بجدران حجرية تحيط بأبراج غريبة. رأى أناسًا يعملون في الحقول، لكنه لم يتعجل الهبوط لتحيتهم؛ عليه أولًا أن يعرف شيئًا ما عنهم، وما إذا كانوا أصدقاء أم أعداء. زحف، مختبئًا بين الشجيرات، إلى نقطة مميزة فوق أحد التلال الأكثر بروزًا في اتجاه الوادي، ورقد على بطنه يراقب العمال الأكثر قربًا منه. كانوا على مسافة بعيدة نسبيًّا بحيث لم يكن متأكدًا منهم. هناك شيء يبدو غير طبيعي بشأنهم، تبدو رؤوسهم غير متناسبة مع أجسادهم - رؤوس كبيرة جدًّا.

ظل لفترة طويلة راقدًا لمشاهدتهم، ونما إلى وعيه أنهم ليسوا مثله، ولن يندفع ويطمئن إلى وجوده بينهم. شاهد الآن اثنين يخرجان من الحظيرة القريبة، ويقتربان ببطء ممن يعملون بالقرب من التل الذي يرقد عنده مختفيًا. لاحظ على الفور أن أحدهم يختلف عن الآخرين جميعًا. ولاحظ حتى على مسافة أكبر أن رأس هذا الشخص كان أصغر،

وعندما اقتربا، كان على يقين أن عتاد أحدهم لم يكن مماثلًا لعتاد مرافقه أو عتاد أي ممن يحرثون الحقول.

كان الاثنان يتوقفان كثيرًا، يتناقشان على ما يبدو، كأن أحدهما يريد المضي قدمًا في الاتجاه الذي يسيران فيه، بينما الآخر يتردد، وفي كل مرة يفوز الأصغر منهما بموافقة مترددة من الآخر، وبالتالي اقتربا أكثر من آخر صف من العمال الذين يحرثون الأرض بين الحظيرة التي أتوا منها والتل الذي يرقد عنده جاهان الجاثولي للمشاهدة. وفجأة، ضرب الشخص الأصغر رفيقه في وجهه. شاهد جاهان مرتعبًا رأس الشخص الأكبر تسقط من جسمه، ورأى الجسم يترنح ويسقط على الأرض. نهض الرجل قليلًا ليرى هذا الحدث في الوادي أدناه على نحو أفضل. كان المخلوق الذي ضرب رفيقه يندفع بجنون في اتجاه التل الذي يختبئ فيه، وتفادى أحد العمال الذين يسعون إلى الإمساك به، وكان جاهان يأمل أن يفوز المخلوق بحريته، لكنه لم يعرف أن هذا المخلوق من نفس عِرقه؛ لأن المسافة كانت بعيدة. وشاهد بعد ذلك المخلوق الأصغر يتعثر ويسقط على الأرض، وعلى الفور ينقض عليه مطاردوه. تصادف أن توجهت أعين جاهان الآن نحو المخلوق الذي أسقط المخلوق الهارب رأسه.

ما هذا الرعب الذي يشهده؟ أم أن عينيه تمارسان مزحة مروعة عليه؟ لا، هذا مستحيل، على الرغم من أنه ... صحيح ... الرأس يتحرك ببطء نحو الجسم، ويضع نفسه فوق الكتفين، وينهض الجسم، ثم يركض المخلوق -الذي بدا كما كان في حالة جيدة- إلى حيث

يسحب زملاؤه الأسير التعيس ليقف على قدميه.

شاهد المراقب المخلوق يمسك بالأسير من ذراعه ويقوده إلى الحظيرة. وحين عبر المسافة التي تفصلهم عنه، لاحظ الكآبة واليأس المطلق في سلوك السجين، وكان شبه مقتنع أنها امرأة، وربما مريخية حمراء من عِرقه. إذا تأكد من صحة ذلك، عليه أن يبذل الجهد لإنقاذها على الرغم من أن عادات وتقاليد عالَمه الغريب تشترط أن تكون في بلده، لكنه لم يكن متأكدًا، ربما لا تكون مريخية حمراء على الإطلاق، أو إذا كانت، فربما تنتمي إلى شعب عدو. كان واجبه الأول هو العودة إلى شعبه بأقل مخاطر شخصية قدر الإمكان. وعلى الرغم من أن فكرة المغامرة كانت تثير دمه، فقد أزاح الإغراء جانبًا بتنهيدة ونهض ليبتعد عن الوادي السلمي الجميل الذي كان يتوق إلى دخوله، لأنه عزم على الدوران حول حافته الشرقية ومواصلة بحثه عن جاثول.

ما إن اتجهت خطوات جاهان الجاثولي نحو المنحدرات الجنوبية للتلال التي تحيط ببانثوم من الجنوب والشرق، حتى جذبت انتباهه مجموعة صغيرة من الأشجار على يمينه بمسافة قصيرة. كانت الشمس المنخفضة تلقي ظلالًا طويلة. اقترب حلول الليل. تقع الأشجار خارج المسار الذي اختاره ولم يكن يفكر في تغييره، لكنه تردد بعد أن ألقى نظرة ثانية. رأى شيئًا إلى جانب جذوع الأشجار والشجيرات، رأى ما يوحي بخطوط مألوفة من صنع الإنسان. توقف جاهان ودقق بنظره في اتجاه الشيء الذي لفت انتباهه. لا، من المؤكد أنه مخطئ، فقد اتخذت فروع الأشجار والشجيرات المنخفضة مظهرًا غير طبيعي في الأشعة

الأفقية للشمس التي تغرب. استدار وواصل طريقه. لكنه ألقى نظرة جانبية مرة أخرى في اتجاه الشيء الذي أثار اهتمامه، وعندئذ ارتدت أشعة الشمس إلى عينيه من نقطة لامعة من الأشعة بين الأشجار.

هز جاهان رأسه وأسرع نحو هذا اللغز عازمًا على حله. لا يزال الشيء اللامع يجذبه إليه، وعندما اقترب منه، اتسعت عيناه من المفاجأة؛ فالشيء الذي رآه لم يكن سوى شعار مغطى بالجواهر على مقدمة طائرة صغيرة. تحرك جاهان بهدوء إلى الأمام، ويده على سيفه القصير، لكنه لم يجد مبررًا للخوف عندما اقترب من السفينة الفضائية الصغيرة لأنها كانت مهجورة، ثم لفت الشعار انتباهه. بهت وجهه وارتجف قلبه عندما فهم دلالة الشعار، فقد كان شارة بيت أمير الحرب في برسوم. تذكر على الفور هيئة الأسيرة الحزينة وهم يسحبونها إلى سجنها في الوادي الذي يقع خلف التلال مباشرة. تارا الهيليومية! وكان على وشك أن يتركها لمصيرها. توقف العرق البارد على جبينه.

كشف فحص متعجل للطائرة المهجورة عن القصة المأساوية بأكملها أمام الجد الشاب. نفس العاصفة التي قذفت به هنا هي التي حملت تارا الهيليومية إلى هذا البلد البعيد. لا شك أنها هبطت هنا على أمل الحصول على الطعام والماء، فلا يمكنها دون مروحة أن تأمل في الوصول إلى مدينتها أو أي مدينة صديقة أخرى، إلا بتغيير بسيط في مصيرها. تبدو الطائرة سليمة باستثناء فقدان المروحة، فضلًا عن أن ربطها بعناية في مأوى من مجموعة أشجار يشير إلى أن الفتاة توقعت العودة إليها، بينما يدل الغبار وأوراق الشجر على سطحها إلى

أنها هبطت منذ أيام طويلة، أو حتى أسابيع. تشير هذه الأدلة الصامتة، وإن كانت بليغة، إلى أن تارا الهيليومية أسيرة، وأنها هي السجينة التي شاهدها مؤخرًا تندفع بجرأة نحو الحرية، ليس لديه أدنى شك الآن.

يدور السؤال الآن حول إنقاذها. يعرف البرج الذي أخذوها إليه، لكنه لا يعرف أكثر من ذلك. لا يعرف عدد أو نوع أو سلوك خاطفيها، ولم يهتم - سوف يواجه بمفرده عالمًا عدائيًا، من أجل تارا الهيليومية. فكر بسرعة في عدة خطط لإنقاذها، لكن الخطة التي مال إليها بشدة تكمن في توفير أكبر فرصة لهروب الفتاة إذا نجح في الوصول إليها. وما إن توصل إلى قراره، حتى ركز انتباهه بسرعة على الطائرة. قام بفك أحزمتها الجلدية وسحبها من تحت الأشجار، ثم صعد إلى سطحها لاختبار عناصر التحكم المختلفة. بدأ المحرك يعمل وأصدر صوته العذب بعد أن لمسه، وكانت خزانات الطفو في حالة جيدة، كما استجابت السفينة تمامًا لأجهزة التحكم التي تنظم ارتفاعها، اقتصر المطلوب على مروحة تجعلها صالحة لرحلة طويلة إلى هيليوم. هز جاهان كتفيه بصبر نافد، فلن توجد مروحة على بُعد ألف هاد. ولكن، ما أهميتها؟ فالطائرة، حتى من دون مروحة، سوف تلبي غرض خطته، شريطة عدم وجود سفن لدى خاطفي تارا الهيليومية، وهو لم يشاهد أي شيء يوحي بأن لديهم سفن، وقد أكد له معمار أبراجهم وحظائرهم أنهم لا يملكون سفنًا فضائية.

هبط ليل برسوم المفاجئ. وظهر القمر كلوروس بمهابة في السماوات العالية. وترددت أصداء هدير حيوانات البانث بين التلال.

تمكن جاهان الجاثولي من الارتفاع بالسفينة لعدة أقدام، ثم أمسك بحبل مقدمتها المقوسة وألقاه على جانبها. أصبح الآن سحب السفينة أكثر سهولة. وعندما تحرك جاهان بسرعة نحو حافة التل فوق بانتوم، طافت الطائرة بخفة كبجعة في بحيرة هادئة. اتخذ جاهان الجاثولي خطواته الآن أسفل التل، نحو البرج الذي يراه على ضوء القمر الخافت. وسمع خلفه هدير البانث الساعي إلى الصيد. تساءل ما إذا كان الوحش يسعى نحوه أم يقتفي أثر آخر. لا يمكنه أن يتأخر الآن بسبب أي وحش مفترس جائع؛ إذ ليس بمقدوره تخمين ما قد يصيب تارا الهيليومية في تلك اللحظات، ولذا أسرع بخطواته. لكن الصرخات المرعبة لآكلي اللحوم زادت اقترابًا، ويسمع الآن صوت هبوط سريع لأقدام مبطنة على جانب التل وراءه. ألقى نظرة سريعة إلى الوراء في الوقت المناسب، حيث رأى الوحش يستعد لهجوم سريع. قفزت يده إلى مقبض سيفه الطويل، دون أن يسحبه؛ لأنه رأى في اللحظة نفسها عدم جدوى المقاومة المسلحة؛ فخلف البانث الأول يوجد قطيع لا يقل عن عشرة آخرين، لا يوجد سوى بديل واحد لموقف عقيم؛ إذ أدرك في لحظة أنه شاهد أعدادًا هائلة من خصومه.

نهض برفق من على الأرض، وتسلق الحبل متجهًا نحو مقدمة الطائرة. سحب وزنه الطائرة إلى أسفل قليلًا، وفي لحظة وصوله إلى سطح السفينة من مقدمتها، تقفز قائد البانث نحو مؤخرتها. وقف جاهان وهرع نحو الوحش الضخم أملًا في إزاحته قبل أن ينجح في التسلق إلى متن السفينة، وفي اللحظة نفسها، شاهد البانث الآخرين يسرعون

نحوهما مع نية واضحة للحاق بقائدهم إلى سطح السفينة. سوف ينتهي أمره تمامًا إذا وصل أي عدد منهم. لا يوجد سوى أمل وحيد. قفز جاهان إلى موضع ذراع التحكم في الارتفاع، وسحبه على نطاق واسع. قفز ثلاثة من حيوانات البانث في وقت واحد إلى سطح السفينة. ارتفعت السفينة بسرعة. وشعر جاهان بأثر جسم على العارضة، تلاه هدير مكتوم لارتطام الأجسام الضخمة بالأرض، لم يستغرق ما فعله لحظة. والآن، فاز قائد البانث بالوصول إلى سطح السفينة، ووقف عند المؤخرة بأعينه اللامعة وزمجرة فكيه. سحب جاهان سيفه، ربما ارتبك الوحش في هذا الوضع الجديد، فلم يهاجم، بل تسلل ببطء نحو فريسته المقصودة. كانت السفينة ترتفع، ووضع جاهان أحد قدميه على عنصر التحكم وأوقف صعودها. لم يكن يريدها أن ترتفع كثيرًا إلى تيار هوائي أعلى قد يحملها معه بعيدًا. وبالفعل كانت السفينة تتحرك ببطء نحو البرج، يحملها زخم جسم البانث الثقيل الذي قفز إليها من عند مؤخرتها.

راقب الرجل اقتراب الوحش ببطء، واللعاب يسيل من فكيه الممتلئين، والتعبير الخبيث على وجهه الشيطاني، بدأ المخلوق يكتسب الثقة نتيجة لاستقرار سطح السفينة، ثم قفز الرجل فجأة إلى أحد جوانب السطح، ما أدى إلى جنوح السفينة الصغيرة. انزلق البانث وتشبث بالسطح. قفز جاهان ممتشقًا سيفه، تماسك الوحش الضخم ووقف على رجليه الخلفيتين بغية التقدم والانقضاض على هذا البشري المتغطرس الذي تجرأ على التشكك في حقه في لحم الجسد الذي

يشتهيه، وعندئذ انطلق الرجل إلى الجانب الآخر من سطح السفينة. سقط البانث على جانبه في نفس اللحظة التي حاول فيها الانقضاض، اقترب مخلب من رأس جاهان في لحظة اندفاع سيفه إلى قلب الوحش. وبينما كان المحارب يسحب سيفه من جسم البانث، انزلق النصل بصمت على جانب السفينة.

ألقى جاهان لمحة أدناه، وتبين أن السفينة تنجرف في اتجاه البرج الذي شهد السجينة تؤخذ إليه. ستصل السفينة فوق البرج مباشرة خلال لحظة أو اثنين. انطلق الرجل نحو لوحة التحكم، وترك المركبة تنخفض بسرعة نحو الأرض حيث يتبعه البانث الذين لا يزالون يطمعون في الفريسة. كان الهبوط خارج الحظيرة يعني موتًا محتومًا، بينما في داخلها تمكن من رؤية العديد من الأشكال محتشدة على الأرض كأنها نائمة. تطفو السفينة الآن على مسافة بضعة أقدام فوق جدار الحظيرة. ليس أمامه إلا أن يخاطر بكل شيء مراهنًا بجرأة على الحظ، أو يستدير عاجزًا بلا أمل في العودة عن طريق الوادي الذي تنتشر فيه حيوانات البانث، حيث يسمع الآن ومن جوانب عديدة زئير وهدير هذه الأسود البرسومية الشرسة.

انزلق جاهان على الجانب، واستعان بحبل المرساة في الهبوط إلى أن لمست قدماه الجزء العلوي من الجدار، حيث لم يجد صعوبة في إيقاف انجراف السفينة البطيء. سحب المرساة وأنزلها داخل الحظيرة. لا توجد أي حركة في الجزء الذي يضم النائمين في أسفل، فهم يرقدون كرجال أموات. تظهر من فتحات البرج أضواء باهتة

ولكن دون أي إشارة على وجود حراس أو نزلاء مستيقظين. تشبث جاهان بالحبل وأنزل نفسه داخل الحظيرة، حيث رأى أول مشهد عن قرب للمخلوقات المستلقية التي كان يتصور أنها نائمة، مع تعجب شبه مخنوق من الرعب، تراجع الرجل بعيدًا عن أجسام الرايكور مقطوعة الرأس. تصور في البداية أنهم بشر مثله، قُطعت رؤوسهم، وهو شيء شديد السوء، لكنه رآهم يتحركون، وأدرك أنهم وهبوا الحياة، وعندئذ زاد رعبه واشمئزازه.

يكمن هنا إذن تفسير المشهد الذي رآه بعد ظهر ذلك اليوم، عندما ضربت تارا الهيليومية رأس آسرها وزحف الرأس مرة أخرى إلى الجسم. ارتعد الرجل عندما فكّر أن لؤلؤة هيليوم وقعت في أيدي مثل هذه المخلوقات البشعة، لكنه عجّل بإسراع السفينة، فصعد إلى سطحها ثانية، وهبط بها إلى أرض الحظيرة. خطا نحو باب في قاعدة البرج، متقدمًا بخفة فوق أشكال الرايكور الممددة فاقدة الوعي، وعبر العتبة ثم دخل.



الفصل (٨)

مهمة دقيقة

كان جيك في أسعد أيامه يشغل منصب كبير العمال الثالث في حقول لوود، وجلس يخفف من غضبه وإهانته. لقد استيقظ مؤخرًا شيء داخله، شيء لم يحلم من قبل بوجوده حتى. هل لتأثير المرأة الأسيرة الغريبة أي علاقة بهذا الاضطراب وعدم الرضى؟ لا يعرف. إنه يفتقد تأثير الضوضاء المريح الذي تسميه غِناء. هل توجد أشياء أخرى مرغوبة أكثر من المنطق البارد وطاقة العقل النقية؟ هل يجدر إذن السعي إلى عدم الكمال المتوازن أكثر من السعي نحو التطور العالي لسمة واحدة؟ كان يفكر في العقل العظيم الأقصى، الذي يسعى نحوه جميع الكلدينيين. سوف يتصف هذا العقل بالصمم، والبكم، والعمى. قد يُغني ويرقص حوله ألف شخص جميل من الغرباء، لكنه لن يستمد أي متعة من الغناء أو الرقص لأنه لن يمتلك ملكات الإدراك. لقد منع الكلدينيون أنفسهم من أغلب مسرات الحواس. تساءل جيك عما إذا

كان بإمكانهم اكتساب الكثير بزيادة منع أنفسهم، ومع هذا التفكير تبادر إليه كامل نسيج نظريتهم. على أي حال، ربما كانت الفتاة على حق، ما الغرض الذي يمكن أن يخدمه عقل عظيم محبوس في أعماق الأرض؟

سوف يموت جيك من أجل هذه النظرية؛ فقد أصدر لوود مرسومًا بموت جيك. غمره الظلم بالغضب، لكنه عاجز. ما من مهرب؛ فحيوانات البانث تنتظره خارج الحظيرة، وبالمثل يتسم أبناء جنسه بالشراسة وعدم الرحمة. لا يوجد بينهم شيء مثل الحب، أو الولاء، أو الصداقة؛ فهم عقول فقط. ربما يتمكن من قتل لوود، ولكن كيف يفيده هذا؟ سوف يُطلقون ملكًا آخر من غرفته محكمة الإغلاق، ويقتلون جيك. لم يكن يعرف، لكنه لا يمتلك حتى الشعور بالارتياح نتيجة الانتقام؛ فلم يكن بمقدوره الإحساس بهذا الشعور الغامض.

صعد جيك فوق الرايكور، وسار على أرضية غرفة البرج، حيث أمروه أن يبقى. كان ليقبَل في العادة بحُكم لوود برباطة جأش مثالية، نظرًا لأن الحُكم ليس سوى نتيجة منطقية لسبب، لكن الأمر يبدو الآن مختلفًا. لقد سحرته المرأة الغريبة. تبدو الحياة شيئًا لطيفًا، وبها إمكانيات كبيرة. تراجع حلم العقل الأعلى إلى ضباب هش في خلفية أفكاره.

وفي تلك اللحظة، ظهر في مدخل الغرفة محارب أحمر ممتشقًا سيفه، كان نظيرًا ذكرًا للسجينة التي أدى صوتها العذب إلى تقويض العقل الحسابي البارد لدى الكلديني.

«صمتًا!»، حذره الوافد الجديد وقد تجمعت حواجبه المستقيمة

في تجهم ينذر بالسوء، وسِن سيفه الطويل يتحرك مُهدِّدًا أمام أعين الكلديني. «أريد المرأة، تارا الهيليومية، أين هي؟ إذا كنت ترى لحياتك قيمة، تكلم بسرعة وقل الحقيقة».

إذا كان يرى لحياته قيمة! نعم، هذه هي الحقيقة التي أدركها جيك منذ لحظات. فكّر بسرعة؛ فالعقل العظيم ليس دون استخدام، وربما يكمن هنا الهروب من حُكم لوود.

سأل: «أنت من نفس نوعها؟ هل أتيت لإنقاذها؟».

«نعم».

«اسمع إذن. لقد أقمت صداقة معها، ولهذا سوف أموت. إذا ساعدتك على تحريرها، هل تأخذني معك؟».

نظر جاهان الجاثولي نحو المخلوق الغريب من رأسه إلى قدمه: جسم مثالي، ورأس بشع، ووجه بلا تعبير، لقد ظلت ابنه هيليوم الجميلة أسيرة بين مثل هؤلاء لأيام وأسابيع.

قال جاهان: «إذا كانت على قيد الحياة ولم يلحق بها أذى، سوف آخذك معنا».

أجاب جيك: «عندما أخذوها مني كانت على قيد الحياة ولم يلحق بها أذى. لكنني لا أعرف ماذا حدث لها منذ ذلك الحين، فقد أرسل لوود في طلبها».

قال جاهان بسرعة، وبنبرة آمرة: «من هو لوود؟ وأين هو؟ خُذني إليه».

أجابه جيك: «هيا إذن»، وقاد الطريق من الغرفة، ثم أسفل السلم نحو جحور الكلدينيين تحت الأرضية. «لوود هو الملك. وسوف آخذك إلى غُرفه».

حثه جاهان قائلًا: «أسرع!».

قال جيك مُحذرًا: «ضع سيفك في غمده، فإذا مررنا بآخرين من نوعي يمكنني أن أقول لهم إنك سجين جديد، فمن المحتمل الفوز باقتناعهم».

فعل جاهان ما طلبه الكلديني، مع تحذيره أن يده جاهزة على مقبض خنجره.

قال جيك: «لست بحاجة إلى الخوف من الغدر؛ فأملي الوحيد في الحياة يكمن في يدك».

حذره جاهان: «وإذا خذلتني، أعدك بموت مؤكد لا يضمنه لك حتى ملكك».

لم يرد جيك، لكنه تحرك بسرعة خلال الممرات المتعرجة تحت الأرض حتى بدأ جاهان يدرك كيف أصبح حقًّا في يد هذا الوحش الغريب. إذا ثبت أن الزميل كاذب، لن يستفيد جاهان شيئًا من قتله؛ إذ دون توجيهه، لن يأمل الرجل الأحمر أبدًا في معرفة طريق عودته إلى البرج والفوز بالحرية.

التقيا مرتين بكلدينيين آخرين حاولوا التحدث معهما، وفي الحالتين كانت إجابة جيك البسيطة أنه يأخذ سجينًا جديدًا إلى لوود، وهي الإجابة التي بددت كل الشكوك. وصلا أخيرًا إلى غرفة الانتظار الخاصة بالملك.

همس جيك: «هنا، الآن، أيها الرجل الأحمر، سوف تقاتل. ادخل هناك!»، وأشار إلى المدخل أمامهما.

«وأنت؟» سأل جاهان، وهو لا يزال يخشى من الغدر.

أجاب الكلديني: «رايكوري قوي، وسوف أرافقك وأقاتل إلى جانبك، أو أموت لاحقًا تحت التعذيب وفقًا لأوامرَ لوود. هيا!».

عبر جاهان الغرفة بالفعل ودخل إلى القاعة. توجد فتحة دائرية على الجانب الآخر من الغرفة، يحرسها اثنان من المحاربين. تمكن أن يرى، من خلال هذه الفتحة، شخصين يتعاركان على الأرض، وبلمحة سريعة منحه فجأة أحد الوجهين قوة عشرة محاربين وضراوة بانث جريح. إنه وجه تارا الهيليومية، تقاتل من أجل شرفها أو حياتها.

اندهش المحاربان من مظهر الرجل الأحمر غير المتوقَّع، ووقفا للحظة في ذهول أبكم. وفي تلك اللحظة، انقض جاهان الجاثولي عليهما. سقط أحدهما بطعنة سيف اخترقت قلبه.

همس صوت جيك في أُذن جاهان: «اضرب على الرأس». شاهد جاهان رأس المحارب الذي سقط تزحف بسرعة داخل الفتحة المؤدية إلى القاعة، حيث رأى تارا الهيليومية في براثن جسم مقطوع الرأس. عندئذ ضرب سيف جيك المحارب المتبقي وفصله عن رايكوره، وأغمد جاهان سيفه في الرأس المثير للاشمئزاز.

وعلى الفور قفز المحارب الأحمر ومر عبر الفتحة، وخلفه جيك بالقرب منه.

قال له جيك محذرًا: «لا تنظر إلى أعين لوود، وإلا ستضيع».

رأى جاهان تارا الهيليومية داخل القاعة في براثن جسم قوي، بينما يجثم بالقرب من الجدار، على الجانب الآخر من الشقة، لوود البشع، شبيه العنكبوت. أدرك الملك على الفور الخطر الذي يتهدده، وسعى إلى تركيز عينيه على أعين جاهان. وبالتالي كان مضطرًا إلى تخفيف تركيزه على الرايكور الذي تقاتله تارا. وعلى الفور تقريبًا، وجدت الفتاة نفسها قادرة على الابتعاد عن ذلك المخلوق الفظيع مقطوع الرأس.

نهضت تارا بسرعة على قدميها، ورأت للمرة الأولى سبب توقف خطط لوود. محارب أحمر! قفز قلبها في ابتهاج وشُكر. ما المعجزة التي أرسلها لها مصيرها؟ لم تتعرف عليه، هذا المحارب الذي يرتدي ملابس السفر وعتاد عادي لا يضم جوهرة واحدة. كيف كان يمكن أن تخمن أنه نفس المخلوق المتألق بالبلاتين والألماس، الذي شاهدته لمدة ساعة قصيرة في ظروف مختلفة تمامًا في بلاط والدها الجليل؟

رأى لوود أن جيك يتبع المحارب الغريب في القاعة. أمره الملك: «أسقطه يا جيك! أسقط الغريب، وتصبح حياتك ملكك».

نظر جاهان محملقًا في وجه الملك القبيح.

حذرته تارا صارخة: «لا تنظر إلى عينيه». لكن تحذيرها جاء متأخرًا؛ فقد استولت النظرة المنومة المروعة للملك الكلديني على أعين جاهان. ترددت خطوات المحارب الأحمر، وبدأ سيفه يتدلى ببطء نحو الأرض. نظرت تارا في اتجاه جيك، وشاهدت المخلوق يتوجه بعينيه الخاليتين من التعبير نحو ظهر الرجل الغريب. ورأت يد

رايكور المخلوق تزحف خلسة نحو مقبض خنجره.

وعندئذ رفعت تارا عينيها عاليًا، وترنمت بنغمات أجمل لحن ريخي: أغنية الحب.

سحب جيك خنجره من غمده. تحولت عينيه نحو الفتاة التي تغني. تذبذبت نظرة لوود بين أعين الرجل ووجه تارا. وفي اللحظة التي صرفت فيها أغنية تارا انتباهه عن ضحيته، هزّ جاهان نفسه وبذل أقصى جهد لإجبار عينيه إلى التحول نحو الجدار فوق رأس لوود البشع. رفع جيك خنجره فوق كتفه الأيمن، واتخذ خطوة واحدة سريعة إلى الأمام، وضرب. انتهت أغنية الفتاة بصرخة مختنقة، حيث قفزت إلى الأمام بنية واضحة لإحباط غرض الكلديني. لكن توقيتها كان متأخرًا، لحسن الحظ؛ فقد أدركت في اللحظة التالية غرض جيك عندما رأت الخنجر يطير من يده، ويتجاوز كتف جاهان، ثم يغوص كاملًا في الحارس الذي يقف أمام وجه لوود.

صاح القاتل: «هيا! ليس لدينا وقت نضيعه»، ثم توجه نحو الفتحة التي دخلوا من خلالها إلى القاعة، لكن خطواته توقفت عندما استقر بصره على شكل الرايكور القوي الذي يرقد منبطحًا فوق الأرض - رايكور الملك؛ أجمل وأقوى رايكور يمكن إنتاجه في بانتوم. أدرك جيك أنه لن يتمكن أن يأخذ معه خلال فراره إلا رايكورًا واحدًا، ولا يوجد في بانتوم أي شيء يمكن أن يخدمه أفضل من هذا العملاق الراقد هنا. نقل نفسه بسرعة إلى أكتاف هذا الهيكل الضخم الخامل. وعلى الفور، تحول الرايكور إلى مخلوق حساس، ينبض بالحياة والطاقة المتأهبة.

وقال: «الآن، نحن على أهبة الاستعداد. فليعيقني من سيعود إلى العدم». انحنى وهو يتحدث، وزحف إلى القاعة التالية، بينما أمسك جاهان بذراع تارا وأشار لها أن تتبعه. نظرت إليه الفتاة كاملًا للمرة الأولى، وقالت: «هذا كرم من آلهة شعبي؛ لقد وصلت في الوقت المناسب. سوف تحظى، إلى جانب شُكر تارا الهيليومية، بشُكر أمير الحرب في برسوم وشعبه. وسوف تتجاوز مكافأتك أعظم رغباتك».

أدرك جاهان الجاثولي أنها لم تتعرف عليه، وكبح بسرعة التحية الحارة التي كانت على شفتيه.

وأجاب: «لا يهم سواء أنت تارا الهيليومية أو غيرها، فخدمة امرأة حمراء من برسوم هو في حد ذاته مكافأة كافية».

خلال حديثهما، كانت الفتاة تشق كطريقها عبر الفتحة وراء جيك، والآن غادر الثلاثة غُرف لوود وأسرعوا في تحركهم على طول الممرات المتعرجة نحو البرج. حثهم جيك مرارًا وتكرارًا على التحرك بسرعة أكبر. لم يكن البرسوميان حريصان على التراجع، لكن حركتهما كانت بطيئة بالنسبة إلى الكلديني.

قال جاهان: «لا يوجد ما يعرقل تقدمنا، فلماذا نرهق قوة الأميرة بتسرع لا داع له؟».

«أعتقد أننا لن نواجه الكثير من المعارضة أمامنا؛ فلا أحد يعرف ما حدث في قاعات لوود هذه الليلة. لكن أحد الكلدينيين من المحاربين اللذين وقفا يحرسان غرفة لوود قد هرب، وبالتأكيد لن يضيع وقته وسوف يبحث عن مساعدة. ويرجع عدم مجيئه قبل مغادرتنا إلى سرعة

وقوع الأحداث في غرفة الملك[٣٧]. وسوف نجدهم خلفنا قبل أن نصل إلى البرج بفترة طويلة، وسوف يأتون بأعداد أكبر كثيرًا من عددنا، وفي رايكورات أعرف جيدًا أنها ضخمة وقوية».

لم يمر وقت طويل قبل أن تتحقق نبوءة جيك. أصبحت الآن أصوات صلصلة عتاد مطارديهم مسموعة عن بُعد، فضلًا عن صفير استدعاء الكلدينيين لحمل السلاح.

صاح جيك: «أصبح البرج الآن على مسافة قصيرة، فلنسرع ما دمنا قادرين، وإذا استطعنا تحصينه بمتاريس حتى شروق الشمس، يمكننا أن نهرب».

أجاب جاهان: «لن نحتاج إلى حواجز لأننا لن نمكث طويلًا في البرج»، وكان يتحرك بسرعة أكبر، بعد أن أدرك من حجم الصوت خلفهم ضخامة عدد مطارديهم.

قال جيك بإصرار: «لكننا قد لا نتمكن من الذهاب أبعد من البرج الليلة؛ إذ ينتظرنا البانث والموت المحقق خارج البرج».

ابتسم جاهان، وقال بثقة: «لا تخف من البانث. إذا استطعنا الوصول إلى الحظيرة قبل مطاردينا، لن تخيفنا أي قوى شريرة داخل هذا الوادي اللعين».

---

(٣٧) لقد استخدمت كلمة الملك في وصف حكام أو رؤساء أسراب بانتوم، نظرًا لتعذر نطق الكلمة نفسها في اللغة الإنجليزية. كما أن كلمة جِد أو جيداك في لغة المريخيين الحُمر ليس لهما نفس معنى الكلمة البانتومية، التي لديها عمليًا نفس دلالة كلمة الملكة بالإنجليزية عند تطبيقها على قائد سرب من النحل – جون كارتر.

لم يرد جيك، ولم يدل وجهه الخالي من التعبير على موافقته أو تشككه. نظرت الفتاة إلى وجه الرجل باستغراب. لم تكن تفهم.

قال جاهان: «تنتظرنا طائرتك أمام البرج».

أضاء وجهها بسرور وارتياح وصاحت: «أنت وجدتها! يا لحسن الحظ!».

أجاب: «كان حسن الحظ بالفعل. فهي لم تدلني فحسب على أنك سجينة هنا، بل أنقذتني أيضًا من البانث خلال عبوري الوادي من التلال إلى هذا البرج الذي رأيتهم يأخذونك إليه بعد ظهر هذا اليوم بعد محاولتك الشجاعة للهروب».

سألته: «كيف عرفت أنه أنا؟». بدت الحيرة على وجهه، كأنما أثار سؤالها تذكيره ببعض المشاهد السابقة بينهما.

وأجاب: «من ذا الذي لا يعرف فقدان تارا، أميرة هيليوم؟ وعرفت على الفور بمجرد رؤيتي الشعار على طائرتك، على الرغم من أنني لم أتعرف عليك عندما رأيتك معهم في الحقول قبل ذلك بوقت قصير. كنت على مسافة بعيدة لا تتيح معرفة ما إذا كان الأسير رجلًا أم امرأة. لو لم أكتشف مصادفة مكان إخفاء طائرتك، تارا الهيليومية، لكنت غادرت. إنني أرتجف عندما أفكر في هذه المصادفة؛ إذ لولا لحظة إشراق الشمس فوق الشعار المزخرف على مقدمة طائرتك، لكنت غادرت دون أن أعرف».

ارتجفت الفتاة، وهمست في إجلال: «أرسلتك الآلهة».

فأجاب: «أرسلتني الآلهة، تارا الهيليومية».

أضافت: «لكنني لم أتعرف عليك. حاولت أن أذكرك، لكني فشلت. ما اسمك؟».

أجاب مبتسمًا: «ليس غريبًا ألا تتذكر أميرة عظيمة مثلك وجه كل باناتان متجول في برسوم».

قالت الفتاة بإصرار: «لكن، ما اسمك؟».

«ناديني توران»، هكذا أجاب؛ فقد تصور أن تارا إذا عرفت أنه الرجل الذي تسببت مجاهرته المتهورة بالحب في إغضابها ذلك اليوم في حدائق أمير الحرب، قد تصبح حالتها أقل احتمالًا بما لا يقاس عنها إذا اعتقدت أنه شخص غريب تمامًا. علاوة على ذلك، يمكن أن يفوز الباناتان البسيط بقدر أكبر من ثقتها عن طريق ولائه وإخلاصه، وينال تقديرها الذي يبدو أن جِد جاثول المتألق لم يحظ به.

وصلوا إلى البرج الآن، ودخلوه من ممر تحت الأرض. كشفت لمحة سريعة إلى الخلف عن المركَبة التي يستخدمها مطاردوهم: امتطى الكلدينيون البشعون رايكورات سريعة وقوية. وبأسرع ما يمكن صعد الثلاثة السلالم المؤدية إلى الطابق الأرضي، وفي أعقابهم توابع لوود يركضون بسرعة أكبر. قاد جيك الطريق وهو ممسك بيد تارا لتيسير توجيهها ومساعدتها، بينما سار جاهان خلفهما بعدة خطوات ممتشقًا سيفه ومستعدًا للهجوم الذي أدرك الجميع أنه قد يحدث قبل أن يصلوا إلى الحظيرة والطائرة.

قالت تارا: «دع جيك يرجع إلى الخلف ويقاتل معك».

أجابها جاهان: «لا تتسع مساحة هذه الممرات الضيقة سوى لنصل واحد، أسرعي مع جيك للوصول إلى سطح الطائرة، ثم ضعي يدك على لوحة التحكم. إذا تمكنت من الاقتراب بقدر كاف إلى حبل متدل، يمكنك أن ترتفعي بالطائرة عندما أخبرك، وسوف أتسلق الحبل ببطء، ولكن إذا دخل أحدهم أولًا في الحظيرة، عليك أن تعلمي أنني لن آتي أبدًا، وعندئذ ترتفعين بسرعة وثقة إلى آلهة أسلافنا ليمنحوكِ نسيمًا عليلًا يحملك في اتجاه شعب مضياف أكثر».

هزت تارا رأسها، وقالت: «لن نتخلى عنك أيها البانتان».

تجاهل جاهان ردها، وتوجه بحديثه إلى جيك: «خذها إلى السفينة الراسية في الحظيرة، فهي أملنا الوحيد. يمكنني أن أصل إلى سطح السفينة بمفردي؛ ولكن إذا انتظرتكما حتى اللحظة الأخيرة، فمن المحتمل ألا ينجح أحدنا في الهرب. افعل ما قلته لك». كانت لهجته متعجرفة ومتغطرسة، لهجة رجل قاد رجالًا آخرين من فترة مبكرة في حياته، وإرادته هي القانون. شعرت تارا بالغضب والغيظ، فلم تكن معتادة أن يقودها أحد أو يتجاهلها. لكنها، بكل فخرها الملكي، لم تكن حمقاء، وكانت تعرف أن الرجل على حق، وأنه يجازف بحياته لإنقاذ حياتها، ولذا أسرعت مع جيك تبعًا لأوامره. ابتسمت تارا بعد فورة الغضب الأولى؛ إذ أدركت أن هذا الزميل ليس سوى محارب فظ غير مثقف، وليس ماهرًا في الأعراف الرفيعة المستخدمة في البلاط الملكي. كان قلبه على حق، قلب شجاع ووفي، وغفرت له بسرور جريمة لهجته

وأسلوبه. ولكن، يا لها من لهجة! توقفت فجأة عندما تذكرتها. البانتان قُساة، ودائمًا على أهبة الاستعداد، ويصلون غالبًا إلى مناصب القيادة العليا. لم تكن لهجته السلطوية إذن هي ما أثارت انتباهها، وإنما شيء آخر، نوعية يصعب تحديدها وإن كانت مميزة ومألوفة. لقد سمعتها من قبل، عندما يرتفع صوت جدها الأكبر تاردوس مورس، جيداك هيليوم، وهو يصدر أوامره؛ وسمعتها أيضًا في صوت جدها، مورس كاجاك، جِد هيليوم؛ وفي رنين نبرة والدها الشهير جون كارتر، أمير الحرب في برسوم، عندما يخاطب محاربيه.

لكنها الآن ليس لديها أي وقت لتخمين شيء تافه كهذا؛ فخلفها اندلع صدام الأسلحة، وتعرف أن البانتان توران يبارز أول مطارديهم. وعندما نظرت خلفها، رأت البانتان وراء منعطف في السلم، وبالتالي تمكنت من مشاهدة المبارزة السريعة التي تلت، وتعرف جيدًا، ابنة أعظم مبارز في العالم، أرقى ممارسات هذا الفن. شاهدت الهجوم الأخرق الذي شنه الكلديني، والرد السريع الواثق من جانب البانتان. وعندما نظرت من أعلى إلى جسمه العاري تقريبًا، الذي لا يغطيه سوى عتاد بسيط خالٍ من الزخارف، ورأت حركة عضلاته الرشيقة تحت البشرة البرونزية الحمراء، وسرعة ودقة سيفه، أضاف ذلك إلى شعورها بالالتزام اعترافًا عفويًا بالإعجاب الذي لم يكن سوى إشادة طبيعية من امرأة بالمهارة والشجاعة، وربما بعض الإعجاب الضئيل بتناسقه الرجولي وقوته.

تغير موضع نصل البانتان ثلاث مرات: مرة لصد إصابة وحشية،

ومرة للخداع؛ ومرة للطعن. وعندما سحب سيفه من آخر موضع، تدحرج الكلديني فاقد الحياة من رايكوره المترنح، وانطلق توران بسرعة أسفل السلم ليواجه الكلديني التالي. وهنا جذب جيك تارا إلى أعلى، وأبعد انعطافهما على السلم مشهد البانتان المقاتل عن عينيها، لكنها ظلت تسمع صوت احتكاك السيوف، وقعقعة أدوات الكلدينيين وصفيرهم الحاد. دفعها قلبها للعودة إلى جانب مدافعها الشجاع، لكن حكمتها أرشدتها إلى أهمية وجودها على أهبة الاستعداد عند لوحة التحكم في الطائرة في لحظة وصوله إلى الحظيرة.



الفصل (٩)

التحليق فوق مناطق غريبة

دفع جيك الآن بابًا على السلم، ورأت تارا أمامهم ضوء القمر يغمر الفناء المسوّر الذي يضم الرايكورات مقطوعة الرأس راقدة بجوار أحواض التغذية. شاهدت أجسامًا مثالية ذات عضلات قوية، كأفضل المحاربين عند والدها، وشاهدت أجسام الإناث التي قد تكون موضع حسد كثيرات من أجمل نساء هيليوم. آه، لو تمكنت من أن تهبهم القدرة على التصرف! عندئذ يمكن ضمان سلامة البانثان، لكنهم ليسوا سوى كتل من الطين، وليس لديها القدرة على منحهم الحياة. سوف يستمر رقادهم إلى أن تسيطر عليهم عقول الكلديين القساة الباردة. تنهدت الفتاة بشفقة، وهي ترتجف في اشمئزاز خلال مرورها في اتجاه الطائرة بين المخلوقات الممددة.

صعدت الفتاة وجيك إلى سطح السفينة، بعد أن فك جيك المرساة. اختبرت تارا لوحة التحكم، رفعت السفينة وخفضتها لعدة أقدام داخل

المساحة المسورة. استجابت السفينة تمامًا، ثم هبطت بها إلى الأرض ثانية وانتظرت. جاءت أصوات القتال من المدخل المفتوح، وتقترب منهم الآن، لكنها تنحسر حاليًا. لم يكن خوف الفتاة كبيرًا من نتيجة المعركة، فقد شهدت مهارة البطل. لا يمكن أن يواجهه سوى خصم واحد في نفس الوقت على هذا السلم الضيق. إنه يتمتع بميزة الموقع والدفاع، كما أنه مبارز قوي، بينما هم -بالمقارنة- أغبياء أفظاظ. تكمن ميزتهم الوحيدة في أعدادهم، إلا إذا وجدوا طريقة للهجوم عليه من الخلف.

شحب وجهها من هذه الفكرة. ربما زاد قلقها إذا كانت تشاهده، إذ لم يقتنص أي فرصة من الفرص العديدة المواتية للاقتراب من الحظيرة. كان يحارب بهدوء، ولكن بإصرار شرس يشبه قليلًا الأعمال الدفاعية البحتة. وكثيرًا ما كان يصعد فوق جسم خصم سقط ليقفز على الخصم التالي، ويقضي على خمسة كلدينيين وراءه، وهكذا كان يدفع خصومه إلى الخلف. لا يعرف الكلدينيون الذين يقاتلهم، ولا تعرف الفتاة التي تنتظره على الطائرة، أن جاهان الجاثولي كان يمارس رياضة جذابة أكثر من الفوز بالحرية؛ إذ كان ينتقم من الإهانات التي وجهوها إلى المرأة التي يحبها. لكنه أدرك الآن أنه قد يهدد سلامتها بلا جدوى، ولذا صعد السلم مُسرعًا بعد آخر طعنة، بينما انزلق القائد الكلديني على الأرضية المغطاة بالعقول وتعثر في المطاردة.

سبقهم جاهان إلى الحظيرة بعشرين خطوة، وأسرع نحو الطائرة. صاح مخاطبًا الفتاة: «ارتفعي بالطائرة! سوف أتسلق الحبل».

ارتفعت السفينة الفضائية الصغيرة ببطء عن الأرض، وقفز جاهان فوق أجسام الرايكورات الخاملة الراقدة على طول مساره. قفز أول مطارديه من البرج بمجرد أن أمسك جاهان الحبل.

صاح جاهان مخاطبًا الفتاة: «أسْرِع! أو سوف يسحبوننا إلى أسفل!»، لكن السفينة بدأت تتحرك بصعوبة، وإن كانت في واقع الأمر ترتفع بالسرعة المتوقعة من طائرة تسع شخصًا واحدًا لكنها تحمل ثلاثة أشخاص. تأرجح جاهان فوق الجزء العلوي من الجدار، لكن نهاية الحبل لا تزال على الأرض حيث وصل إليها الكلدينيون. كانوا يتدفقون بشكل مستمر من البرج إلى الحظيرة. أمسك قائدهم بالحبل.

صاح: «أسرعوا! احكموا قبضتكم، وسوف نسحبهم إلى أسفل».

كانوا في حاجة لأوزان قليلة لإنجاز هذه المهمة. توقفت رحلة السفينة، ارتعبت الفتاة لشعورها بسحب السفينة إلى أسفل. أدرك جاهان الخطر أيضًا، وضرورة القيام بعمل فوري. تشبث بالحبل بيده اليسرى، وقد جُرِحت ساقه الملفوفة حوله، تاركًا يده اليمنى حرة للإمساك بسيفه الطويل الذي لم يغمده. قطعت طعنة إلى أسفل رأس الكلديني الأحمق، وقطعت ضربة أخرى الحبل المشدود تحت أقدام البائتان. سمعت الفتاة تجددًا مفاجئًا لصفير خصومها الحاد، وأدركت في الوقت نفسه أن السفينة ترتفع ثانية. جنحت السفينة ببطء إلى أعلى، بعيدًا عن متناول العدو، وبعد لحظة رأت توران يتسلق من على الجانب. وللمرة الأولى منذ أسابيع عديدة، غمرت فرحة الشكر قلبها، لكن تفكيرها الأول كان حول شيء آخر.

سألته: «ألست مُصابًا بأي جراح؟».

أجاب: «كلا، تارا الهيليومية. إنهم لا يستحقون أي جهد من نصلي، ولم تشكل سيوفهم أبدًا مصدر تهديد لي».

قال جيك: «كان يجب أن يقتلوك بسهولة؛ فقوة عقولنا عظيمة ومتطورة، بحيث كان ينبغي أن يعرفوا منطقيًا، قبل أن تسدد ضربتك، الموضع الذي سوف توجه ضربتك نحوه، ويتمكنون من صد جميع ضرباتك والوصول بسهولة إلى قلبك».

قام جاهان بتذكيره قائلًا: «لكنهم لم يتمكنوا، جيك، لأن نظريتهم في التطور خاطئة، فهي لا تميل نحو كلٍّ متوازن تمامًا. لقد قمتم بتطوير العقل وأهملتم الجسم، ولا يمكن أبدًا أن تفعل بأيدي غيرك ما تفعله بيديك. لقد تدربت يداي على استعمال السيف؛ وبالتالي تستجيب كل عضلة على الفور وبدقة، وتقريبًا بشكل ميكانيكي، عند الاحتياج الفوري. وبالكاد ما يمكنني الوعي بموضوعية أنني أفكر عندما أقاتل؛ ذلك أن سيفي ينتهز بسرعة كل إمكانية للطعن، أو يهبّ للدفاع عني إذا تعرضت لتهديد، كأنما للنصل البارد أعين وعقول. أما أنت، بعقلك الكلديني وجسمك الرايكوري، لا يمكنك أن تأمل أبدًا في تحقيق تلك الأشياء بنفس درجة الكمال التي يمكنني تحقيقها. لا ينبغي اعتبار تطور العقل بمثابة المجموع الكلي للمسعى البشري. إن أغنى وأسعد الشعوب ستكون هي الأقرب إلى الكمال المتوازن بين الجسم والعقل على حد سواء، بل سيكونون دائمًا أقل من الكمال، ففي الكمال المطلق والعام تكمن الرتابة الخانقة والموت. يجب أن تضم الطبيعة

المتناقضات، يجب أن تضم الظلال والضوء، الحزن والسعادة؛ الخاطئ والصحيح، الخطيئة والفضيلة».

أجاب جيك: «ما تعلمته دائمًا يختلف تمامًا. ولكني بعد أن عرفت هذه المرأة وعرفتك، وأنتما من عِرق آخر، أصبحت أعتقد أنه ربما توجد معايير أخرى عالية ومرغوبة تمامًا كتلك التي يؤمن بها الكلدينيون، فقد رأيت لمحة على الأقل من الشيء الذي تسمونه السعادة، وأدرك أنه ربما يكون جيدًا على الرغم من عدم قدرتي على التعبير عنه. لا أستطيع أن أضحك أو أبتسم، ومع ذلك يوجد داخلي شعور بالرضى عندما تغني هذه المرأة، شعور يفتح أمامي آفاقًا عجيبة من الجمال والمتعة غير المتوقعة التي تتجاوز الفرح البارد لدى العقل الذي يعمل بشكل مثالي. كنت أتمنى أن أولد من عِرقكم».

حمل تيار هوائي لطيف السفينة ببطء نحو الشمال الشرقي، عبر وادي بانتوم، حيث تقع أسفلهم حقول مزروعة. مروا عبر أبراج غريبة، واحدًا تلو الآخر، أبراج تخص مواك ونولاش وملوكًا آخرين من الأسراب التي تقطن هذه الأرض الغريبة الرهيبة. وفي داخل كل حظيرة تحيط بالأبراج، تزحف الرايكورات؛ تلك الأشياء البغيضة، مقطوعة الرأس، جميلة وإن كانت بشعة.

قال جاهان، مشيرًا إلى رايكورات الحظيرة التي يحلقون فوقها في ذلك الوقت: «إنهم عبرة، لتلك الأقلية الصغيرة -لحسن الحظ- من عرقنا، الذين يعبدون اللحم ويجعل من الشهية إلهًا. تعرفينهم، تارا الهيليومية؛ يمكنهم أن يقولوا لك ما أكلوه بالضبط في وجبة منتصف

النهار قبل أسبوعين، وكيف ينبغي إعداد لحم الثوات، وما المشروب الذي يجب تقديمه عند تناول وِرك الزيتيدار».

ضحكت تارا الهيليومية، وأضافت: «ولكن ليس بإمكان أحدهم أن يخبرك اسم الرجل الذي فازت لوحته بجائزة الجيداك في معبد الجمال هذا العام. إنهم مثل الريكورات، لم يكن تطورهم متوازنًا».

«محظوظون بالفعل أولئك الذين يجمعون بين القليل من الحسنات والقليل من السيئات، والقليل من معرفة العديد من الأشياء خارج مهنتهم، والقدرة على الحب والقدرة على الكراهية؛ فمثل هؤلاء يمكنهم التحلي بالتسامح مع الجميع، دون تحيز مغرور لمن يميل رأسه ثقيلًا على جانب لأن عقله يتجه نحو هذه النقطة».

ما إن توقف جاهان عن الكلام، حتى أصدر جيك بعض الضوضاء من حلقه كما يفعل من يريد جذب الانتباه. «أنت تتحدث كشخص يفكر كثيرًا حول العديد من المواضيع. هل تجدون إذن، أنتم أبناء العِرق الأحمر، متعة في التفكير؟ هل تعرفون متعة التأمل؟ وهل يشكل العقل والمنطق أي جزء من حياتكم؟».

أجاب جاهان: «بالتأكيد، ولكن ليس إلى حد أن يشغل ذلك كل وقتنا، على الأقل ليس موضوعيًّا. أنت، جيك، مثال على الغرور الذي تحدثت عنه. تكرس أنت وجنسك حياتكم في عبادة العقل، ولذا تعتقدون أن الكائنات المخلوقة الأخرى غيركم لا تفكر. وربما نحن لا نفعل مثلكم، فأنتم لا تفكرون سوى في أنفسكم وعقولكم العظيمة. ونحن نفكر في الكثير من الأمور التي تتعلق برفاهية العالم. لولا رجال

برسوم الحُمر، لكان الكلدينيون قد هلكوا من على الكوكب؛ إذ بينما يمكنكم العيش من دون الهواء، فإن الأشياء التي يعتمد وجودكم عليها لا تستطيع العيش من دون هواء. ولم يكن ليوجد الهواء بكميات كافية على برسوم، طوال تلك العصور العديدة، إذا لم يقم الرجل الأحمر بالتخطيط وبناء المصنع العظيم لإنتاج الجو، والذي منح حياة جديدة لعالم يحتضر.

«ماذا فعلت جميع عقول الكلدينيين الذين عاشوا حتى الآن، لنقارنها بتلك الفكرة التي قدمها رجل واحد أحمر؟».

انتابت الحيرة جيك. يعرف بوصفه كلدينيًّا أن العقول تؤثر على مجموع الإنجازات العالمية، ولكن لم يخطر بباله أبدًا ضرورة استخدامها بطرق عملية ومفيدة. أدار بصره ونظر إلى أسفل، إلى وادي أسلافه الذي يحلق فوقه ببطء، نحو عالم لا يعرفه، تُرى ما هو؟ كان يعرف أنه يجب أن يكون إلهًا حقيقيًّا بين المرؤوسين، لكن ارتيابًا ما هاجمه. فمن الواضح أن هذين الشخصين من ذلك العالم على استعداد للتشكك في تفوقه، بل كان غروره الكبير يثير شكًّا في رعايتهما له، وربما حتى شفقتهما عليه. ثم بدأ يتساءل، ماذا سيصبح. لن يمتلك العديد من الرايكورات التي تلبي أوامره. ليس لديه سوى هذا الرايكور، وعندما يموت لن يجد أي رايكور آخر. وعندما يتعب الرايكور، وإلى أن يستريح، يظل جيك عاجزًا تقريبًا. تمنى لو أنه لم يتعرف أبدًا على هذه المرأة الحمراء، فهي لم تجلب له سوى السخط والخزي، والآن المنفى. بدأت تارا الآن تدندن بلحن، كان جيك راضيًا.

حلقت سفينتهم الفضائية برفق تحت الأقمار المسرعة، أعلى ظلال مجنونة لليلة مريخية. خفتت أصوات زئير حيوانات البانث عندما كانت سفينتهم تبتعد عن حدود بانتوم، تاركين خلفهم أهوال تلك الأرض التعيسة. ولكن، إلى أين يجرفهم الهواء؟ نظرت الفتاة إلى الرجل الذي يجلس متربعًا على سطح السفينة الصغيرة، يحدق في الليل أمامه، ويبدو مستغرقًا تمامًا في التفكير.

تساءلت: «أين نحن؟ إلى أين ننجرف؟».

هز توران كتفيه العريضين، وأجاب: «تخبرني النجوم أننا ننجرف نحو الشمال الشرقي. لكنني لا أستطيع حتى تخمين أين نحن، أو ماذا يكمن في طريقنا. كان يمكنني من أسبوع أن أقسم أنني أعرف ماذا يكمن وراء كل سلسلة تلال متعاقبة أقترب منها، أما الآن، أعترف بكل تواضع أنني لا أملك أي تصور عما قد يكمن على بُعد ميل في أي اتجاه، أنا ضائع، تارا الهيليومية، وهذا كل ما أستطيع أن أقوله لك».

كان يبتسم، وابتسمت له الفتاة. بدت حيرة طفيفة على تعبيرات وجهها، هناك شيء مألوف في ابتسامته. لقد التقت بالعديد من البانتان -يجيئون ويذهبون، عقب أي قتال- لكنها لم تستطع تحديد هذا البانتان.

فاجأته بسؤال: «من أي بلد أنت، توران؟».

أجابها: «ألا تعلمين، تارا الهيليومية، أن البانتان ليس لديه بلد؟ فهو اليوم يحارب تحت راية قائد، وغدًا تحت راية قائد آخر».

قالت بإصرار: «لكن ولاءك بالتأكيد لبلد ما، عندما لا يوجد قتال.

ما الراية التي تقاتل تحتها الآن؟».

نهض، ووقف أمامها، ثم انحنى راكعًا. وقال: «أرجو قبول خدمتي، الآن وإلى الأبد، تحت راية ابنة أمير الحرب».

تقدمت نحوه، ولمست ذراعه بيدها البُنية النحيلة، وقالت: «خدماتك مقبولة، وإذا استطعنا الوصول إلى هيليوم، أعدك أن مكافأتك ستضم كل ما يمكن أن يرغبه قلبك».

فقال: «سوف أخدم بإخلاص، أملًا في تلك المكافأة». لكن تارا لم تُخمن ما كان في ذهنه؛ لأنها اعتقدت أنه من المرتزقة. وكيف يمكن لابنة أمير الحرب الفخورة أن تُخمن أن البانثان البسيط يطمح إلى يدها وقلبها؟

عند بزوغ الفجر، كانت السفينة تتحرك بسرعة فوق مشهد غير مألوف. زادت الرياح خلال الليل، وحملتهم بعيدًا عن بانتوم. كان البلد أسفلهم موحشًا وغير مضياف. لا توجد مياه مرئية، وسطح الأرض مشقوق بمضايق عميقة، بينما لا يوجد شيء ملحوظ في أي مكان سوى نباتات هزيلة. لا توجد حياة من أي نوع، ولا يوجد أي مؤشر على أن البلد يمكن أن يدعم الحياة. حلقوا لمدة يومين فوق هذه البقعة القفر البغيضة. لم يكن معهم طعام أو ماء، ولذا كانوا يعانون. تخلى جيك مؤقتًا عن رايكوره، بعد التماس مساعدة توران في وضعه بأمان على سطح السفينة. فكلما قل استخدامه، يقل استنفاد حيويته. كانت آثار الحرمان تظهر بالفعل على الرايكور. زحف جيك على السفينة كعنكبوت كبير: على جانبها، وأسفل العارضة، وأعلى الدرابزين

المقابل. كان يبدو في تنقله من مكان لآخر، كأنما في منزله، فجميع الأماكن على قدم المساواة. على أن رفيقيه كانا يعتبران المكان ضيقًا؛ لأن سطح السفينة مخصص لشخص واحد وليس مُعدًّا ليحمل ثلاثة.

كان توران يسعى دائمًا لرؤية علامات للمياه. يجب أن يحصلوا على مصدر للماء، أو على النباتات التي تعطي المياه وتجعل الحياة ممكنة في العديد من المناطق القاحلة على المريخ، لكن كليهما لم يتوفر خلال هذين اليومين، وبدأت الآن الليلة الثالثة. لم تُعبِّر الفتاة عن شكواها، لكن توران يعرف أنها تعاني، ولذا شعر بقلبه ثقيلًا. كان جيك أقلهم معاناة، وأوضح لهم أن بمقدور جنسه العيش لفترات طويلة دون طعام أو ماء. كاد توران أن يلعنه وهو يرى هيئة تارا الهيليومية تضعف ببطء أمام عينيه، في حين يبدو الكلديني البشع ممتلئًا بالحيوية المعتادة.

قال جيك: «توجد ظروف لا يكون في ظلها الجسم المادي مرغوب فيه، بقدر الرغبة في عقل عالي التقدم».

نظر إليه توران، لكنه لم يقل شيئًا. ابتسمت تارا بضعف، وقالت: «لا يمكننا لومه، ألم نتبجح قليلًا في التفاخر بتفوقنا؟»، ثم أضافت، «عندما كانت بطوننا ممتلئة».

أقر توران قائلًا: «ربما هناك شيء يمكن قوله عن منظومتهم؛ إذا أمكننا وضع بطوننا جانبًا عندما تصرخ طلبًا للطعام والماء، لا أشك في أننا كنا لنفعل ذلك».

وافقته تارا: «أنا لا أفتقد بطني على الإطلاق الآن، فهي رفيق بائس جبار».

بزغ فجر يوم جديد، كاشفًا عن بلد أقل قفرًا، ما جدد الأمل ثانية بعد أن تقلص داخلهم جميعًا. وفجأة انحنى توران وهو يشير إلى الأمام.

صاح: «انظري، تارا الهيليومية! إنها مدينة! أرى أنا جا.. أنا توران البانتان، أرى مدينة».

تبدو الآن على بُعد، في ظل أشعة الشمس المشرقة، قباب وجدران وأبراج نحيلة لمدينة. أسرع الرجل إلى لوحة التحكم، وهبط بالسفينة بسرعة خلف مجموعة من التلال المنخفضة الفاصلة؛ ذلك أن توران يعرف جيدًا ضرورة اختبائهم، إلى أن يتمكنوا من اكتشاف ما إذا كان سكان هذه المدينة الغريبة من الأصدقاء أو الأعداء. تشير الاحتمالات إلى أنهم بعيدين عن مساكن الأصدقاء، ولذا يجب أن يتحرك البانتان بأقصى قدر من الحذر. لكنها مدينة، وأينما توجد مدينة يتوفر الماء، حتى وإن كانت المدينة مهجورة، ويتوفر الطعام إن كانت مأهولة بالسكان.

كان الطعام والماء بالنسبة للرجل الأحمر، حتى في قلعة للعدو، يعني الطعام والشراب لتارا الهيليومية. سوف يقبله منهم إن كانوا أصدقاء، وسيستولي عليه إن كانوا أعداء. سيحصل عليه ما دام متوفرًا، وهنا ظهر غرور المقاتل، على الرغم من أن توران لم يعتبره غرورًا، ولا تارا التي تنتمي أصولها إلى سلسلة طويلة من المقاتلين. أما جيك، فكان ليبتسم إن عرِف كيف.

سمح توران للطائرة أن تقترب وراء التلال الفاصلة. وعندما لم يعُد في استطاعته التقدم لمسافة أبعد درءًا لخطر الانكشاف، هبط بالطائرة

برفق على أرض وادٍ صغير ضيق، ثم قفز نحو جانبها، ما جعلها تسرع نحو شجرة قوية. ناقشوا خططهم لعدة دقائق: ما إذا كان من الأفضل الانتظار في مكانهم إلى أن يخفي الظلام تحركاتهم، ثم يقتربون من المدينة بحثًا عن الطعام والماء؛ أو يقتربون الآن، مع الاستفادة بأي تغطية ممكنة، إلى أن يتمكنوا من تبيان شيء عن طبيعة السكان.

سادت في النهاية خطة توران. سيتحركون إلى أقرب موقع تمليه السلامة، على أمل العثور على الماء خارج المدينة، وربما الطعام أيضًا. وإذا لم يجدوا ما يريدون، يمكنهم على الأقل استطلاع الأرض بالنهار، وعند حلول الليل، يقترب توران بسرعة من المدينة، ويواصل في أمان نسبي بحثه عن الطعام والشراب.

تابعوا الصعود أعلى الوادي إلى أن وصلوا أخيرًا إلى قمة سلسلة التلال، حيث كانت بقعة ممتازة لمشاهدة ذلك الجزء من المدينة الأقرب لهم، مع إخفاء أنفسهم بالأغصان التي يجثمون خلفها. استعاد جيك رايكوره، الذي كانت معاناته أقل من معاناة تارا وتوران خلال صيامهم القسري.

أصبحت المدينة الآن أقرب كثيرًا، وكشفت أول نظرة نحوها أنها مأهولة بالسكان. كانت اللافتات والرايات ترفرف فوق العديد من السواري. وكان الناس يتحركون عند البوابة الظاهرة أمامهم. وقف الحراس على مسافات متباعدة فوق الجدران البيضاء. وعلى أسطح المباني العليا، يمكن رؤية النساء يقمن بتهوية حرير وفراء النوم. ظل توران يراقب المشهد في صمت لبعض الوقت.

وقال: «لا أعرفهم، ولا يمكنني تخمين هذه المدينة. لكنها مدينة قديمة؛ فلا يوجد لدى شعبها طائرات فضائية أو أي أسلحة نارية، بالقطع هي مدينة قديمة».

سألته الفتاة: «كيف تعرف أنهم لا يملكون هذه الأشياء؟».

أجابها: «لا توجد منصات هبوط فوق الأسطح، لا يمكنني رؤية أي منصة من هنا، في حين إذا كنا ننظر إلى هيليوم لرأينا المئات. وليس لديهم أسلحة نارية، لأن دفاعاتهم كلها مبنية لصد هجمات الرماح والسهام برماح وسهام. هذا شعب قديم».

قالت الفتاة: «إذا كانوا من الشعوب القديمة، ربما يتسمون بالود. ألم نتعلم، في طفولتنا، عن تاريخ كوكبنا أنه كان مأهولًا في يوم ما بعِرق ودود ومحب للسلام؟».

أجاب توران ضاحكًا: «لكنني أخشى أنهم ليسوا قدماء إلى هذا الحد. لقد انقضت عصور طويلة منذ أن أحب رجال برسوم السلام».

قالت الفتاة: «والدي يحب السلام».

أجابها: «ومع ذلك، فهو دائمًا في حالة حرب».

ضحكت، ثم قالت: «لكنه يقول إنه يحب السلام».

قال مؤكدًا كلامها: «نحن جميعًا نحب السلام، السلام بشرف، لكن جيراننا لا يسمحون لنا بذلك، وبالتالي علينا أن نقاتل».

أضافت: «ولكي نقاتل جيدًا، يجب أن يحب الرجال القتال».

فقال: ولكي يحبوا القتال، عليهم أن يعرفوا كيف يقاتلون؛ فالرجل

لا يحب أن يقوم بشيء لا يعرف كيفية القيام به جيدًا».

«أو أن بعض الرجال الآخرين يقومون به أفضل منه».

وأنهى كلامه قائلًا: «وبالتالي سوف توجد دائمًا حروب؛ ذلك أن الرجال الذين تجري في عروقهم دماء حارة سوف يمارسون فن الحرب».

ابتسمت الفتاة وهي تقول: «لقد حللنا سؤالًا كبيرًا، لكن بطوننا لا تزال فارغة».

أجاب توران: «لقد أهمل البانتان القيام بواجبه، كيف يفعل ذلك والمكافأة الكبيرة أمام عينيه دائمًا!».

لم تُخمن في كلماته الحرفية المعنى الذي يقصده.

واصل قائلًا: «سوف أذهب على الفور لانتزاع الطعام والشراب من القدماء».

وضعت يدها على ذراعه وصاحت: «كلا، ليس بعد. سوف يقتلوك أو يسجنوك. أنت بانتان شجاع وقوي، لكنك لا تستطيع التغلب على مدينة بمفردك».

ابتسمت في وجهه، ولا تزال يدها على ذراعه. شعر بمتعة تدفق الدماء الحارة خلال عروقه. بإمكانه أن يضمها بقوة بين ذراعيه. لا يوجد سوى جيك الكلديني، لكن بداخله شيئًا أقوى يقيد يديه. من يمكن تعريف ذلك الشيء؛ تلك الفروسية الأصيلة التي تجعل بعض الرجال حماة طبيعيين للنساء؟

شاهدوا من موقعهم المتميز مجموعة من المحاربين المسلحين يخرجون من البوابة، ويلتفون على طول طريق مطروق يمر عبر سفح التل الذي ينظرون منه. كان الرجال من الحُمر، مثلهم، ويركبون صهوة حيوانات ثوات صغيرة من العِرق الأحمر. وكانت أغطيتهم وزخارفهم بربرية ورائعة، ويوجد العديد من الريش على أغطية رؤوسهم كعادة القدماء. كما كانوا مسلحين بسيوف ورماح طويلة، وشبه عرايا، وعلى أجسامهم رسوم بالأصفر والأزرق والأبيض. ربما تضم المجموعة عشرة أشخاص يركضون فوق ركوباتهم التي لا تكل، ويبدو مظهرهم وحشيًا وجميلًا في آن.

قال توران: «إنهم يتسمون بمظهر المحاربين الرائعين. يمكنني السير بجرأة في مدينتهم وطلب الخدمة».

هزت تارا رأسها، وقالت ناصحة: «تريث. ماذا أفعل من دونك. وإذا أسروك، كيف ستحصل على مكافأتك؟».

أجاب: «سوف أهرب. على أي حال، سوف أحاول». وبدأ ينهض.

قالت الفتاة، ونبرة صوتها تنم على السلطة: «كلا، لن تفعل».

نظر إليها الرجل بسرعة، متعجبًا.

فقالت ببعض الغطرسة: «أنت في خدمتي، أنت تعمل في خدمتي بالأجر، وسوف تفعل ما آمرك به».

جلس توران بجوارها مرة أخرى، بنصف ابتسامة على شفتيه، وقال: «أنا تحت أمرك يا أميرة».

انتهى اليوم. ترك جيك رايكوره، لتعبه من ضوء الشمس، وزحف إلى حفرة اكتشف وجودها بالقرب منه. استلقت تارا وكذا توران تحت الظلّ الضئيل لشجرة صغيرة، وأخذا يشاهدان الناس تدخل وتخرج من البوابة. لم يرجع المحاربون الذين خرجوا منذ فترة. يُساق قطيع صغير من حيوانات الزيتيدار إلى المدينة خلال النهار، وتظهر في الأفق البعيد قافلة من العربات ذات العجلات العريضة، تجرها تلك الحيوانات الضخمة، واتجهت نحو المدينة، غابت عن نظرهما أيضًا بعد دخولها عبر البوابة. هبط الظلام، وأمرت تارا الهيليومية البانتان أن يبحث عن الطعام والشراب، لكنها حذرته من محاولة دخول المدينة. وقبل مغادرته، انحنى أمامها وقام بتقبيل يدها، حيث يمكن للمحارب تقبيل يد ملكته.



الفصل (١٠)

الوقوع في الشَرَك

اقترب البانتان توران من المدينة الغريبة تحت جنح الظلام. لم يأمل كثيرًا في العثور على طعام أو ماء خارج الجدار، لكنه سيحاول. وإذا فشل، سيشق طريقه إلى المدينة؛ إذ يجب أن تحصل تارا الهيليومية على القوت وبسرعة. رأى أن الحراسة على الجدران ضعيفة، لكن الجدران عالية بما يكفي لأن تبوء أي محاولة لتسلقها بالفشل. استفاد توران من الشجيرات والأشجار، بحيث تمكن من الوصول إلى قاعدة الجدار دون اكتشافه. تحرك بهدوء نحو الشمال، مارًّا بالمدخل المُغلق ببوابة ضخمة تحول حتى دون أدنى لمحة إلى المدينة خلفها. كان توران يأمل في إيجاد سهل منبسط على الجانب الشمالي من المدينة، بعيدًا عن التلال، حيث تنمو محاصيل السكان، فضلًا عن المياه المرتبطة بنظام الري لديهم، لكنه لم يجد أي حقول أو مياه، على الرغم من سيره لمسافة طويلة على طول ذلك الجدار الذي بدا بلا نهاية. بحث كذلك عن وسيلة للدخول إلى المدينة، لكنه لم يواجه هنا أيضًا سوى الفشل.

والآن، خلال تحركه، تشاهده أعين من أعلى ويلاحقه مُطارِد صامت منذ فترة من فوق قمة الجدار. نزل الظل المطارِد حاليًا إلى الرصيف في الداخل، وركض مسرعًا ليسبق الغريب في الخارج.

وصل الرجل الآن إلى بوابة صغيرة، يوجد بجوارها مبنى منخفض، ويقف محارب أمام مدخل المبنى لحراسته. تحدث بكلمات قليلة سريعة مع المحارب، ثم دخل المبنى، وإنما فقط ليعود على الفور إلى الشارع، يتبعه أربعين محاربًا. فتح الزميل البوابة بحذر، وأطل بعناية على طول الجدار إلى الخارج في الاتجاه الذي أتى منه. بدا رضاه واضحًا، وأصدر تعليمات في عدة كلمات لمجموعة المحاربين خلفه، وعندئذ عاد نصفهم إلى داخل المبنى، بينما تسلل النصف الآخر وراء الرجل خلال البوابة، وربضوا منخفضين بين الشجيرات على شكل نصف دائرة شمال البوابة التي تركوها مفتوحة. انتظروا بصمت مطلق في هذا الموقع. لم تطل مدة انتظارهم قبل أن يأتي البانتان توران بحذر سائرًا على طول قاعدة الجدار. وصل إلى البوابة، لكنه توقف للحظة ليستمع عندما وجدها مفتوحة، ثم اقترب ونظر إلى الداخل. وعندما تأكد من عدم وجود أي شيء يخشاه على مرمى البصر، دخل من خلال البوابة إلى المدينة.

وجد نفسه في شارع ضيق يوازي الجدار. ارتفعت على الجانب الآخر مبان ذات معمار غريب عليه، لكنه جميل. في حين كانت المباني متقاربة على نحو وثيق، لا يوجد بينها أي اثنين متشابهين، وتتخذ واجهاتها كافة الأشكال والارتفاعات والعديد من الألوان،

كسرت الأفق قمة مستدقة، وقبة، ومنارة، وأبراج طويلة ونحيلة، بينما تدعم الجدران العديد من الشرفات. وفي الضوء الخافت للقمر الأبعد كلوروس، الذي ينخفض الآن في الغرب، رأى لدهشته وذعره أشكال الناس في الشرفات. رأى أمامه مباشرة امرأتين ورجل، يجلسون متكئين على سور الشرفة ويبدو أنهم ينظرون إليه مباشرة، لكنهم إذا شاهدوه، لا يُظهِرون أي علامة.

تردد توران للحظة أمام اكتشافه الفعلي، لكنه كان متأكدًا من أنهم اعتبروه أحد أبناء شعبهم، ولذا تحرك بجرأة نحو الطريق. لم تكن لديه أي فكرة عن الاتجاه الذي ربما من الأفضل اتخاذه على أمل العثور على ما يسعى إليه، ولم يرغب في إثارة الشكوك بمزيد من التردد، ولذا اتجه إلى اليسار وسار بخفة على طول الرصيف وهو ينوي إبعاد نفسه بأقصى سرعة ممكنة عن مراقبة هؤلاء المراقبين الليليين. كان يعرف أن الليل قارب على الانتهاء، لذا كان يتعجب من جلوس الناس في الشرفات الآن في حين ينبغي أن يكونوا نيامًا الآن بين الحرير والفراء. تصور في البداية أنهم ضيوف لدى مضيف مرِح، لكن الظلام كان يكتنف النوافذ خلفهم، كما يسود هدوء مطلق، يا لها من نظرية مزعجة! اجتاز خلال سيره العديد من المجموعات الأخرى التي تجلس بصمت في شرفات أخرى. لم يعره أحدًا منهم أي اهتمام، كأنما لم يشاهدوه حتى خلال مروره. اتكأ بعضهم بكوعه على سور الشرفة، وذقونهم مستقرة على راحة أيديهم، واتكأ آخرون على الذراعين عبر الشرفة وهم ينظرون إلى الشارع، بينما شاهد العديدين يحملون آلات موسيقية في أيديهم، دون

أن تتحرك أصابعهم على الأوتار.

وصل توران إلى موضع يلتف فيه الطريق نحو اليمين حول مبنى ناتئ من داخل سور المدينة. وعندما دار حول الزاوية بالكامل، وجد نفسه أمام اثنين من المحاربين يقف كل منهما على أحد جانبي المدخل المؤدي إلى مبنى على اليمين. كان من المستحيل عدم رؤيتهما له، ومع ذلك لم يتحركا، كما لم يُظهرا أي دليل آخر على أنهما شاهداه. وقف هناك منتظرًا، ويده فوق مقبض سيفه الطويل، لكنهما لم يتعرضا له سواء بالهجوم أو بإيقافه. هل تصورا أيضًا أنه أحد أبناء شعبهم؟ لم يكن بمقدوره، في واقع الأمر، تفسير تراخيهم على أي أسس أخرى.

عندما مر توران عبر البوابة إلى المدينة واتخذ طريقه دون عوائق على طول الطريق، دخل عشرون محاربًا المدينة وأغلقوا البوابة وراءهم، ثم صعد أحدهم على الجدار وسار فوقه خلف توران، وسار محارب آخر بمحاذاة الجدار خلفه أيضًا، بينما عبر المحارب الثالث الشارع ودخل أحد المباني على الجانب الآخر.

عاد باقي المحاربين ثانية، باستثناء حارس واحد بجوار البوابة، إلى المبنى الذي استدعاهم بداية. كان المحاربون يتمتعون بأجسام قوية البنية وضخمة، ومدهونة بالألوان، كما كانت أجسادهم العارية مغطاة بأثواب رائعة لتحمُّل برودة الليل. كانوا يضحكون وهم يتحدثون عن الغريب وسهولة خداعه بهذه الطريقة، وواصلوا ضحكهم وهم يلقون أنفسهم على الحرير والفراء لاستئناف نومهم الذي انقطع. من الواضح أنهم خصصوا حارسًا بعينه لحراسة البوابة التي ينامون بجوارها، ومن

الواضح أيضًا وجود حراسة على البوابات، وأن المدينة تراقب بعناية أكثر بكثير مما اعتقده توران. كان جِد جائول ليتكدر كثيرًا إذا حلم أنه تعرض لهذا الخداع المنظم جيدًا.

سار توران عبر الطريق، مارًّا بحراس بآخرين بجوار الأبواب الأخرى، لكنه بدأ الآن يولي إليهم بعض الانتباه لأنهم لم يحاولوا قتاله، ولا حتى ملاحظة مروره ولو ظاهريًا. وعلى الرغم من مشاهدته لواحد أو أكثر من هؤلاء الحراس الصامتين، عند مروره عند كل منعطف في هذا الطريق الغريب، لم يستطع تخمين أنه مر بنفس الشخص عدة مرات، وأن هناك مطاردين صامتين ماهرين يلاحقون ويرقبون كل خطواته. بمجرد أن يمر توران بحارس معين من أولئك الحراس الجامدين، قبل أن يستيقظ ويعود فجأة إلى الحياة، يركض الحارس عبر الطريق، ويدخل إلى فتحة ضيقة في الجدار الخارجي، ويواصل بسرعة في ممر مبني داخل الجدار نفسه، إلى أن يخرج إلى موضع يسبق وصول توران إليه بمسافة قصيرة، ثم يتخذ الموقف الصارم الصامت لجندي مكلف بالحراسة. لم يعرف توران أن حارسًا ثانيًا يتبعه في ظلال المباني خلفه، ولا أن حارسًا ثالثًا يسرع قبله في مهمة عاجلة.

وهكذا جاب البانتان الشوارع الصامتة في هذه المدينة الغريبة، بحثًا عن الطعام والشراب للمرأة التي يحبها. نظر إليه رجال ونساء من شرفات غامضة، لكن دون التحدث معه، وشاهد الحراس مروره ولم يعترضوا طريقه. جاءه الآن من الطريق أمامه صوت مألوف، قعقعة العتاد المعدني، نذير المحاربين المشاة. وفي الوقت نفسه تقريبًا، شاهد على يمينه مدخلًا

مفتوحًا خافت الإضاءة من الداخل. إنه المكان الوحيد المتاح للاختباء من المجموعة التي تقترب. ومع مروره بعدة حراس دون أي اعتراض، فإنه بالكاد ما كان يأمل في تجنب التمحيص والاستجواب من الدورية، حيث افترض بطبيعة الحال أن تلك المجموعة هي دورية من الرجال.

اكتشف داخل المدخل ممرًّا يتحول فجأة إلى اليمين، ثم على الفور تقريبًا إلى اليسار. لا يوجد شيء على مرمى البصر، فدخل بحذر والتف حول المنعطف الثاني ليختبئ بعيدًا عن الشارع. امتد أمامه ممر طويل، خافت الإضاءة مثل المدخل. سمع خلال انتظاره أصوات اقتراب المجموعة من المبنى، وسمع صوت شخص عند مدخل مكان اختبائه، ثم سمع صوت إغلاق الباب الذي دخل منه. وضع يده على سيفه، متوقعًا سماع اقتراب خطوات عبر الممر؛ ولكن لم يأت أحد. اقترب من المنعطف ونظر حوله، كان الممر فارغًا إلى الباب المغلق؛ يبدو أن من أغلقه ظل في الخارج.

انتظر توران وحاول الاستماع، لكنه لم يسمع أي صوت. تحرك نحو الباب ووضع أذنه عليه. الصمت يرين تمامًا في الشارع وراء الباب. ربما أغلق تيار هوائي مفاجئ الباب، أو ربما من واجبات الدورية القيام بمثل هذه الأمور. لا يهم. من الواضح أن الدورية أنهت مرورها، ويمكنه الآن العودة إلى الشارع ومواصلة طريقه. يجب أن توجد نافورة عامة في مكان ما، حيث يمكنه الحصول على المياه، كما تكمن فرصة الحصول على طعام في سلاسل الخضراوات واللحوم المجففة التي تُعلّق أمام مدخل كل بيت برسومي تقريبًا من بيوت الفئات الفقيرة التي

رآها سابقًا. كان يسعى إلى هذا الحي، ولذا قاده بحثه بعيدًا عن البوابة الرئيسة للمدينة التي يعرف أنها لن تقع في حي فقير.

حاول فتح الباب دون جدوى؛ فقد أُغلق من الخارج. يا له من وضع مؤسف! حك البانتان توران رأسه وغمغم: «الحظ يعاكسني»، لكن المصير كان يقف خارج الباب على شكل محارب مدهون بالألوان ومبتسم. لقد خدع بمهارة الغريب الغافل. لقد كان المدخل المضاء، ودورية المشاة ضمن التخطيط والتوقيت الذي وضعه بإتقان المحارب الثالث الذي كان يسرع ليسبق توران على طول شارع آخر. وقام الغريب بما توقعه المحارب بالضبط، فلا عجب، إذن، أنه يبتسم.

ونظرًا لأن هذا المخرج أصبح غير متاح، عاد توران إلى الممر واتبعه بحذر وفي صمت. كان يوجد أحيانًا باب على جانب أو آخر، وحاول فتحها جميعًا ولكن دون جدوى. وكان الممر يزداد غرابة كلما تقدم فيه. سدّ باب مغلق في نهاية الممر طريقه، لكن بابًا على يمينه فُتِح ودخل غرفة خافتة الإضاءة، كانت جدرانها تضم ثلاثة أبواب أخرى. حاول فتح كل باب منها. أخفق في فتح بابين، وقاده الباب الثالث الذي فُتِح إلى مدرج يؤدي إلى أسفل. كان حلزونيًّا، ولم يتمكن من الرؤية أبعد من المنعطف الأول. فُتِح باب في الممر بعد أن غادر، وخرج منه المحارب الثالث ليتعقبه والابتسامة الباهتة لا تزال على شفتيه القاتمتين.

سحب توران سيفه القصير وأخذ يهبط بحذر. وجد في قاعدة المدرج الحلزوني ممرًّا قصيرًا، وفي نهايته باب مغلق. اقترب من اللوح الوحيد الثقيل، واستمع. لم يتناهَ إلى سمعه أي صوت من خلف البوابة

الغامضة. حاول بلطف فتح الباب، الذي تأرجح نحوه بسهولة بمجرد أن لمسه. وجد أمامه غرفة منخفضة السقف وذات أرضية ترابية. ضمت جدران الغرفة العديد من الأبواب، وجميعها موصدة. عندما دخلها توران بحذر، هبط المحارب الثالث المدرج الحلزوني وراءه. عبر البائتان الغرفة بسرعة وحاول فتح باب، لكنه وجده موصدًا. سمع نقرة مكتومة وراءه، فاستدار وهو مستعد بسيفه. كان بمفرده، لكن الباب الذي دخل منه أصبح مغلقًا؛ كانت النقرة التي سمعها هي صوت إغلاق الباب بإحكام.

عبر الغرفة بقفزة وحاول فتح الباب، ولكن دون جدوى. لم يعُد مهتمًا بالصمت؛ لأنه يعرف الآن أن الأمور تجاوزت مجرد الصدفة. ألقي بثقله على اللوح الخشبي، لكن خشب السكيل السميك الذي ارتطم به يمكن أن يصمد أمام هجوم كبش، ومن وراء الباب، صدرت ضحكة خافتة.

اختبر توران بسرعة كل باب من الأبواب الأخرى، ووجدها جميعًا موصدة. كشفت لمحة حول الغرفة عن وجود طاولة خشبية ومقعد طويل، كما توجد على الجدران عدة حلقات ثقيلة، مُعلق بها سلاسل صدئة، كلها أشياء ذات دلالة للغرض الذي خُصِصت له الغرفة. شاهد على الأرضية الترابية، قرب الجدار، ثقبين أو ثلاثة تشبه فتحات الجحور؛ إنها بلا شك موطن فئران المريخ العملاقة. نظر إليها لفترة، وفجأة انطفأ الضوء الخافت تاركًا إياه في ظلام دامس. تلمس توران طريقه سعيًا إلى الطاولة والمقعد الطويل، وضع المقعد عند الجدار وسحب الطاولة أمامه. جلس على المقعد، قابضًا على سيفه الطويل

أمامه في استعداد. عليهم أن يقاتلوا، على الأقل، قبل أن يأخذوه.

جلس هناك لبعض الوقت منتظرًا؛ لأنه لا يعرف ماذا يمكن أن يحدث. لم يتسلل أي صوت إلى زنزانته التي تقع تحت الأرض. أدار في ذهنه ببطء الأحداث التي وقعت في المساء: البوابة المفتوحة دون حراسة والمدخل المُضاء، الوحيد الذي شاهده مفتوحًا ومضاء على طول الشارع الذي سار فيه، تقدُّم المحاربين في نفس اللحظة تحديدًا التي لا يمكن أن يجد فيها أي سبيل آخر للهرب أو الاختباء، الممرات والغرف التي قادته عبر العديد من الأبواب الموصدة إلى هذا السجن تحت الأرض، بحيث لا يجد أمامه أي مسار آخر.

وأقسم «باسم سلفي الأول! يا لها من طريقة بسيطة، وأنا مغفل. لقد خدعوني بدهاء، وأخذوني دون تعريض أنفسهم لأدنى خدش، ولكن لأي غرض؟».

تمنى أن يعرف إجابة هذا السؤال، ثم تحولت أفكاره إلى الفتاة التي تنتظره هناك، فوق تل خارج المدينة، وأنه لن يأتي أبدًا. كان يعرف الطرق التي تستخدمها أكثر شعوب برسوم وحشية. كلا، لن يأتي أبدًا. لقد عصى أمرها. ابتسم وهو يتذكر حلاوة كلمات الأوامر التي خرجت من شفتيها العزيزتين. لقد عصى أمرها، وأضاع المكافأة.

ولكن ماذا عنها؟ ما مصيرها الآن، تتضور جوعًا أمام مدينة معادية، وليس بصحبتها سوى كلديني غير بشري؟ يا لها من فكرة مروعة فرضت نفسها عليه. لقد أخبرته عن المشاهد البشعة التي رأتها في جحور الكلدينيين، وكان يعرف أنهم يأكلون لحم البشر. كان جيك يتضور

جوعًا، وإذا التهم رايكوره سيصبح عاجزًا؛ ولكن ... هناك طعام له ولرايكوره. لعن توران نفسه لحماقته. لماذا تركها؟ كان البقاء والموت معها، وهو على استعداد دائمًا لحمايتها، أفضل من تركها تحت رحمة البانتومي البشع.

تبين توران رائحة ثقيلة في الهواء الآن. غمرته بشعور بالنعاس. حاول النهوض لمقاومة الخمول الزاحف إليه، لكنه شعر بساقيه ضعيفتين، فغرق ثانية في المقعد الطويل. انزلق سيفه الآن من أصابعه، ومدّ جسمه على الطاولة واضعًا رأسه على ذراعيه.



زاد شعور تارا بالقلق عندما هبط الليل ولم يعُد توران. ومع طلوع الفجر دون أي علامة منه، توقعت أنه فشل. هناك شيء أكثر من مأزقها التعيس جلب شعورًا بالحزن إلى قلبها ... الحزن والوحدة. أدركت الآن أنها لم تعتمد على هذا البانتان للحماية فقط وإنما للصحبة أيضًا. إنها تفتقده، وبافتقاده أدركت فجأة أنه يعني لها أكثر من مجرد محارب مأجور. شعرت كأنما صديق أُخِذ منها ... صديق قديم وموضع تقدير. نهضت من مكان اختبائها، ربما تتمكن من رؤية المدينة بشكل أفضل.

كان يودور(٣٨) – دوار الأوتان(٣٩) الثامن لأوتار، جيداك

---

(٣٨) يودور: نبيل ومحارب من ماناتور، ومبارز مرموق – https://barsoom.fandom.com/wiki/U-Dor – المترجمة.

(٣٩) الأوتان: سرية من الجنود تضم مائة جندي – http://barsoom.wikia.com/wiki/Special:Search?query=utan – المترجمة.

ماناتور[٤٠] -عائدًا في مطلع الفجر إلى ماناتور، من رحلة قصيرة إلى قرية مجاورة. وخلال دوراته حول التلال التي تقع جنوب المدينة، جذب انتباهه حركة طفيفة بين الشجيرات القريبة من قمة أقرب تل. أوقف ركوبته الشرسة ليراقب عن كثب. شاهد عن بُعد شخصًا ينهض ويتجه ببصره إلى أسفل، تجاه ماناتور خلف التل.

قال لأتباعه: «تعالوا!»، وبكلمة إلى حيوانه الثوات، أسرع الوحش في اتجاه أعلى التل. وأسرع في أعقابه عشرون محاربًا وحشيًا، دون أن تصدر عن الأقدام المبطنة لحيواناتهم الثوات أي صوت على العشب الناعم. لكن جلجلة أسلحتهم الجانبية وعتادهم هي ما جعلت تارا تستدير فجأة ناحيتهم. شاهدت تارا مجموعة من المحاربين يرفعون الرماح ويتجهون نحوها.

نظرت إلى جيك. ماذا سيفعل الرجل العنكبوت في هذه الحالة الطارئة؟ رأته يزحف إلى رايكوره ويلصق نفسه به، ثم نهض جميل الهيئة مفعمًا بالحيوية وفي حالة تأهب. تصورت أن المخلوق يستعد للفرار. حسنًا، لم يختلف الأمر كثيرًا، ففي مواجهة من يتدفقون نحو أعلى التل تجاههم، كان مبارز واحد متواضع مثل جيك أسوأ من عدم وجود دفاع على الإطلاق.

حثته قائلة: «أسرِع، جيك! عُد إلى التلال! قد تجد هناك مكانًا

---

(٤٠) ماناتور: مملكة مريخية من الحُمر، وعاصمتها ماناتور أيضًا، متخلفة تكنولوجيًا وعاداتها بدائية أكثر من الممالك الأخرى. واعتمدت صناعتها لفترة طويلة على العبيد الذين تجمعهم من خلال قوافل جانثول - https://barsoom.fandom.com/wiki/Manator - المترجمة.

للاختباء»، لكن المخلوق تحرك ليقف بينها وبين الفرسان القادمين، وهو يمتشق سيفه الطويل.

وعندما رأته يعتزم الدفاع عنها قالت: «ما من جدوى، جيك، ماذا يفعل سيف واحد في مواجهة هذه الصعاب؟».

أجاب الكلديني: «لن أموت سوى مرة واحدة. لقد أنقذتيني، أنتِ والبانتان، من لوود، وسوف أفعل ما كان ليفعله البانتان لحمايتك لو كان هنا».

قالت: «هذه شجاعة، ولكن بلا طائل. ضع سيفك في غمده. قد لا ينوون إلحاق الضرر بنا».

خفض جيك سلاحه، لكن دون أن يغمده، ثم وقف الاثنان في الانتظار. أوقف الدوار يودور حيوانه الثوات أمامهم، بينما شكّل المحاربون العشرون دائرة حولهم. ظل يودور جالسًا فوق ركوبته لدقيقة طويلة صامتًا، وهو ينظر متأملًا إلى تارا الهيليومية أولًا، ثم إلى رفيقها البشع.

سألهم: «من أي نوع من المخلوقات أنتما؟ وماذا تفعلان أمام بوابات ماناتور؟».

أجابت الفتاة: «نحن من بلدان بعيدة، وتائهين، ونتضور جوعًا. لا نطلب سوى الطعام والراحة، ثم نذهب في طريقنا إلى بلداننا».

ابتسم يودور ابتسامة قاتمة، وقال: «لا يعرف عُمر ماناتور سوى

«ماناتور والتلال التي تحرسها، ولا يوجد بأي سجل من حوليات ماناتور، طوال جميع العصور التي توالت منذ نشأتها، أن غريبًا غادرها».

صاحت الفتاة بغطرسة: «لكنني أميرة، وبلدي ليست في حرب مع بلدكم. عليكم أن تقدموا لي ولرفقائي العون والمساعدة للعودة إلى أرضنا. هذا هو قانون برسوم».

أجاب يودور: «لا تعرف ماناتور سوى قوانين ماناتور، ولكن هيا. سوف تذهبين معنا إلى المدينة. ولأنك جميلة، لا تخافين. وأنا شخصيًا سوف أتولى حمايتك إذا أمر أوتار. أما بالنسبة لرفيقك .... انتظري! لقد قلت 'رفاقك'، هل يوجد آخرون معك؟».

أجابت تارا بغطرسة: «ترى ما تراه».

قال يودور: «ليكن ما يكون. إذا كان هناك المزيد، فلن يمكنهم الهرب من ماناتور. لكن، وكما كنت أقول، إذا كان رفيقك يقاتل جيدًا، فسوف يعيش أيضًا؛ ذلك أن أوتار عادل، والعدالة هي قوانين ماناتور. هيا!».

اعترض جيك.

وعندما رأت الفتاة أنه يستعد لقتالهم، قالت له: «ما من جدوى»، ثم أضافت بسرعة بصوت هامس: «لنذهب معهم. لماذا تواجه بنصلك الضعيف أسلحتهم القوية، بينما يكمن في عقلك العظيم وسيلة لخداعهم؟».

أجاب: «أنت على حق، تارا الهيليومية»، ووضع سيفه في غمده.

وهكذا تحركوا إلى أسفل التل نحو بوابات ماناتور -تارا أميرة هيليوم، وجيك الكلديني من بانتوم- يحيط بهما ركب المحاربين المتوحشين المدهونين بالألوان، الذين يتبعون يودور، دوار الأوتان الثامن لأوتار، جيداك ماناتور».



الفصل (١١)

اختيار تارا

اكتست ماناتور بهالة رائعة من ضوء شمس برسوم المبهر، بينما كانت الفتاة وآسروها يدخلون إلى المدينة عبر بوابة الأعداء. يبلغ سُمك الجدار هنا حوالي خمسين قدمًا، ويُغطي جانبي الممر بعد البوابة رفوف بناء متوازية من أسفل إلى أعلى. ويقف داخل هذه الرفوف، أو التجاويف الأفقية الطويلة، صف فوق صف من الأشكال الصغيرة التي تبدو مثل تماثيل صغيرة مزخرفة من الرجال، تتدلى شعورهم الطويلة السوداء تحت أقدامهم ويطول أحيانًا وصولًا إلى الرف الأدنى. بالكاد ما يصل ارتفاع تلك الأشكال إلى قدم واحد، وباستثناء ضآلة تسبهم، يمكن القول إنها ربما جثث محنطة لرجال عاشوا في يوم ما. لاحظت الفتاة أن المحاربين خلال مرورهم كانوا يوجهون التحية برماحهم لتلك الأشكال، على طريقة محاربي برسوم في تقديم التحية العسكرية، ثم واصلوا طريقهم نحو شارع يمتد بجلال واتساع عبر المدينة نحو الشرق.

امتدت على الجانبين مبانٍ رائعة، غطت العديد من جدرانها لوحات رائعة الجمال من العصور القديمة، ضعفت ألوانها واختلطت نتيجة ضوء الشمس عبر العصور. وعلى الرصيف، كانت حياة المدينة، التي استيقظت، على قدم وساق. النساء في أغطيتهن المزخرفة الباهرة، والمحاربون الذين يرتدون الريش، وأجسام الجميع مدهونة بالألوان، والحرفيون مسلحون لكن أرديتهم أقل بهجة، يتخذون طرقًا مختلفة وفقًا لواجبات يومهم. زيتيدار عملاق، بديع في سرجه الفخم، يدمدم وهو يجر عربة واسعة ذات عجلات على طول رصيف حجري نحو بوابة الأعداء. صنعت الحياة والألوان والجمال صورة ملأت أعين تارا بالذهول والإعجاب، فهذا مشهد من مشاهد الماضي الذي ولّى على كوكب المريخ الذي يحتضر. هكذا كانت مدن مؤسسي عِرقها قبل اختفاء ثروكسيوس، أقوى المحيطات، من وجه العالم. ومن الشرفات على الجانبين، ينظر الرجال والنساء بصمت نحو الساحة أدناه.

تطلع الناس في الشارع إلى السجينين، لا سيما جيك البشع، ووجهوا أسئلة أو تعليقات إلى حارسهم، لكن المراقبين على الشرفات لم يتحدثوا، كما لم يُدِر أي منهم رأسه لمشاهدة مرورهما. توجد العديد من الشرفات في كل مبنى، ولا توجد شرفة لم تحتفظ بصمت رجالها ونسائها الذين يرتدون أفخر الأغطية، بالإضافة إلى وجود طفل أو اثنين هنا وهناك؛ ولكن حتى الأطفال حافظوا على الصمت وعدم الحركة مثل الكبار. عند اقترابهم من وسط المدينة، رأت الفتاة أن الأسطح تضم هي الأخرى مجموعات من هؤلاء المراقبين الخاملين، الذين يرتدون العتاد

والجواهر، كأنه يوم احتفالي للضحك والموسيقى؛ دون أن تنطلق أي ضحكة من تلك الشفاه الصامتة، ولا أي موسيقى من الآلات الموسيقية التي يحملها العديدون منهم بين أصابعهم المليئة بالمجوهرات.

اتسع الطريق الآن ليصل إلى ساحة هائلة، يرتفع في أقصى نهايتها صرح لامع فخم من الرخام الأبيض، بين المباني بهيجة الألوان التي تحيط به وبالمرج القرمزي وشجيراته المزهرة ذات الأوراق الخضراء. قاد يودور السجينين وحارسهما في اتجاه هذا الصرح، إلى مدخله الكبير المقوس، الذي يقف أمامه صف من خمسين محاربًا راكبًا يمنعون المرور. عندما تعرّف قائد الحرس على يودور، أمر محاربيه بالتراجع إلى الجانبين لإتاحة طريق واسع لمرور المجموعة. توجد بعد المدخل مباشرة مدرجات هائلة تقود إلى الأعلى من الجانبين. استدار يودور إلى اليسار، وقادهم إلى أعلى، إلى الطابق الثاني، ثم إلى أسفل عبر ممر طويل. وهنا، مروا برجال راكبين آخرين، كما شاهدوا غيرهم في غرف على الجانبين. كان يوجد أحيانًا مدرج آخر يؤدي إما إلى أعلى أو أسفل. اندفع محارب يمتطي فرسًا يركض بسرعة من إحدى هذه الغرف، ومر بهم مسرعًا لأداء مأمورية.

لم تشهد تارا حتى الآن أي شخص مترجل في هذا المبنى العظيم، ولكن عندما قادهم يودور عند أحد المنعطفات إلى الطابق الثالث، لمحت غرفًا تضم عددًا كبيرًا من حيوانات الثوات دون راكبيها، كما لمحت في غرف أخرى مجاورة محاربين لا يمتطون حيوانات، وإنما يستريحون في استرخاء أو يلعبون ألعاب المهارة أو الحظ، ويلعب

العديدون جيتان (الشطرنج). وصلت المجموعة بعد ذلك إلى قاعة رسمية طويلة وواسعة، رائعة الجمال بحيث لم تشهد أميرة هيليوم مثلها من قبل. تناثر عدد لا يُحصى من مصابيح الراديوم على السقف المقوس، الممتد على طول الغرفة، لإضاءته. وامتدت مساحات شاسعة من الجدار إلى الجدار، دون أن يقطع الأرضية عمود واحد. وكانت الأقواس من الرخام الأبيض الذي يبدو مُستخرَجًا ككتل منفردة ضخمة، قُطع من كل منها قوسًا كاملًا. وبين الأقواس، بُني السقف صلبًا حول مصابيح الراديوم ذات الأحجار الكريمة، التي ملأت نيرانها اللامعة وألوانها وجمالها المكان بأكمله. كما تدلت الأحجار أسفل الجدران لعدة أقدام، دون انتظام حوافها، بحيث بدت مُعلقة كستائر جميلة رائعة على الجدار الرخامي الأبيض. انتهى الرخام على مسافة ستة أقدام أو سبعة من الأرضية؛ ومن هذه النقطة إلى أسفل، اكتست الجدران بألواح من الذهب الصلب. وكانت الأرضية نفسها من الرخام المُطعم بثراء بالذهب. لقد ضمت تلك الغرفة كنزًا هائلًا يعادل ثروة العديد من المدن الكبيرة.

على أن أكثر ما جذب انتباه الفتاة، أكثر حتى من كنز الزخارف المذهلة، كانت صفوف المحاربين بعتادهم الرائع الذين يمتطون الثوات في صمت قاتم وجمود على جانبي الممر المركزي، صفًّا بعد صف وصولًا إلى الجدران البعيدة، وعندما سارت المجموعة بينهم، لم تلحظ أي رمشة جفن لدى أي محارب أو رعشة أذن لأي ثوات.

همس أحد حراسها، عندما لاحظ اهتمامها: «قاعة القادة»، وكانت

نبرة صوته تحمل فخرًا ونوعًا من الرهبة الخفية. ساروا بعد ذلك خلال مدخل هائل لغرفة كبيرة ومربعة، حيث يمتطي عشرات المحاربين صهوة حيواناتهم.

عندما دخل يودور ومجموعته الغرفة، اعتدل المحاربون بسرعة على ركوباتهم وشكلوا صفًّا أمام باب آخر على الجانب المقابل من الجدار. أمرهم البادوار بتحية يودور، الذي توقف مع مجموعته في مواجهة الحرس.

قال يودور: «أرسل أحدًا إلى أوتار لإبلاغه أن يودور أحضر سجينين جديرين بأن يراهما الجيداك العظيم، الأولى بسبب جمالها الشديد، والثاني بسبب قبحه الشديد».

أجاب الملازم: «أوتار في المجلس مع القادة الأدنى، لكن كلمات الدوار يودور سوف تصل إليه»، ثم استدار وأعطى تعليماته إلى محارب وراءه يمتطي الثوات.

وتوجه بسؤال إلى يودور: «ما نوع هذا المخلوق الذكر؟ لا يمكن أن ينتمي كلاهما إلى عِرق واحد».

أوضح يودور: «لقد كانا معًا عند التلال جنوب المدينة، ويقولان إنهما تائهين ويتضوران جوعًا».

قال البادوار: «المرأة جميلة. لن تتسول طويلًا في مدينة ماناتور»، ثم انتقل حديثهما إلى موضوعات أخرى: من أعمال القصر إلى حملة يودور، حتى عاد الرسول قائلًا إن أوتار يأمر بإحضار السجينين أمامه.

سارا خلال مدخل ضخم، كشف عند فتحه عن قاعة المجلس الكبرى لجيداك ماناتور، أوتار. قادهم ممر مركزي من المدخل على طول القاعة الكبرى، وانتهى بهم عند سلالم منبر رخامي حيث يجلس رجل على كرسي العرش المظيم. توجد على جانبي الممر صفوف من طاولات وكراسي من خشب السكيل المنحوت، خشب صلب رائع الجمال. كان عدد الطاولات غير الشاغرة قليلًا، تلك القائمة في الصف الأمامي أسفل المنصة مباشرة.

عند المدخل، ترجل يودور وأربعة من أتباعه الذين شكلوا حراسة حول السجينين اللذين تم اقتيادهما أمام العرش، خلف يودور بعدة خطوات. عندما توقفا أمام السلالم الرخامية، استقرت نظرات تارا الهيليومية الفخورة على هيئة الرجل الجالس على العرش أعلاه. كان يجلس معتدلًا دون تصلب: الحضور القيادي، مرتديًا الأغطية البربرية الفخمة التي يحبها زعماء برسوم. كان رجلًا ضخمًا، لم يشوه كمال وسامته سوى غطرسة عينيه الباردتين، وإيحاء القسوة الذي تنقله شفتيه النحيلتين جدًا. ما من حاجة إلى نظرة ثانية لتأكيد أقل ملاحظة: هنا حاكم مسيطر – جيداك مقاتل، قد يبجله شعبه لكن دون حب، ويمكن أن يتقاتل ويموت من أجله المحاربون. هذا هو أوتار، جيداك ماناتور! وعندما رأته تارا للمرة الأولى، لم تستطع إلا الاعتراف بنوع معين من الإعجاب لهذا الزعيم الوحشي الذي يجسد بقوة الفضائل القديمة لإله الحرب.

تبادل يودور والجيداك التحيات البسيطة في برسوم، ثم سرد يودور تفاصيل اكتشاف السجينين والقبض عليهما. تفحصهما أوتار يتمعن خلال سرد يودور للأحداث، ولم تكشف تعبيراته عما يدور في العقل الكامن وراء تلك الأعين الغامضة. ومع إنهاء الضابط لحديثه، كانت أعين الجيداك مثبتة على جيك.

سأله: «وأنت، ما عِرقك؟ من أي بلد؟ ولماذا أنت في ماناتور؟».

أجاب جيك: «أنا كلديني، أعلى نوع من المخلوقات في برسوم، أنا العقل، وأنت المادة. لقد جئت من بانتوم. أنا هنا لأننا تائهين ونتضور جوعًا».

تحول أوتار فجأة نحو تارا وسألها: «وأنتِ! هل أنتِ كلدينية أيضًا؟».

أجابت الفتاة: «أنا أميرة هيليوم، كنت سجينة في بانتوم وأنقذني هذا الكلديني ومحارب من عِرقي. تركنا المحارب ليبحث عن الطعام والماء، ومما لا شك فيه أنه وقع في أيدي شعبك. وأطلب منكم إطلاق سراحه، وإمدادنا بالطعام والشراب، ثم دعونا نذهب إلى طريقنا. أنا حفيدة جيداك، وابنة جيداك كل الجيداك أمير الحرب في برسوم. ولا أطلب سوى المعاملة التي يمكن أن يمنحها شعبي لك أو لشعبك».

كرر أوتار: «هيليوم. لا أعرف أي شيء عن هيليوم، ولا يحكم جيداك هيليوم ماناتور. أنا أوتار، جيداك ماناتور. أنا وحدي الحاكم. وأحمي شعبي. لم ترين قط امرأة أو محارب من ماناتور أسيرًا في هيليوم! لماذا أحمي شعب جيداك آخر؟ فمن واجبه هو حمايتهم. وإذا

لم يستطع، إذن فهو ضعيف، ويجب أن يقع شعبه في أيدي القوي. أنا أوتار، وأنا قوي. سوف أحتفظ بك. وهذا...»، مشيرًا إلى جيك «هل يمكنه القتال؟».

أجابت تارا: «إنه شجاع، لكنه لا يتمتع بمهارة استخدام أسلحة شعبي».

سألها أوتار: «لا يوجد أحد إذن ليقاتل من أجلك؟»، وتابع دون انتظار ردها: «نحن شعب عادل، وإذا كان لديك من يقاتل من أجلك، قد يفوز بالحرية لنفسه ولك أيضًا».

قالت: «لكن يودور أكد لي أنه ما من شخص غريب قد غادر ماناتور على الإطلاق».

هز أوتار كتفيه قائلًا: «هذا لا يدحض عدالة قوانين ماناتور، بل يعني بالأحرى أن محاربي ماناتور لا يُقهرون. فإذا أتى شخص يستطيع هزيمة محاربينا، فإنه يفوز بالحرية».

صاحت تارة بغطرسة: «يمكنك إحضار محاربي، وسوف ترى مبارزة لم تشهدها دون شك من قبل تلك الجدران المتهالكة لمدينتك المتداعية، وإذا لم تكن هناك خدعة في عرضك، فسوف نفوز بالحرية».

اتسعت ابتسامة أوتار، كما ابتسم يودور، وبدأ القادة والمحاربون يدفعون بعضهم بعضًا ويهمسون ضاحكين. أدركت تارا أن عدالتهم خادعة، لكنها لم تكف عن الأمل على الرغم من وضعها اليائس، أليست ابنة جون كارتر، أمير الحرب في برسوم، الذي يظل تحديه

الشهير في عبارة «ما زلت أعيش!» بمثابة دفاع دائم ضد اليأس؟ ومع تفكير تارا في والدها النبيل، ارتفع ذقنها الأرستقراطي إلى أعلى. آه! لو كان يعلم مكانها، ما كانت لتخاف من أي شيء؛ فعندئذ سيهاجم جمهرة من هيليوم أبواب ماناتور بعنف، وسيندفع المحاربون الخُضر الوحشيون حلفاء جون كارتر من قيعان البحر الميت اشتهاء للسلب والنهب، وسوف تحلق السفن الفضائية المهيبة لبحرية بلدها الحبيب فوق الأبراج والمنارات غير المحمية في المدينة الهالكة، التي لن ينقذها سوى الاستسلام ودفع ضرائب باهظة.

لكن جون كارتر لا يعرف! ولا يوجد سوى شخص واحد آخر تأمل في رؤيته: إنه البانتان توران؛ ولكن أين هو؟ لقد شهدت سيفه في المبارزة، وتعرف أنه يُتقن استخدامه، فمن ذا الذي يمكن أن يعرف فن المبارزة أفضل من تارا الهيليومية، التي تعلمته جيدًا على يد جون كارتر نفسه. لكنها تعرف الحيل التي تبخس البراعة البدنية الأكثر حتى من براعتها، فضلًا عن وسيلة الهجوم التي قد تثير في آن واحد حسد ويأس أمهر المحاربين. ولذلك، تحولت أفكارها نحو توران البانتان، ولكن ليس لحمايتها فحسب. فقد أدركت، منذ أن غادرها بحثًا عن الطعام، أن نوعًا من الألفة نما بينهما وتفتقدها الآن. هناك شيء فيه جعل في الإمكان عبور فجوة الوضع الاجتماعي لكل منهما في الحياة، فهي لم تنظر إليه باعتباره البانتان أو باعتبارها الأميرة، بل كرفيقين. وأدركت فجأة أنها تفتقده لشخصه أكثر من افتقادها لسيفه. توجهت الآن نحو أوتار.

وسألت: «أين توران، محاربي؟».

أجاب الجيداك: «لن تفتقري إلى محاربين، فواحدة بجمالك سوف تجد الكثيرين على استعداد للقتال من أجلها. ربما ليس من الضروري أن تنظري أبعد من جيداك ماناتور. أنت تُعجبيني يا امرأة. ما قولك على هذا الشرف؟».

دققت أميرة هيليوم، من خلال تضييق جفونها، في جيداك ماناتور؛ من غطاء الريش على الرأس إلى أقدامه في الصندل الذي يرتديه، ثم ثانية غطاء الريش على رأسه.

«الشرف!»، قالتها وهي تقلده بنبرة ساخرة، «أنا أعجبك، هل هذا صحيح؟ يجب أن تعلم، يا خنزير، أنك لا تعجبني، ابنة جون كارتر ليست لمثلك!».

ساد صمت متوتر مفاجئ بين القادة المجتمعين. وانحسر الدم ببطء عن الوجه الشرير لأوتار، جيداك ماناتور، وتحول إلى اللون الأرجواني الشاحب من شدة غضبه. ضاقت عيناه وأصبحتا شقين رفيعين، وانضغطت شفتيه إلى خط من الضغينة خال من الدماء. ساد الصمت للحظة طويلة في قاعة العرش بالقصر في ماناتور. ثم تحول الجيداك نحو يودور.

وقال بمستوى صوت يناقض مظهر غضبه: «خذها بعيدًا. خذها بعيدًا، وفي المباريات المقبلة، دع السجناء والمحاربين العاديين يلعبون الجيتان عليها».

سأل يودور، مشيرًا إلى جيك: «وهذا؟».

أجاب أوتار: «إلى الحُفر، حتى الألعاب القادمة».

صاحت تارا: «هذه إذن عدالتك المتبجحة! أن تحكُم دون محاكمة على اثنين من الغرباء الذين لم يسيئا إليك؟ وأحدهما امرأة. عدالة خنازير ماناتور تماثل شجاعتهم».

صاح أوتار: «خذوها بعيدًا!». وبإشارة من يودور، التف الحراس حول السجينين وقادوهما إلى خارج القاعة.

وفي خارج القصر، فصلوا بين جيك وتارا الهيليومية. قادوا الفتاة عبر طرق طويلة نحو وسط المدينة، وأخيرًا إلى مبنى منخفض، تعلوه أبراج عالية ضخمة البناء. وهنا، سلموها إلى محارب يرتدي شارة دوار، أو كابتن.

وقال له يودور موضحًا: «يرغب أوتار في سجنها حتى المباريات القادمة، حيث يلعب السجناء والمحاربين العاديين للفوز بها. لو لم يكن لسانها مثل الثوات، لكانت جديرة بأنبل محاربينا»، ثم تنهد يودور وأضاف: «ربما حتى كنت لأفوز لها بعفو. إنه شيء سيئ للغاية رؤية مثل هذا الجمال يقع من نصيب زميل عادي. لكنت أُكرمها بنفسي».

وقالت الفتاة: «إذا كان يجب أن أُسجن، إذن اسجنوني، فلا أذكر أن الحكم الذي صدر يقضي بالاستماع إلى إهانات كل غليظ منخفض المنزلة يصدف أنه مُعجب بي».

صاح يودور: «أرأيت يا أكور، هذه هي لغتها. وقالت ما هو أسوأ إلى الجيداك أوتار».

أجاب أكور: «نعم»، وشاهدته تارا يكبح ابتسامة بصعوبة. قال لها: «هيا معي إذن يا امرأة، وسوف نجد لك مكانًا آمنًا داخل أبراج جيتان – ولكن، انتظري! لماذا أنت متوعكة؟».

ترنحت الفتاة، وكادت أن تسقط لولا أن الرجل أمسكها بين ذراعيه. استجمعت نفسها، وحاولت بشجاعة أن تقف معتدلة دون دعم. نظر أكور إلى يودور وسأله: «أتعرف أن المرأة مريضة؟».

أجابه: «ربما من نقص الغذاء. فقد قالت إنها ورفاقها لم يتناولوا أي طعام منذ عدة أيام».

قال أكور ساخرًا: «يا لشجاعة محاربي أوتار، ويا لكرم ضيافتهم. يودور الذي ثرواته لا تُعد ولا تُحصى، وأوتار الشجاع الذي حيواناته الثوات تصيح في إسطبلات داخل قاعات رخامية وتتغذى في أحواض ذهبية، لا يمكنهما تجنيب أي كسرة لإطعام فتاة تتضور جوعًا».

تجهم يودور ذو الشعر الأسود. وصاح: «لسانك سوف يخترق قلبك، يا ابن الأَمَة! لا تحاول ثانية اختبار صبر عدالة أوتار. عليك صيانة كلامك كما تصون أبراجك».

قال أكور: «لا تفكر أن تسخر مني بسبب وضع أمي. إن دماء المرأة الأَمَة هو ما يملأ عروقي بفخر، وعاري الوحيد أنني أيضًا ابن جيداكك».

سأله يودور: «وهل سمع أوتار ذلك؟».

أجاب أكور: «سمعه أوتار بالفعل من شفتي، هذا وأكثر منه».

استدار أكور وذراعه لا تزال تلتف حول وسط تارا لدعمها، وبالتالي

كان نصف يقودها ونصف يحملها إلى أبراج جيتان، بينما جذب يودور ثوانه وأسرع مرة أخرى في اتجاه القصر.

تتبختر نصف دزينة من المحاربين داخل المدخل الرئيس لبرج جيتان. تحدث أكور إلى أحدهم، حارس الأبراج، قائلًا: «عليك إحضار لانو الأَمَة، وأصدر لها أمرًا بجلب الطعام والشراب إلى الطابق العلوي من برج ثوريان»، ثم رفع الفتاة وهي في حالة نصف إغماء بين ذراعيه، وحملها على طول المدرج الحلزوني المائل الذي يؤدي إلى أعلى داخل البرج.

فقدت تارا الوعي خلال رحلة الصعود الطويلة. وعندما أفاقت، وجدت نفسها في غرفة دائرية كبيرة تضم جدرانها الحجرية نوافذ على مسافات منتظمة حول كامل محيط الغرفة. كانت مستلقية فوق كومة من حرير وفراء النوم، بينما تنحني فوقها امرأة شابة تقوم بإدخال قطرات من شراب بارد بين شفتيها الجافتين. نهضت تارا قليلًا مرتكزة على كوعها، ونظرت حولها. في اللحظات الأولى لعودة وعيها، اجتاحتها ذكريات أحداث عدة أسابيع. ظنت أنها استيقظت في قصر أمير الحرب في هيليوم. تشابك حاجباها وهي تدقق في الوجه الغريب الذي يميل عليها.

وسألت: «من أنتِ؟ وأين أوثيا؟».

أجابت الفتاة: «أنا لانو، الأَمَة. ولا أعرف أي شخص باسم أوثيا».

اعتدلت تارا في جلستها ونظرت حولها. هذا حجر خشن، وليس رخام قاعات والدها. وتساءلت: «أين أنا؟».

أجابت الفتاة: «أنت في برج ثوريان»، وعندما رأت أنها لا تزال لا تفهم، قالت لها بوضوح: «أنت سجينة في أبراج جيتان بمدينة ماناتور. لقد أحضرك أكور، دوار أبراج جيتان إلى هذه الغرفة وأنت تعانين الضعف والإغماء، وأرسلني لك بالطعام والشراب، ذلك أن أكور يتمتع بقلب طيب».

قالت تارا: «أتذكر ببطء الآن. أتذكر، ولكن أين توران، محاربي؟ هل يتحدثون عنه؟».

أجابت لانو: «لم أسمع أي شيء عن شخص آخر. أنت وحدك من أحضروها إلى الأبراج. وأنت محظوظة، فلا يوجد في ماناتور رجل أنبل من أكور. إن دم والدته هو ما يجعله هكذا، فهي أَمَة من جاثول».

صاحت تارا: «جاثول! هل تقع جاثول بالقرب من ماناتور؟».

أجابت لانو: «ليست قريبة، إلا أنها أقرب بلد، تقع على بُعد حوالي عشرين درجة[41] شرقًا».

غمغمت تارا: «جاثول! جاثول البعيدة!».

قالت الأَمَة: «لكنك لست من جاثول؛ عتادك ليس عتاد جاثول».

قالت تارا: «أنا من هيليوم».

قالت الأَمَة: «المسافة من هيليوم إلى جاثول أبعد. لكننا، نحن من جاثول، تعلمنا في دراساتنا الكثير عن عظمة الهيليوم. ولذا لا أعتقد أنها بعيدة جدًّا».

---

(٤١) حوالي ٨١٤ ميلًا بمقاييس كوكب الأرض.

سألت تارا: «أنت أيضًا من جاثول؟».

أجابت الأَمَة: «كثيرون منا من جاثول، ونحن عبيد في ماناتور. جاثول هي أقرب بلد إلى ماناتور، ولذا يجلب منها الماناتوريون العبيد في أغلب الأحيان. فهم يخرجون بأعداد كبيرة على فترات متقطعة، من ثلاث إلى سبع سنوات، لقطع الطرق التي تؤدي إلى جاثول، ويمسكون بالقوافل كاملة دون ترك أي شخص يمكنه أن ينقل تحذيرًا إلى جاثول. ولم يتمكن أي منا من الهرب أبدًا من ماناتور بحيث يمكنه إبلاغ جاهان، جِد جاثول، بمصيرنا».

أكلت تارا ببطء وفي صمت. أثارت كلمات الفتاة ذكريات الساعات الماضية في قصر والدها، ومأدبة منتصف النهار العظيمة التي التقت خلالها بجاهان الجاثولي. وتورد وجهها، الآن حتى، وهي تتذكر كلماته الجريئة.

وفي أثناء استغراقها في الذكريات، انفتح الباب وظهر محارب قوي البنية: شخص ضخم، شفتاه سميكتان ووجهه شرير ينظر شذرًا. نهضت الفتاة الأَمَة على قدميها أمامه.

وصاحت: «ما معنى هذا، يا إيميد؟ أليست إرادة أكور عدم إزعاج هذه المرأة».

قال الرجل ساخرًا: إرادة أكور، بالطبع! إرادة أكور ليس لها سلطة في أبراج جيتان أو غيرها، أكور الآن في حُفر أوتار، وإيميد هو دوار الأبراج».

رأت تارا شحوب وجه الفتاة الأَمَة والرعب في عينيها.

الفصل (١٢)

ألاعيب جيك

في نفس وقت اقتياد تارا الهيليومية إلى أبراج جيتان، كانوا يصحبون جيك إلى الحُفر تحت القصر، حيث حبسوه في غرفة خافتة الإضاءة. وجد في الغرفة مقعدًا طويلًا وطاولة على الأرض الترابية بالقرب من الجدار، فضلًا عن عدة حلقات على الجدار تتدلى منها سلاسل ذات أطوال قصيرة. وتوجد عند قاعدة الجدران عدة ثقوب في الأرضية الترابية. وكانت هذه الثقوب وحدها هي ما أثارت اهتمامه، من بين العديد من الأشياء التي شاهدها. جلس جيك على المقعد الطويل ينتظر في صمت، ويستمع. أُطفِئت الأضواء الآن. لو كان جيك قادر على الابتسام، لكان ابتسم الآن؛ فهو يستطيع أن يرى في الظلام كما يرى في الضوء، بل ربما أفضل. نظر إلى فتحات الثقوب المظلمة في الأرضية وانتظر. لاحظ الآن تغيير في الهواء حوله؛ إذ أصبح مُحملًا برائحة غريبة. ومرة أخرى كان جيك ليبتسم إن أمكنه.

فليستبدلوا بكل هواء الغرفة أبخرتهم الأشد فتكًا، فلن يختلف الأمر بالنسبة إلى جيك، الكلديني، الذي ليس لديه رئتين، ولا يحتاج إلى الهواء. قد يختلف الأمر بالنسبة إلى الرايكور؛ إذ يؤدي حرمانه من الهواء إلى موته، لكنه لن يتأثر عند تعرضه لكمية من الغاز تكفي لتخدير مخلوق عادي؛ لأنه يفتقر إلى العقل الموضوعي. ما دامت زيادة ثاني أكسيد الكربون في الدم ليست لمنع عمل القلب، فإن الرايكور لن يعاني إلا من تضاؤل حيويته، لكن استجابته لقوة عقل الكلديني سوف تستمر.

أجلس جيك الرايكور وظهره إلى الجدار، بحيث يظل دون توجيه من عقله، ثم فك اتصاله بحبله الشوكي، لكنه ظل على وضعه فوق على أكتافه في انتظار وترقُّب، فقد أُثير فضول الكلديني. لم ينتظر طويلًا قبل أن تومض الأضواء، وينفتح أحد الأبواب الموصدة، وتدخل نصف دزينة من المحاربين. اقتربوا منه بسرعة وانجزوا مهمتهم بسرعة. جردوه أولًا من أسلحته، ثم فكوا القيد عن أحد كاحلي الرايكور، وربطوه بنهاية إحدى السلاسل التي تتدلى من الجدران. قاموا بعد ذلك سحب الطاولة الطويلة إلى موضع جديد، وثبتوها بالأرضية بحيث أصبحت إحدى نهاياتها، بدلًا من وسطها، أمام السجين مباشرة. وضعوا على الطاولة أمامه الطعام والماء، ووضعوا عند الطرف الآخر منها مفتاح القيد، ثم فتحوا جميع الأبواب وغادروا.



عندما استعاد البانتان توران وعيه، شعر بألم حاد في أحد ساعديه. زالت آثار الغاز بسرعة، بمثل سرعة تغلبها عليه، ولذا عندما فتح عينيه كان متمتعًا بكامل ملكاته. أُضيئت الأنوار مرة أخرى، وكشف الرجل على وهجها هيئة فأر مريخي عملاق رابض فوق الطاولة ويقضم في ذراعه. انتزع ذراعه وبحث عن سيفه القصير، بينما الفأر يسعى هادرًا إلى الإمساك بذراعه ثانية. اكتشف توران عندئذ أنهم جردوه من كل أسلحته: السيف القصير، والسيف الطويل، والخنجر، والمسدس. هاجمه الفأر، فضربه الرجل ضربة أبعدته ثم نهض يبحث عن شيء يستخدمه في توجيه ضربة أقوى. هاجمه الفأر ثانية، وما إن تراجع توران بسرعة ليتجنب تهديد فكي الفأر، حتى شعر بشيء يهتز فجأة على كاحله الأيمن، وعندما سحب قدمه اليسرى لاستعادة توازنه، اشتبك كعبه في سلسلة مشدودة وسقط على ظهره فوق الأرض، فقفز الفأر إلى صدره ونحو رقبته.

فئران المريخ شرسة وكريهة، لديها أرجل كثيرة، وصلعاء، وجلدها بغيض يشبه جلد الفأر حديث الولادة. ويمكن مقارنة حجمها ووزنها بكلاب الصيد الكبيرة. أما أعينها، فهي صغيرة ومتقاربة، وتختفي تقريبًا في فتحات عميقة سمينة. لكن فك الفأر المريخي هو أكثر سماته شراسة وإثارة للاشمئزاز؛ إذ يكشف مجمل هيكله العظمي، الذي يبرز عدة بوصات خارج جسمه، عن خمسة أسنان حادة على شكل معزقة في الفك العلوي، ونفس العدد من الأسنان المشابهة في الفك السفلي، تشير جميعها إلى مظهر وجه متعفن انسلخ قدر كبير من لحمه.

قفز هذا الشيء على صدر الباتتان ليمزق رقبته. أبعده توران مرتين بضرباته، وسعى إلى الوقوف على قدميه، لكن الفأر عاد في المرتين بضراوة أشد لتجديد الهجوم. أسلحته الوحيدة هي فكيه، حيث كانت قدميه الواسعتين المتباعدتين مسلحة بمخالب ضعيفة. يحفر الفأر جحوره المتعرجة بفكيه البارزين، ويدفع التراب نحوها بقدميه العريضين. كان مصدر قلق توران الوحيد هو إبعاد الفكين عن جسمه، وقد نجح في ذلك إلى أن أُتيحت له فرصة الإمساك بحلق المخلوق. وبعد ذلك انتهى الفأر في بضع لحظات. نهض توران أخيرًا، وبقشعريرة من الاشمئزاز قذف بالشيء جثة هامدة.

كرّس اهتمامه الآن بإجراء مسح سريع للظروف الجديدة التي أحاطت به منذ لحظة احتجازه. وأدرك بشكل ملتبس ما حدث. لقد خدروه وجردوه من أسلحته. وعندما وقف على قدميه، رأى أن أحد كاحليه مُقيد بسلسلة في الجدار. أخذ يتطلع إلى أنحاء الغرفة، جميع الأبواب مفتوحة، وتتأرجح باتساع! يزيد خاطفوه من قوة سجنه بتركه يلقي لمحات مغرية عبر الممرات المفتوحة نحو الحرية التي لا يستطيع نيلها. يوجد طعام وشراب عند نهاية الطاولة، وفي متناول يده. يمكنه على الأقل الحصول على الطعام والشراب، حيث كانت بطنه التي تتضور جوعًا تكاد أن تصرخ بصوت عال طلبًا للقوت، وبصعوبة أكل وشرب باعتدال.

وبينما كان يلتهم الطعام، تجولت عيناه حول حدود سجنه إلى أن وقع بصره فجأة على شيء في النهاية البعيدة عنه من الطاولة. كان

مفتاحًا. رفع كاحله المُقيد بالسلسلة وفحص القفل. لا يوجد أي مجال للشك! المفتاح القابع في نهاية الطاولة هو مفتاح هذا القفل. وضعه هناك محارب مُهمِل ونسيه، وغادر.

تدفق الأمل في صدر جاهان الجاثولي، أو توران البانتان. سعت عيناه بمكر نحو المداخل المفتوحة، لا يوجد أحد على مرمى البصر. آه، لو تمكن من الفوز بحريته! سيجد عندئذ طريقًا ليخرج من هذه المدينة البغيضة ويصل إلى تارا، ولن يتركها ثانية أبدًا إلا بعد أن يفوز بسلامتها أو يموت.

نهض وتحرك بحذر في تجاه الطرف الآخر من الطاولة، حيث يوجد المفتاح المرغوب. أوقف الكاحل المُقيد خطوته الأولى، لكنه تمدد بجسمه كاملًا على طول الطاولة، ومد أصابع حريصة تجاه الجائزة. اقتربت أصابعه كثيرًا، عليه أن يمدها أكثر قليلًا وسوف تلمس المفتاح. حاول جاهدًا وزاد تمدده، لكن المفتاح لا يزال بعيدًا عن متناول يده. ألقى بنفسه إلى الأمام حتى غرز القيد الحديدي عميقًا في جسده، ولكن دون جدوى. عاد وجلس على المقعد الطويل، وحملق في الأبواب المفتوحة والمفتاح. أدرك الآن أن هذا ليس سوى جزء من خطة موضوعة بإتقان لتعذيبه، على الأقل معنويًا لأنها لم تلحق به معاناة جسدية.

شعر الرجل للحظة بالأسف والتشاؤم، ثم استجمع نفسه ومسح حاجبيه، وعاد لاستكمال وجبته. يجب على الأقل ألا يشعروا بالارتياح لمعرفة مدى مرارة ضربتهم له. تبادر إلى ذهنه وهو يأكل أن يسحب

الطاولة على طول الأرضية بحيث يصبح المفتاح في متناول يده. لكنه عندما حاول القيام بذلك، وجد أنهم ثبّتوا الطاولة بالأرض خلال فترة فقدانه للوعي. ابتسم جاهان ثانية، وهو يهز كتفيه، واستأنف تناوله لطعامه.



بعد أن غادر المحاربون السجن الذي ضم جيك، زحف الكلديني من أكتاف الرايكور إلى الطاولة. شرب القليل من الماء، ثم وجّه أيدي الرايكور إلى الطعام وما تبقى من ماء، وبدأ الجسم الخالي من العقل يأكل بشراهة. وفي هذه الأثناء اتخذ جيك طريقه كالعنكبوت على طول الطاولة، إلى الجهة المقابلة حيث يكمن مفتاح القيد. أمسك المفتاح بمخلبه وقفز إلى الأرض، ثم هرول سريعًا نحو فتحة أحد الجحور في الجدار واختفى فيه. لقد ظل العقل يفكر في مداخل تلك الجحور، فهي تروق للكلدينيين، كما تشير إلى مكان اختباء نوع الطعام الوحيد الذي يستمتع به الكلديني: اللحم والدم.

لم يسبق لجيك أن يرى أولسيو(٤٢)؛ لأن هذه الفئران المريخية الضخمة قد اختفت منذ فترة طويلة من بانتوم، حيث استمتع الكلدينيون بلحمها ودمها. لكن جيك ورث تمامًا كل ذكرى لجميع الأجداد، وبالتالي كان يعرف أن الأولسيو يسكن في هذه المخابئ، وأن مذاقه جيد للأكل.

---

(٤٢) أولسيو: مخلوق مريخي مروع يماثل إلى حد كبير الفأر على كوكب الأرض. يشبه الفأر الصغير الذي نما إلى حجم كلب الصيد الضخم -https://barsoom.fandom.com/wiki/Ulsio- المترجمة.

كما كان يعرف شكل الأولسيو وعاداته، على الرغم من أنه لم يشهده من قبل ولم يشهد أي صورة له. ويمثل ما نقوم نحن بتربية الحيوانات لنقل الصفات البدنية، يقوم الكلديثيون بتربية أنفسهم لنقل صفات العقل، بما في ذلك الذاكرة وقوة التذكر. وعلى هذا النحو، كانوا يتولون تربية ما نطلق نحن عليه الغريزة، أعلى من مستوى عتبة العقل الموضوعي، بحيث يمكن توجيهها واستخدامها عن طريق التذكُّر. تكمن في أذهاننا الذاتية دون شك العديد من انطباعات وخبرات أجدادنا، وقد تؤثر على وعينا في الأحلام فقط، أو في إيحاءات غامضة تتملكنا بأننا مررنا من قبل بمرحلة ما عابرة لوجودنا الحالي. آه، لو كانت لدينا القدرة على تذكرها! لكانت تتكشف أمامنا القصة المنسية لتلك العصور المفقودة التي سبقتنا. كنا لنسير حتى مع الإله في حديقة نجومه، بينما لا يزال الإنسان مجرد فكرة تتشكل في عقله.

دخل جيك إلى الجحر، وهبط في منحدر حاد لحوالي عشر أقدام، حيث وجد نفسه في شبكة متقنة وسارة من الجحور! كان الكلديني مبتهجًا. هذه هي الحياة! تحرك بسرعة، واتجه دون خوف نحو هدفه مباشرة، مثلما تتجه إلى مطبخ منزلك. يقع الهدف على مستوى منخفض في تجويف كروي يماثل حجم برميل كبير. وهنا، في عش يضم قطع ممزقة من الحرير والفراء، يوجد ستة من صغار الأولسيو.

عندما عادت الأم، لم تجد سوى خمسة أطفال ومخلوق كبير يشبه العنكبوت، فانطلقت على الفور لمهاجمته لكنها، واجهت مخالب قوية تمسك بها بحيث لم تعُد قادرة على الحركة. سحبت المخالب حلقها

ببطء نحو فم بشع، وماتت في لحظة. كان يمكن أن يبقى جيك في العش لفترة طويلة، حيث يوجد طعام كاف لعدة أيام، لكنه لم يفعل ذلك، بل أخذ يستكشف الجحور. سار متتبعًا الجحور في العديد من الغرف تحت الأرضية أسفل مدينة مَاناتور، ثم إلى الأعلى من خلال الجدران إلى غرف فوق سطح الأرض. وجد العديد من الفخاخ المبتكرة، كما وجد طعامًا مسمومًا وغيره من علامات المعركة المستمرة التي شنها سكان ماناتور ضد تلك المخلوقات البغيضة التي تسكن تحت بيوتهم ومبانيهم العامة.

لم يقتصر استكشافه على كشف اتساع أبعاد شبكة المدرجات، التي يبدو أنها تخترق كل جزء من المدينة، وإنما كشف أيضًا عن أن أغلبها يرجع إلى عصور قديمة. من الضروري أن أطنانًا فوق أطنان من القذارة قد أُزيلت، وظل يتساءل لفترة طويلة عن مكان إيداعها، إلى أن استشعر أمامه -عند نفق منحدِر ضخم الحجم والطول- الاندفاع المدوي للمياه الجوفية، ووصل الآن إلى ضفة نهر هائل تحت الأرض، يتدفق بعيدًا، ودون شك بطول عالم يصل إلى بحر أوميان المدفون. لقد دفعت أجيال عديدة من الأولسيو قاذوراتها الضئيلة إلى هذه المجاري الغزيرة في تجويفات متاهاتها الشاسعة.

تلكأ جيك لمجرد لحظة عند النهر. على أن تجواله الذي قد يبدو دون هدف، كان في الواقع بدافع غرض محدد، وسعى إلية بقوة وصلابة. تابع هذه المدرجات التي بدت تنتهي في حُفر أو غرف أخرى لسكان المدينة، وقام باستكشافها، يبدأ عادة بفتحة الجحر الآمنة، إلى أن يتأكد تمامًا من أن ما يسعى إليه غير موجود. تحرك بسرعة على سيقانه

العنكبوتية، وقطع مسافات كبيرة في فترات زمنية قصيرة.

لم يُكلل بحثه بنجاح فوري، فقرر العودة إلى الحفرة التي تضم رايكوره يرقد مقيدًا بالسلاسل ويُعنى باحتياجاته. أبطأ خطاه عندما اقترب من نهاية الجحر الذي ينتهي في الحفرة، وقف عند مدخل المدرج بحيث يتمكن من فحص ما بداخل الغرفة قبل أن يدخلها. وعندئذ، شاهد هيئة محارب يظهر فجأة عند مدخل مقابل. كان الرايكور ممددًا على الطاولة، تتلمس يداه على نحو أعمى المزيد من الطعام. رأى جيك المحارب يقف محملقًا في دهشة مفاجئة نحو الرايكور، ورأى اتساع أعينه، ومسحة شاحبة تحل محل اللون البرونزي النحاسي لخديه. تراجع إلى الخلف، كأنما تلقى ضربة من شخص على وجهه، وقف للحظة في شلل من الخوف، ثم أطلق صرخة مخنوقة واستدار هاربًا. ومرة أخرى، كانت كارثة أن جيك الكلديني لا يمكنه أن يبتسم.

دخل الغرفة بسرعة، وزحف إلى أعلى الطاولة، ثم قام بتثبيت نفسه على أكتاف رايكوره، وانتظر. من يمكنه القول إن جيك لا يمتلك روح الدعابة، على الرغم من عدم قدرته على الابتسام؟ ظل منتظرًا في مكانه لمدة نصف ساعة، ثم تناهى إلى سمعه أصوات رجال يقتربون عبر الممرات الحجرية. سمع قعقعة أسلحتهم وهي تصطدم بالجدران الصخرية، وعرف أنهم يتحركون بوتيرة سريعة، لكنهم توقفوا وأخذوا يتقدمون ببطء قبل وصولهم إلى المدخل مباشرة. كان ضابط في الصدارة، ووراءه مباشرة المحارب متسع العينين، وربما لا يزال شاحبًا إلى حد ما، الذي غادر الغرفة مؤخرًا على عجل. توقفا عند المدخل،

ونظر الضابط بصرامة نحو المحارب، ورفع إصبعه مشيرًا إلى جيك.

«المخلوق يجلس هناك! أتجرؤ على الكذب على دوارك؟».

صاح المحارب: «أقسم أنني قلت الحقيقة. كان هذا الشيء يرقد مقطوع الرأس منذ لحظات على هذه الطاولة نفسها! ليقتلني سلفي الأول على الفور إن قلت كلمة غير الحقيقة!».

بدا الضابط متحيرًا. نادرًا ما يكذب المريخيون، إن كذبوا أصلًا. حك رأسه، ثم سأل جيك: «منذ متى وأنت هنا؟».

أجاب جيك: «من يدري أفضل من أولئك الذين وضعوني هنا وقيدوني بالسلاسل إلى الجدار؟».

«هل رأيت هذا المحارب يدخل هنا منذ بضع دقائق؟».

أجاب جيك: «رأيته».

واصل الضابط: «وكنت تجلس في نفس المكان الذي تجلس فيه الآن؟».

صاح جيك: «انظر إلى سلسلتي، ثم قل لي بعد ذلك في أي مكان آخر يمكنني أن أجلس! هل جميع سكان مدينتك حمقى؟».

انضم ثلاثة محاربين آخرين خلف الاثنين في الصدارة، ورفعوا أعناقهم لمشاهدة السجين، بينما يبتسمون لشعور زميلهم بالحرج. تجهم الضابط وهو ينظر نحو جيك.

وقال: «لسانك سليط مثل لسان المرأة التي أرسلها أوتار إلى أبراج جيتان».

سأله جيك، دون أن تكشف رتابته ووجهه الخالي من التعبير عن اهتمامه: «هل تتكلم عن الشابة التي اعتقلتوها معي؟».

أجاب الدوار: «نعم، أتكلم عنها»، ثم تحوّل إلى المحارب الذي استدعاه وقال: «عُد إلى مسكنك وابق هناك حتى المباريات القادمة. ربما بحلول ذلك الوقت، تتعلم أعينك ألا تخدعك».

نظر المحارب شذرًا إلى جيك، ثم خرج. هز الضابط رأسه وتمتم قائلًا: «لا أفهم. كان يوفان دائمًا محاربًا جيدًا ويمكن الاعتماد عليه. هل يمكن أن ....؟» ونظر بصرامة نحو جيك ثم صاح: «لديك رأس غريب لا يتناسب مع جسمك. تخبرنا أساطيرنا عن تلك المخلوقات القديمة التي غرست هلاوس في عقول رفاقها. إذا كنت واحدًا منهم، ربما عانى يوفان قواك المحظورة. وفي هذه الحالة، سوف يعرف أوتار جيدًا كيفية التعامل معك». استدار ليخرج، وأشار إلى محاربيه ليتبعوه.

صاح جيك: «انتظر! أرسل لي طعامًا، إلا إذا كنتم تريدون تجويعي».

أجاب المحارب: «لقد أرسلنا لك الطعام من قبل».

سأله جيك: «وهل ستطعمونني مرة واحدة في اليوم؟ أحتاج إلى طعام أكثر من ذلك، أرسل لي الطعام».

أجاب الضابط قبل أن يغادر: «سيأتيك الطعام. لن يقول أحد إن سجناء ماناتور يعانون من سوء التغذية. فقوانين ماناتور عادلة».

ما إن خفتت أصوات ابتعادهم، حتى زحف جيك من فوق أكتاف رايكوره وهرع إلى الجحر الذي أخفى فيه المفتاح. أحضر المفتاح،

وفك القيد من حول كاحل المخلوق، ثم أغلق القفل فارغًا وحمل المفتاح بعيدًا في أسفل الجحر، ثم عاد إلى مكانه فوق كتفي خادمه الذي يفتقر إلى العقل. سمع بعد فترة قصيرة صوت خطوات تقترب، وعندئذ نهض وسار إلى ممر آخر غير ذلك الممر الذي يعرف أن المحارب قادمًا منه. وهنا انتظر، بعيدًا عن الأنظار، واستمع. سمع الرجل يدخل الغرفة ويتوقف، ثم سمع همهمة تعجُب، تلاها ضجيج أطباق معدنية ناتج عن ارتطام الصينية بالطاولة، ثم خطوات تتراجع بسرعة وتتلاشى عن بُعد.

لم يُضِع جيك أي وقت للعودة إلى الغرفة واسترداد المفتاح، ثم إعادة تقييد الرايكور إلى السلسلة. أعاد المفتاح إلى الجحر، وجثم على الطاولة بجوار جسمه مقطوع الرأس، مع توجيه يدي الرايكور نحو الطعام. بينما كان الرايكور يأكل، جلس جيك منصتًا لأصوات احتكاك الصنادل بالأرض وقعقعة الأسلحة؛ لأنه كان يعلم أن المحاربين سيأتون قريبًا. ولم يطل انتظاره. انطلق جيك نحو أكتاف رايكوره عندما سمعهم قادمين. مرة أخرى كان الضابط الذي استدعاه يوفان من قبل، ومعه ثلاثة محاربين. من الواضح أن المحارب الذي يقف خلفه مباشرة هو نفس الشخص الذي جلب الطعام؛ إذ اتسعت عيناه عندما شاهد جيك جالسًا على الطاولة. وقد بدا مظهره كالأبله، عندما وجه الدوار نظرة صارمة نحوه.

صاح قائلًا: «لقد قلت الحقيقة، لم يكن هنا عندما أحضرت له الطعام».

قال الضابط بتجهم: «لكنه هنا الآن، والقفل مغلق حول كاحله.

انظر! القفل غير مفتوح ... ولكن أين المفتاح؟ يجب أن يكون في نهاية الطاولة». ثم صاح موجهًا حديثه إلى جيك: «أين المفتاح، أيها المخلوق؟».

أجاب جيك بحسم: «كيف يمكن لسجين مثلي أن يعرف أفضل من السجان مكان مفتاح أغلالي؟».

صاح الضابط وهو يشير إلى الجانب الآخر من الطاولة: «لكنه كان هنا».

سأله جيك: «هل رأيته؟».

تردد الضابط، ثم قال: «كلا، لكنه كان يجب أن يوجد هناك».

أشار جيك إلى محارب آخر وسأله: «هل رأيت المفتاح هناك؟».

هز المحارب رأسه سلبًا، واستمر الكلديني يسأل الآخرين: «وأنت؟ وأنت؟».

أقر المحاربان بعدم رؤيتهما أبدًا للمفتاح. وهنا واصل جيك قائلًا: «وحتى إن كان المفتاح هناك، كيف يمكنني أن أصل إليه؟».

قال الضابط: «كلا، لا يمكنه أن يصل إليه، ولكن كفى، ما من مزيد! سوف تظل هنا يا أيزاف في حراسة هذا السجين إلى أن أعفيك من الحراسة».

لم يكن أيزاف سعيدًا بإحالة هذه المهمة إليه، ونظر إلى جيك بارتياب، بينما الدوار والمحاربين الآخرين يغادرون الغرفة ويتركوه لمصيره التعيس.

الفصل (١٣)

تصرف يائس

عبر إيميد غرفة البرج في اتجاه تارا الهيليومية والفتاة الأَمَة، لانو، وأمسك بتارا من كتفها وقال آمرًا: «قِفِي!». ضربت تارا يده وأزاحتها عن كتفها، ثم نهضت وتراجعت إلى الوراء.

وحذرته قائلة: «إياك أن تضع يدك على شخص أميرة هيليوم، أيها الوحش!».

ضحك إيميد، وسألها: «هل تعتقدين أنني ألعب الجيتان من أجلك دون أن أعرف أولًا الرهان الذي ألعب من أجله؟ تعالي هنا».

وقفت الفتاة معتدلة بكاملها ولفت ذراعيها حول صدرها، دون أن يلاحظ إيميد أنها أدخلت أصابعها الرفيعة في يدها اليمنى تحت الحزام الجلدي العريض لعتادها، حيث مرت فوق كتفها الأيسر.

صاحت الفتاة الأَمَة: «سوف تندم عندما يعلم أوتار بذلك، يا إيميد؛ فلا يوجد في ماناتور أي قانون يمنحك هذه الفتاة قبل أن تفوز بها بعدالة».

أجاب إيميد: «وهل يهتم أوتار بمصيرها؟ ألم أسمع؟ ألم تهزأ بالجيداك العظيم، وانهالت عليه بالإهانات؟ باسم سلفي الأول، أعتقد أن أوتار سوف يمنح لقب جِد للرجل الذي يقهرها»، ثم تقدم مرة أخرى نحو تارا.

قالت الفتاة بنبرة منخفضة هادئة: «انتظر! ربما لا تعرف ما تفعله. تُعتبر شخصيات نساء هيليوم مقدسات بالنسبة لشعب هيليوم. فمن أجل شرف أكثرهن تواضعًا، سوف يشهر الجيداك العظيم نفسه سيفه. وقد ارتعدت أعظم أمم برسوم من هدير الحرب دفاعًا عن شخص ديجاه ثوريس، والدتي. ونحن لسنا سوى بشر، ولذا نموت، لكننا لا نُدنس. يمكنك أن تلعب الجيتان للفوز بأميرة هيليوم، لكنك حتى إن فزت في المباراة، لن يمكنك المطالبة بالجائزة. إذا كنت تريد امتلاك جسم ميت، يمكنك مهاجمتي، على أن تعرف أيها الرجل من ماناتور أن دماء أمير الحرب لا تتدفق هباء في عروق تارا الهيليومية. لقد أنهيت حديثي».

أجاب إيميد: «لا أعرف أي شيء عن هيليوم، وأوتار هو أمير الحرب لدينا، لكنني أعرف أنني سأختبر عن قرب الجائزة التي سألعب من أجلها وأفوز. سأختبر شفتي المرأة التي ستصبح عبدتي بعد دورة الألعاب القادمة؛ وليس من الجيد، يا امرأة، أن تدفعيني إلى الغضب». ضاقت عيناه وهو يتحدث، واتخذ وجهه سيماء وحش مزمجر، ثم أضاف: «إذا كنت تشكين في صحة كلامي، يمكنك أن تسألي لانو، الفتاة الأَمَة».

قاطعته لانو قائلة: «ما يقوله صحيح، يا أميرة هيليوم، حاولي عدم

إثارة غضب إيميد إذا كنت تُقدرين قيمة حياتك».

لكن تارا الهيليومية لم ترد؛ فقد أنهت حديثها. تقف الآن صامتة في مواجهة محارب قوي البنية يقترب نحوها. اقترب منها، وأمسك بها فجأة، ثم وانحنى في محاولة تقريب شفتيه من شفتيها.

رأت لانو المرأة الهيليومية تلتف نصف دورة، وتهز بحركة سريعة يدها اليمنى من حيث وضعتها فوق صدرها. ورأت اليد تبرز من أسفل ذراع إيميد وترتفع خلف كتفه، ورأت في اليد نصلًا طويلًا رفيعًا. كانت شفاه المحارب تقترب من شفتي المرأة، لكنها لم تمسها قط؛ إذ اعتدل الرجل فجأة بصعوبة وصرخة على شفتيه، ثم انهار كفراء فارغ ورقد ككومة منكمشة على الأرض. انحنت تارا الهيليومية، ومسحت نصلها على عتادها.

اتسعت أعين لانو وهي تنظر برعب إلى الجثة، وصاحت: «سيموت كلانا بسبب ذلك».

سألتها تارا: «ومن سيعيش عبدًا في ماناتور؟».

قالت الفتاة الأَمَة: «أنا لست شجاعة مثلك، والحياة حلوة والأمل موجود دائمًا».

قالت تارا: «الحياة حلوة، لكن الشرف مقدس. لا تخافي. عندما يأتون، سأخبرهم بالحقيقة: إنك ليس لديك يد فيما حدث، ولم تكن أمامك أي فرصة لمنعه».

استغرقت الفتاة الأَمَة للحظات في تفكير عميق، وفجأة لمعت

عيناها. قالت: «ربما توجد طريقة تُبعد عنا الشك. لديه مفتاح هذه الغرفة، لنفتح الباب ونسحبه إلى الخارج ... ربما نجد مكانًا نخفيه فيه».

صاحت تارا: «جيد!»، وبدأت الاثنتان على الفور في تنفيذ ما اقترحته لانو. عثرت الفتاتان بسرعة على المفتاح، وفتحتا الباب، ثم قامتا بنقل جثة إيميد، بحملها جزئيًا وجرها جزئيًا، من الغرفة وأسفل الدرج إلى المستوى التالي حيث توجد غرف شاغرة كما قالت لانو. فُتِح أول باب، وأدخلت الفتاتان من خلاله حملهما الرهيب إلى غرفة صغيرة تضيئها نافذة واحدة. ضمت المكان دلائل على استخدامه من قبل كغرفة معيشة وليس زنزانة، حيث كان فرشها يتسم بالراحة والرفاهية. كانت الجدران مغطاة بألواح يصل ارتفاعها إلى حوالي سبعة أقدام من الأرض، بينما كانت لوحات باهتة تعود لزمن قديم تزين الجبس أعلى الألواح وفي السقف.

تجولت أعين تارا سريعًا داخل الغرفة، ولفت انتباهها قسم من الألواح التي يمكن فصلها من إحدى حوافها عن اللوح المجاور. أسرعت نحو هذا القسم، واكتشفت أن حافة رأسية للوح كامل تبرز نصف بوصة عن باقي الألواح. أثار تفسير محتمل فضولها، وبناء عليه أمسكت الحافة البارزة وسحبتها إلى الخارج. تأرجح اللوح ببطء نحوها، كاشفًا عن فتحه مظلمة في الحائط وراءه.

صاحت: :انظري، لانو! انظري ماذا وجدت. إنها فتحة يمكن أن نخفي فيها هذا الشيء المُلقى على الأرض».

انضمت إليها لانو، وفحصتا معًا الفتحة المظلمة. وجدت الفتاتان

منصة صغيرة يخرج منها مدرج ضيق، يهبط نحو ظلام دامس جهنمي. غطى التراب الكثيف أرضية المدخل، ما يشير إلى انقضاء فترة زمنية كبيرة منذ أن خطت عليه قدم بشرية - إنه طريق سري، بلا شك، غير معروف لسكان ماناتور الحاليين. قامت الفتاتان بجر جثة إيميد، ووضعها فوق المنصة، ثم مغادرة الغرفة الصغيرة المظلمة والمحرمة، وكان يمكن أن تغلق لانو اللوح، إن لم تمنعها تارا.

قالت: «انتظري!»، وانحنت لتختبر إطار الباب وفتحته».

همست الأَمَة: «أسرعي! إذا جاءوا، سينتهي أمرنا».

أجابت تارا: «قد تفيدنا معرفة كيف نفتح هذا المكان مرة أخرى»، ثم ضغطت فجأة قدمًا ضد قسم من القاعدة المنحوتة على يمين اللوح المفتوح. «آه!»، تنفست بارتياح وأغلقت اللوح إلى أن عاد إلى مكانه بإحكام. قالت: «تعالي!»، واستدارت نحو مدخل الغرفة الخارجي.

وصلت الفتاتان إلى زنزانتهما دون أن يكشفهما أحد. أغلقت تارا الباب وقفلته بالمفتاح من الداخل، ثم وضعت المفتاح في جيب سري في عتادها.

وقالت: «ليأتوا، ويستجوبونا! ماذا يمكن أن تعرف سجينتان ضعيفتان عن مكان وجود سجانهما النبيل؟ أنا أسألك يا لانو، ماذا يمكنهما أن يعرفا؟».

أجابت لانو، وهي تبتسم: «لا شيء».

سألتها تارا الآن: «أخبريني عن هؤلاء الرجال، رجال ماناتور. هل

جميعهم مثل إيميد، أم بعضهم مثل أكور الذي يبدو شجاعًا وشهمًا؟».

أجابت لانو: «إنهم لا يختلفون عن شعوب البلدان الأخرى. بينهم الجيد والسيئ. وهم محاربون شجعان وأقوياء. وفيما بينهم، لا يفتقرون إلى الشهامة والشرف، وإنما في تعاملهم مع الغرباء، لا يعرفون سوى قانون واحد: قانون القوة. يملؤهم الضعفاء والبائسين من الأراضي الأخرى بالازدراء، ويثيرون أسوأ ما في طبيعتهم، مما يتسبب دون شك في معاملتنا كعبيد».

سألت تارا: «ولكن لماذا يشعرون بالاحتقار تجاه من أوقعهم سوء حظهم في أيديهم؟».

أجابت لانو: «لا أعرف، يعتقد أكور أن ذلك يرجع إلى أن بلدهم لم تتعرض أبدًا لغزو عدو منتصر. لم يُهزموا أبدًا في غاراتهم الخفية، لأنهم لا ينتظرون أبدًا لمواجهة قوات قوية، ولذا أصبحوا يعتقدون أنهم لا يُقهرون، ويحتقرون الشعوب الأخرى باعتبارها أدنى منهم من حيث البسالة واستخدام السلاح».

قالت تارا: «مع ذلك، أكور هو واحد منهم».

أجابت لانو: «إنه ابن أوتار، الجيداك، لكن والدته من عائلة نبيلة في جاثول، وأسرها أوتار وجعلها أَمَة. وأكور يفتخر بأن عروقه لا تحمل سوى دم والدته، وهو يختلف في الواقع عن الآخرين. إن شهامته تتخذ شكلًا ألطف، رغم أن أسوأ عدو له لا يجرؤ حتى على التشكيك في شجاعته، بينما تشتهر مهارته بالسيف، والرمح، والثوات على طول وعرض ماناتور».

سألت تارا: «ماذا تعتقدين أنهم سيفعلون معه؟».

أجابت لانو: «الحكم عليه بالاشتراك في المباريات. وإذا لم يكن غضب أوتار منه شديدًا، فسيحكم عليه بمباراة واحدة، وفي هذه الحالة قد يخرج منها على قيد الحياة، أما إذا كان أوتار يرغب حقًّا في التخلص منه، فسوف يحكم عليه بسلسلة المباريات كاملة، ولم يتمكن أي محارب من قبل من النجاة خلال العشر مباريات الكاملة، أو بالأحرى من كان محكومًا عليه من أوتار».

قالت تارا: «ما هي المباريات؟ أنا لا أفهم. سمعتهم يتحدثون عن لعبة الجيتان، ولكن لا أحد يمكن أن يُقتل في هذه اللعبة بالتأكيد. نحن نلعبها كثيرًا في المنزل».

أجابت لانو: «ولكن ليس كما يلعبونها في ساحة ماناتور. تعالي إلى النافذة». اقتربت الفتاتان من فتحه تواجه الشرق.

نظرت تارا إلى أسفل، ورأت ساحة كبيرة يحيط بها بالكامل مبنى منخفض، والأبراج الشاهقة التي كان البرج المسجونة فيه تارا ليس سوى أحد وحداتها. توجد حول الساحة صفوف من المقاعد المتدرجة، لكن الشيء الذي أثار اهتمامها كان رقعة جيتان عملاقة، وُضعت على أرضية الساحة بمربعات كبيرة باللونين البرتقالي والأسود على التبادل.

«يلعبون الجيتان هنا، بقطع حقيقية. يلعبون على رهانات كبيرة، وعادة ما تكون على امرأة – أَمَة ذات جمال استثنائي. كان يمكن أن يلعب أوتار نفسه للفوز بكِ، إن لم تغضبيه. أما الآن، سيلعب العبيد والمجرمون للفوز بك، وسوف تُقام مباراة مفتوحة، وأنت سوف تنتمين

إلى الجانب الذي يفوز - ليس لمحارب واحد، ولكن لكل من يبقى حيًا عند انتهاء اللعبة».

لمعت أعين تارا، لكنها لم تُعلِق.

واصلت الأَمَة كلامها: «من يوجهان اللعبة، لا يشاركان فيها بالضرورة، بل يجلسان على هذين العرشين الكبيرين اللذين تشاهدين كلًا منهما عند أحد نهايتي الرقعة، ويوجه كل منهما قطعه من مربع إلى آخر».

سألتها تارا: «ولكن، أين يكمن الخطر؟ إذا أُخِذت قطعة، فهي تُزال من الرقعة - هذه هي قاعدة الجيتان، وهي قاعدة قديمة بمثل قِدم حضارة برسوم تقريبًا».

أوضحت لانو: «هنا في ماناتور، عندما يلعبون في الساحة الكبرى ويستخدمون الرجال الأحياء بدلًا من قطع اللعب، تتغير القاعدة. عندما ينتقل محارب إلى مربع تشغله قطعة معارضة، تدور معركة بين الاثنين حتى الموت من أجل الحصول على المربع، والذي ينجح هو من يفوز بالمربع. يرتدي كل منهم ما يحاكي القطعة التي يمثلها، كما يضع ما يشير إلى كونه عبدًا، أو محاربًا يقضي حكمًا بالسجن، أو متطوعًا. وإذا كان يقضي حكمًا بالسجن، يُشار أيضًا إلى عدد المباريات التي يجب أن يلعبها. وهكذا، يعرف الشخص الذي يوجه التنقل ما القطع التي يمكنه المخاطرة بها، والقطع التي يجب أن يحافظ عليها. والأكثر من ذلك أن فرص الرجل تتأثر بالموضع المحدد له في اللعبة. فهم يضعون من يرغبون في موتهم في موقع البانتان دائمًا، لأن البانتان لديه أقل فرصة للبقاء حيًا».

سألت تارا: «ألا يشارك أبدًا في اللعبة من يوجهونها؟».

قالت لانو: «أوه، نعم. غالبًا عندما يتقدم محاربان، حتى إن كانا من أعلى درجة، بشكوى ضد أحدها الآخر، فإن أوتار يجبرهما على تسوية الأمر على الساحة. وعندئذ يشاركان بنشاط، ويوجهان بسيفيهما لاعبيهم من موقع القائد. يختار كل منهما لاعبيه، وعادة أفضل محاربيه وعبيده إذا كانوا أقوياء، أو قد يتطوع أصدقاؤهما، أو يمكنهما الحصول على سجناء من الحُفر. إنها مباريات بالفعل، أفضل ما يمكن مشاهدته. وفي أحيان كثيرة، يقتل القادة أنفسهم».

سألت تارا: «هل تتحقق داخل هذه الساحة المدرجة عدالة ماناتور؟».

أجابت لانو: «إلى حد كبير».

واصلت الفتاة الهيليومية: «كيف يمكن إذن أن يفوز سجين بحريته من خلال هذه العدالة؟».

أجابت لانو: «إذا كان رجلًا، وتمكن من النجاة في عشر مباريات، فإنه يفوز بحريته».

سألت تارا: «وهل نجا أحد؟ وماذا إن كانت امرأة؟».

أجابت الأَمَة: «لم ينج أي غريب داخل بوابات ماناتور أبدًا في عشر مباريات. يُسمح لهم بمنح أنفسهم للعبودية الأبدية إذا كانوا يفضلون ذلك على القتال في مباراة جيتان. يمكن، بطبيعة الحال، استدعاؤهم كأي محارب للمشاركة في المباراة، وعندئذ تزداد فرص بقائهم أحياء

لأنهم قد لا يجدون أي فرصة أخرى أبدًا للفوز بالحرية».

سألت تارا بإصرار: «وإن كانت امرأة، كم عدد النساء اللاتي فزن بحريتهن؟»

ضحكت لانو.

وقالت بسخرية: «المسألة بسيطة، ليس عليها سوى أن تجد محاربًا يقاتل من أجلها في عشر مباريات متتالية ويبقى على قيد الحياة».

قالت تارا بازدراء، وهي تكرر كلام أوتار: «قوانين ماناتور عادلة».

ثم سمعت الفتاتان صوت خطوات خارج زنزانتهما، وبعد لحظة فُتح مفتاح القفل والباب. وقف أمامهما محارب.

وسأل: «هل رأيتما إيميد، الدوار؟».

أجابت تارا: «نعم، كان هنا منذ فترة».

ألقى الرجل نظرة سريعة حول الغرفة، ثم نظر إلى تارا وبعدها إلى الفتاة الأَمَة لانو. زاد تعبير الحيرة على وجهه. هرش في رأسه وقال: «يا له من أمر غريب! رآه عشرة رجال يصعد إلى هذا البرج، وعلى الرغم من وجود مخرج واحد فقط، يخضع لحراسة جيدة، لم يره أي رجل يخرج».

أخفت تارا تثاؤبها بظهر يدها الرشيقة، وقالت: «أميرة هيليوم جائعة، قل لسيدك إنها تريد أن تأكل».

وصل الطعام بعد ساعة، صاحب ضابط وعدد من المحاربين حامل الطعام. بحث الضابط في الغرفة بعناية، لكنه لم يجد أي دليل

على حدوث أي شيء. من حسن حظ تارا أن الجرح الذي أرسل إيميد إلى أسلافه لم ينزف.

«يا امرأة»، صاح الضابط موجهًا كلامه إلى تارا، «لقد كنت آخر من رأى الدوار إيميد. أجيبيني الآن، وبصدق. هل رأيته يغادر هذه الغرفة؟ وإلى أين ذهب؟».

ردت الفتاة بازدراء: «كيف لي أن أعرف؟ هل تعتقد أن بإمكاني الخروج من باب مغلق مصنوع من خشب السكيل؟».

قال الضابط: «لا نعرف. فقد حدثت أشياء غريبة في زنزانة رفيقك في حفر ماناتور. ربما يمكنك المرور عبر باب مغلق مصنوع من خشب السكيل، بنفس سهولة قيامه بأعمال تبدو مستحيلة».

صاحت: «من تقصد، البانتان توران؟ هو حي إذن؟ قل لي، هل هو هنا في ماناتور سالم؟».

أجاب الضابط: «أنني أتكلم عن هذا الشيء الذي يُسمي نفسه جيك الكلديني».

سألته: «لكن توران! قل لي، يا بادوار، هل سمعت أي شيء عنه؟». كان الإصرار واضحًا في نبرة تارا، وانحنت قليلًا إلى الأمام نحو الضابط، وافترقت شفتاها قليلًا على أمل.

تسلل ضوء ناعم ينم عن الفهم إلى أعين الفتاة الأَمَة لانو، التي كانت ترقب تارا، لكن الضابط تجاهل سؤال تارا، فما أهمية مصير عبد آخر بالنسبة له؟ وقال متذمرًا: «الرجال لا يختفون في الهواء، وإن

لم نجد إيميد، سرعان ما يتولى أوتار الأمر بنفسه. أود أن أحذرك يا امرأة، إذا كنت واحد من أولئك الكورفال[٤٣] المروعين، الذين يمكنهم اكتساب سيطرة شريرة على الأحياء من خلال الاستحواذ على أرواح الموتى، كما يعتقد الكثيرون أن هذا هو حال الشيء المُسمَّى جيك، فإن أوتار لن يرحمك إن لم تُعيدي إيميد».

صاحت الفتاة: «ما هذه الحماقة؟ أنا أميرة هيليوم، كما قلت لكم جميعًا عشرات المرات. وحتى إذا كان الكورفال الأسطوريون موجودين، كما يعتقد الآن أكثر الناس جهلًا، فإن تقاليد القدماء تخبرنا أنهم لا يدخلون إلى جثث المجرمين الأشرار من أدنى فئة. هل أنت أحمق، أيها الماناتوري، وهل الجيداك وجميع هؤلاء الناس حمقى»، ثم أدارت ظهرها الملكي للبادوار، وأخذت تحدق من خلال النافذة إلى ساحة الجيتان وأسطح ماناتور عبر التلال المنخفضة، والبلد المتعرج، والحرية.

صاح البادوار: «إذن تعرفين الكثير عن الكورفال، تعرفين أنه في حين لا يجرؤ الرجل العادي على إيذائهم، فإن أيدي الجيداك ذات الحصانة يمكنها أن تقتلهم!».

لم ترد الفتاة على تهديداته وغضبته، ولم تكن تنوي التكلم مرة أخرى، فقد أصبحت تعرف الآن أنه لا أحد في ماناتور كلها قد يجرؤ

---

(٤٣) كورفال: روح شريرة يعتقد سكان ماناتور أنها تطارد سراديب الموتى في مدينتهم وتسعى إلى امتلاك جثثهم، وبالتالي يقوم الماناتوريون بتحنيط أجسادهم بعد موتهم حتى لا تستخدمها هذه الروح الشريرة – https://barsoom.fandom.com/wiki/Corphal – المترجمة.

على الإضرار بها إلا الجيداك أوتار. غادر البادوار بعد فترة، وأخذ رجاله معه. وبعد ذهابهم، وقفت تارا لفترة طويلة تتطلع إلى مدينة ماناتور، وتتساءل عما يخبئه لها مصيرها من قسوة. كانت تقف في تأمل صامت عندما تناهى إلى سمعها أصوات موسيقى عسكرية قادمة من المدينة في أسفل - نغمات شجية عميقة لأبواق الحرب الطويلة، ورنين موسيقى جنود المشاة. رفعت الفتاة رأسها ونظرت، واستمعت، ووقفت عند النافذة المقابلة تنظر في اتجاه الغرب، وطلبت من تارا أن تنضم إليها. يمكنهما الآن، عبر السقوف والطرق المؤدية إلى بوابة الأعداء، رؤية الجنود الذين يعبرون تلك البوابة ويدخلون المدينة.

قالت لانو: «الجد الأكبر سيأتي. لا يجرؤ أحد غيره على الدخول، بأصوات الأبواق الصارخة، إلى مدينة ماناتور. إنه يوثور، جد مدينة ماناتوس، المدينة الثانية في ماناتور. يسمونه على طول ماناتور وعرضها الجد الأكبر، لأن الناس يحبونه، لكن أوتار يكرهه. يقول العالمين ببواطن الأمور إن الوضع لا يحتاج إلى أكثر من استفزاز طفيف لإشعال الحرب بينهما. وليس بمقدور أحد تخمين كيف يمكن أن تنتهي مثل هذه الحرب؛ ذلك أن شعب ماناتور يعبد أوتار العظيم، على الرغم من أنهم لا يحبونه. وهم يحبون يوثور، لكنه ليس الجيداك». فهمت تارا جيدًا، ذلك أن المريخيين وحدهم هم من يستطيعون إدراك ما تعنيه هذه العبارات البسيطة.

يُعد ولاء المريخي إلى جيداك بلده بمثابة غريزة تقريبًا، لا تأتي حتى في المرتبة الثانية بعد غريزة الحفاظ على الذات، وليس هذا بغريب

لدى عِرق تضم ديانته عبادة الأسلاف، وتقتفي العائلات أصولها إلى عصور بعيدة، ويجلس الجيداك على العرش نفسه الذي شغله أسلافه لعدد ربما يصل إلى مئات الآلاف من السنين، ويحكم أحفاد الشعب نفسه الذي حكمه أجداده. كان أي جيداك شرير يلقى مصير الخلع من العرش، ولكن نادرًا ما يحل محله أي شخص آخر غير واحد من أعضاء البيت الإمبراطوري، على الرغم من أن القانون يعطي الجِد الحق في اختيار من يحلو له.

سألت تارا: «هل يوثور رجل عادل وجيد؟».

أجابت لانو: «لا يوجد من هو أكثر نبلًا منه. في ماناتوس، لا يُجبر أحد على لعب الجيتان إلا المجرمين الأشرار الذين يستحقون الموت. وحتى عندما يلعبون، تكون المباراة عادلة ولديهم الفرصة للفوز بالحرية. قد يلعب المتطوعون، لكن التنقلات لا تؤدي بالضرورة إلى الموت - قد تؤدي إلى جرح، وحتى في بعض الأحيان تحسم نقاط في مبارزة هذه المسألة. ينظرون هناك إلى الجيتان كرياضة قتالية، لكنها هنا مجزرة. كما يعارض يوثور غارات العبيد القديمة والسياسة التي تُبقي ماناتور معزولة إلى الأبد عن بلدان برسوم الأخرى، لكن يوثور ليس الجيداك، ولذا لا يحدث أي تغيير».

شاهدت الفتاتان الطابور يتحرك على طول الطريق الواسع من بوابة الأعداء في اتجاه قصر أوتار. موكب بربري رائع، يضم محاربين توجد على أجسامهم ألوان ورسوم، وعتادهم مرصع بالجواهر ويلوحون بالريش، وحيوانات الثوات التي تئن في أغطيتها المزركشة بثراء، وفي

أعلى ترفرف رايات على الرماح الطويلة التي يحملها راكبو الثوات، ويتحرك جنود المشاة بسهولة على طول الرصيف الحجري، وصنادلهم المصنوعة من جلد الزيتيدار لا تُصدر أي صوت، وخلف كل أوتان تسير سلسلة من العربات المطلية، عليها رسوم لحيوانات الزيتيدار العملاقة، وتحمل معدات المجموعة التي أمامهم. دخل أوتان بعد أوتان عبر البوابة الكبيرة، وحتى عندما وصل رأس الطابور إلى قصر أوتار، لم يكن دخول القافلة برمتها إلى المدينة قد اكتمل.

قالت لانو: «أنا هنا منذ سنوات عديدة، لكني لم أشهد أبدًا الجد الأكبر يجلب هذا العدد الكبير من المقاتلين إلى مدينة ماناتور».

شاهدت تارا بأعين نصف مغلقة المحاربين يسيرون عبر الطريق الواسع، وحاولت أن تتخيل أنهم مقاتلي بلدها الحبيب هيليوم، قادمين لإنقاذ أميرتهم. قد يكون هذا الشخص الرائع فوق الثوات الكبير هو جون كارتر نفسه، أمير الحرب في برسوم، وخلفه أوتان بعد أوتان من قدامى المحاربين في الإمبراطورية، ثم فتحت الفتاة عينيها ثانية ورأت حشد البرابرة ذوي الرسوم الملونة الذين يرتدون الريش، وتنهدت. لكنها واصلت مشاهدتها لهم؛ إذ فتنها المشهد العسكري. ولاحظت الآن، مرة أخرى، مجموعات الشخصيات الصامتة على الشرفات. لا يلوحون بالحرير، ولا يطلقون صيحات الترحيب، ولا يلقون الزهور والمجوهرات، كما قد يميز دخول مثل هذا الموكب الودي الباهر إلى إحدى مدينتي هيليوم التوأم.

قالت للانو: «يبدو الناس غير ودودين تجاه محاربي ماناتوس، فلم أشهد علامة ترحيب واحدة من الناس على الشرفات».

نظرت إليها لانو في دهشة وقالت: «إنك إذن لا تعرفين! السبب هو ...» لكنها لم تستكمل حديثها؛ فقد تأرجح الباب منفتحًا، ووقف أمامهما ضابط.

أعلن الضابط: «الجيداك أوتار يستدعي الفتاة الأَمَة وتارا للمثول أمامه».



الفصل (١٤)

تحت قيادة جيك

كان البانتان توران غاضبًا في سلاسل قيده. الوقت يمر، أطال الصمت والرتابة الدقائق إلى ساعات، كما أن عدم يقينه من مصير المرأة التي يحبها أحال كل ساعة إلى جحيم أبدي. كان يتوق بفارغ الصبر إلى سماع صوت اقتراب خطوات، ورؤية أي مخلوق حي والتحدث إليه، لربما يعرف مصادفة أي شيء عن تارا الهيليومية. بعد ساعات مُعذِبة، تناهى إلى سمعه قعقعة عتاد وأسلحة، هناك رجال قادمون! انتظر في تلهف، ربما كانوا جلاديه، لكنه سيرحب بهم، ويسألهم. وإذا كانوا لا يعرفون أي شيء عن تارا، فلن يُفصح عن مكان الاختباء حيث تركها. وصلوا الآن، نصف دزينة من المحاربين ومعهم ضابط، يصحبون رجلًا أعزل، إنه سجين، دون شك. لم تستمر شكوك توران طويلًا، فقد أحضروا الوافد الجديد وقيدوه بالسلاسل المتدلية من الحلقة المجاورة. وعلى الفور بدأ البانتان في سؤال الضابط المسؤول عن الحرس.

«قل لي، لماذا تسجنونني، وهل أمسكتم بغرباء آخرين منذ دخولي مدينتكم».

سأله الضابط: «أي سجناء آخرين؟».

أجاب توران: «امرأة، ورجل برأس غريب».

قال الضابط: «من الممكن، ولكن ما أسماءهم؟».

«المرأة اسمها تارا، أميرة هيليوم، والرجل جيك، كلديني، من بانتوم».

سأله الضابط: «هل هم أصدقاؤك؟».

أجاب توران: «نعم».

قال الضابط: «هذا ما أود أن أعرفه»، ثم أصدر أمرًا مقتضبًا لرجاله كي يتبعوه، واستدار لمغادرة الزنزانة.

صاح توران: «أخبرني عنهم! أخبرني عن تارا الهيليومية! هل هي آمنة؟»، لم يجب الضابط، وسرعان ما اختفى صوت مغادرتهم مع ابتعادهم.

قال السجين المقيد بالسلاسل بجوار توران: «تارا الهيليومية آمنة، ولكن هذا منذ وقت قصير».

استدار البانثان تجاه المتكلم، ورأى رجلًا ضخمًا، وسيم الوجه، ويتمتع بأسلوب وقور وكريم. سأله: «هل رأيتها؟ إذن أسروها؟ هل هي في خطر؟».

أجاب السجين الجديد: «يحتجزونها في أبراج جيتان كجائزة في المباريات القادمة».

سأله توران: «ومن أنت؟ ولماذا أنت هنا، سجين؟».

أجاب السجين: «أنا الدوار أكور، حارس أبراج جيتان. وأنا هنا لأنني تجرأت وتحدثت عن حقيقة الجيداك أوتار مع أحد ضباطه».

سأله توران: «وما عقوبتك؟».

«لا أعرف. لم يقل أوتار بعد. لا شك ستكون المباريات، ربما المباريات العشر كاملة، ذلك أن أوتار لا يحب ابنه أكور».

سأله توران: «أنت ابن الجيداك؟».

«أنا ابن أوتار وأَمَة اسمها هاجا الجاثولية، التي كانت أميرة في بلدها».

نظر توران إلى المتحدث متفحصًا. ابن هاجا الجاثولية! أي أنه ابن شقيقة والدته، إذن هذا الرجل هو ابن خالته. تذكر جاهان اختفاء الأميرة هاجا الغامض ومعها أوتان كامل من قواتها الشخصية. كانت في زيارة بمنطقة بعيدة عن مدينة جاثول، واختفت خلال رحلة عودتها هي وحراسها بالكامل. أليس هذا إذن هو سر ذلك الاختفاء الغامض؟ هذا يُفسر دون شك العديد من حالات الاختفاء المماثلة الأخرى، التي تمتد تقريبًا بامتداد تاريخ جاثول. تفحص توران رفيقه، واكتشف أدلة تشابه كثيرة مع شعب والدته. ربما أكور أصغر منه بعشر سنوات، لكن هذه الاختلافات العُمرية نادرًا ما تؤخذ في الحسبان بين من قلما يشيخون، أو لا يشيخون أبدًا، من حيث مظهرهم الخارجي بعد نضوجهم، وقد تمتد فترة حياتهم إلى ألف سنة.

سأله توران: «وأين تقع جائول؟».

أجاب أكور: «تقريبا على خط مستقيم شرق ماناتور».

«وكم تبعُد؟».

أجاب أكور: «حوالي واحد وعشرين درجة من مدينة ماناتور إلى مدينة جائول، ولكن أكثر قليلًا من عشر درجات بين حدود البلدين. ويقع بينهما بلد من صخور ممزقة وفجوات مفتوحة».

يعرف جاهان جيدًا هذا البلد الذي يحد بلده من الغرب. وتتجنبها حتى السفن الفضائية بسبب التيارات الغادرة التي ترتفع من الفجوات العميقة، فضلًا عن عدم إمكانية الهبوط الآمن على الإطلاق. يعرف الآن أين تقع ماناتور، ويعرف للمرة الأولى خلال أسابيع طويلة الطريق إلى بلده جائول. وهنا معه رجل، سجين آخر، تتدفق في شرايينه دماء أجداده، رجل يعرف ماناتور، يعرف شعبها وأعرافه والبلدان المحيطة بها؛ ويمكنه مساعدته، على الأقل بتقديم المشورة، لإيجاد خطة لإنقاذ تارا الهيليومية والهرب. ولكن، هل سيوافق أكور، إذا تجرأ وفتح معه هذا الموضوع؟ ليس أمامه سوى أن يحاول.

سأله: «هل تعتقد أن أوتار سيحكم عليك بالإعدام؟ ولماذا؟».

أجاب أكور: «إنه يود ذلك، الشعب غاضب تحت قبضة يده الحديدية، وولاؤهم ليس سوى ولاء شعب إلى سلسلة طويلة من الجيداك اللامعين الذي ينحدر منهم. إنه رجل غيور، وقد وجد وسيلة للتخلص من معظم الذين تعطيهم دماؤهم حق المطالبة بالعرش، والذين

مكانتهم في وجدان الناس منحتهم أي أهمية سياسية. إن كوني ابن أَمَة، قد أنزلني إلى مرتبة أدنى، إلى موقع يتسم بأهمية بسيطة في نظر أوتار، ومع ذلك أنا لا زلت ابن جيداك، وقد أجلس على عرش ماناتور على قدم المساواة تمامًا مع أوتار نفسه. أضف إلى ذلك أن الناس في السنوات الأخيرة، لا سيما العديد من شباب المحاربين، قد أظهروا إعجابًا متناميًا تجاهي، وأنا أعزوه إلى بعض فضائل الشخصية والتدريب المستمدة من والدتي، لكن أوتار يفترض أنها نتيجة لطموحي نحو اعتلاء عرش ماناتور.

«والآن، أنا مقتنع تمامًا أنه انتهز فرصة انتقادي لمعاملته للفتاة الأَمَة تارا كذريعة للتخلص مني».

قال توران مقترحًا: «وماذا إن تمكنت من الفرار والوصول إلى جاثول».

استغرق أكور في تأمل، ثم قال: «لقد فكرت في ذلك، ولكن إلى أي مدى سيكون وضعي أفضل؟ لن أكون جاثوليًا في أعين الجاثوليين، بل سوف يرونني كأحد الغرباء، وسوف يعاملونني، دون شك، نفس المعاملة التي توليها ماناتور للغرباء».

قال توران: «إذا تمكنت من إقناعهم أنك ابن الأميرة هاجا، فسوف يرحبون بك قطعًا. ومن ناحية أخرى، يمكنك شراء الحرية والمواطنة بعد فترة قصيرة من العمل في مناجم الألماس».

سأله أكور: «كيف تعرف كل هذه الأشياء؟ كنت أعتقد أنك من هيليوم».

أجاب توران: «أنا بانتان، وقد خدمت في بلدان كثيرة، من بينها جاثول».

قال أكور وهو يفكر: «هذا ما أخبرني به العبيد من جاثول، وكذلك والدتي، قبل أن يرسلها أوتار لتعيش في ماناتوس. أعتقد أنه كان يخشى من سلطتها ونفوذها بين العبيد القادمين من جاثول ونسلهم، الذين ربما يصل عددهم إلى مليون شخص في جميع أنحاء أراضي ماناتور».

سأله توران: «وهل هؤلاء العبيد منظمون؟».

نظر أكور في أعين البانتان للحظة طويلة قبل أن يجيب، ثم قال: «أنت من الرجال الشرفاء؛ قرأت هذا في وجهك، ونادرًا ما يخطئ تقديري لرجل، ولكن ...»، ثم انحنى مقتربًا من توران وهمس في أذنه «حتى الجدران لها آذان»؛ وهكذا أجاب على سؤال توران.

جاء محاربون في وقت لاحق في المساء، وفتحوا قفل القيد من كاحل توران واقتادوه للمثول أمام الجيداك أوتار. اقتادوه نحو القصر خلال شوارع ضيقة متعرجة وطرقات واسعة. وكان ينظر نحوهم من الشرفات على الدوام عدد لانهائي من أناس هذه المدينة الصامتين. على أن القصر نفسه كان مليئًا بالحياة والنشاط؛ يركض المحاربون فوق حيواناتهم خلال الممرات، وصعودًا وهبوطًا في المدرجات التي تربط بين الطوابق المتجاورة. كان يبدو أنه لا أحد يسير داخل القصر باستثناء عدد قليل من العبيد. تضم قاعات رائعة بالقصر حيوانات الثوات المقاتلة ذات الأنين، بينما فرسانهم -إن لم يكونوا يؤدون بعض واجبات القصر- يلعبون الجيتان بأشكال صغيرة منحوتة من الخشب.

لاحظ توران روعة المعمار الداخلي للقصر والإنفاق السخي من المجوهرات والمعادن الثمينة، والرسوم الجدارية فائقة الجمال التي تصور على وجه الحصر تقريبًا مشاهد عسكرية، وأساسًا المبارزات التي يبدو أنها جرت فوق رقعة جيتان ذات حجم ضخم. وكانت تيجان العواميد العديدة التي تدعم أسقف الممرات والغرف التي يمرون بها تشبه قطع الجيتان - يوجد في كل مكان ما يوحي باللعبة. اقتادوا توران على طول نفس المسار الذي اقتادوا خلاله تارا الهيليومية نحو قاعة عرش الجيداك أوتار. وعندما دخل إلى قاعة القادة، تحول اهتمامه إلى تعجُّب وإعجاب وهو ينظر إلى صفوف راكبي الثوات الأشبه بالتماثيل الذين يرتدون كامل دروعهم العسكرية الرائعة. لا يعتقد أنه رأى في برسوم من قبل شخصيات عسكرية أو حيوانات ثوات تدربت بهذا الإتقان المثالي على عدم الحركة مثل هؤلاء. لا ترتعش عضلة، ولا يتحرك ذيل، والفرسان الراكبين لا يتحركون مثلهم مثل ركوباتهم، تنظر كل عين محبة للحرب إلى الأمام مباشرة، وتميل الرماح الكبيرة بنفس الزاوية. إنها صورة تملأ صدر المقاتل بالرهبة والخشوع. لقد أثّر المشهد على توران وهم يقتادونه على طول القاعة، حيث وقف ينتظر أمام أبواب كبيرة إلى حين استدعائه للمثول أمام حاكم ماناتور.

* * *

عندما دخلت تارا إلى قاعة عرش أوتار، وجدتها قاعة كبيرة مليئة بقادة وضباط أوتار ويوثور، ويجلس يوثور في موقع الشرف أسفل العرش كما يتطلب العُرف. اقتادوا الفتاة عبر الممر، حيث توقفت أمام

الجيداك الذي نظر إليها من فوق عرشه المرتفع وهو مقطب الحاجبين بأعين شرسة وقاسية.

وجه أوتار كلامه إليها قائلًا: «قوانين ماناتور عادلة، ولذا استدعيناك هنا مرة أخرى لتحاكمك أعلى سلطة في ماناتور. لقد وصلتني أحاديث تشتبه في أنك من الكورفال. ما قولك ردًا على هذا الاتهام؟».

بالكاد ما تمكنت تارا من كبح جماح سخريتها وهي تجيب على هذه الاتهامات السخيفة بممارسة السحر. قالت: «تمتد ثقافة شعبي إلى عصور قديمة، ويكشف هذا التاريخ الأصيل عن عدم الدفاع عن شيء نعرف أنه لا يوجد إلا في العقول الجاهلة المؤمنة بالخرافات لدى شعوب الماضي الأكثر بدائية، ولأولئك السُّذج غير المتعلمين، الذين لا يزالون يعتقدون في وجود الكورفال، لا توجد حُجة لإقناعهم بخطأ اعتقادهم، وإنما يمكنهم الخروج من عبودية الجهل على مدار عصور طويلة من التهذيب والثقافة. لقد أنهيت حديثي».

قال أوتار: «إذن فأنت لا تنكرين التهمة».

ردت بغطرسة: «إنها لا تستحق شرف الإنكار».

قال صوت عميق بجانبها: «لو كنت مكانك، يا امرأة، لكنت مع ذلك أنكرتها».

استدارت تارا ورأت أعين يوثور، جِد ماناتوس الأكبر، تنظر نحوها. كانت أعينه شجاعة، لكنها ليست باردة ولا قاسية. ضرب أوتار على ذراع عرشه بصبر نافد، وصاح قائلًا: «ينسى يوثور أن أوتار هو الجيداك».

أجاب جِد ماناتوس: «يوثور يتذكر أن قوانين ماناتور تبيح لأي شخص يوجه إليه اتهام أن ينال النصح والمشورة أمام قاضيه».

أدركت تارا لسبب ما أن هذا الرجل قد يساعدها، ولذا تصرفت بناء على نصيحته.

وقالت: «أنا أنفي هذه التهمة، أنا لست من الكورفال».

أسرع أوتار قائلًا: «سوف نعرف حول هذا الموضوع. يودور، أين أولئك الذين يعرفون بقوى هذه المرأة؟».

أحضر يودور العديدين الذين سردوا القليل الذي يعرفونه عن اختفاء إيميد، وغيرهم ممن تحدثوا عن القبض على جيك وتارا بما يوحي الاستنتاج أن وجودهما معًا يؤكد بشكل معقول أن كليهما سيئ، وبالتالي إدانة أحدهما بأنه كورفال تؤكد التهمة على الاثنين. طلب أوتار استدعاء جيك، وعلى الفور اقتاد المحاربون الكلديني البشع أمامه، وهم لا يخفون خوفهم من هذا المخلوق.

قال له أوتار بنبرة اتهام: «وأنت! لقد قيل لي بالفعل ما يكفي لتبرير طعن قلبك بسيف الجيداك. أخبروني كيف سرقت عقل المحارب يوفان بحيث تصور أنه شاهد جسمك مقطوع الرأس ولا يزال يتمتع بالحياة، وكيف تسببت في أن يعتقد محارب آخر أنك هربت، لأنك جعلته لا يرى أي شيء في غرفتك سوى المقعد الطويل والجدار».

«آه، يا أوتار، ولكن هذا لا شيء!»، صاح بادوار شاب، قائد الحرَّاس الذين أحضروا جيك، «فما فعله لإيزاف هنا يكفي وحده لإثبات تهمته».

سأله أوتار: «ماذا فعل للمحارب إيزاف؟ فليتكلم إيزاف!».

تقدم المحارب إيزاف نحو العرش، وإيزاف زميل ضخم، عضلاته منتفخة، وعنقه سميك. كان شاحبًا، ولا يزال يرتجف بوضوح من صدمة عصبية.

بدأ إيزاف يتكلم: «ليشهد سلفي الأول، يا أوتار، أنني أقول الحقيقة. كنت أحرس هذا المخلوق، وكان يجلس على المقعد الطويل مكبلًا بالسلاسل إلى الجدار. وقفت عند المدخل المفتوح في الجانب الآخر من الغرفة. لم يكن بمقدوره أن يصل إليّ. ولكن يا أوتار، وليبتلعني نهر إيس إن لم يكن هذا المخلوق قد سحبني نحوه وأنا عاجز كبيضة لم تفقس. لقد سحبني نحوه، يا أعظم جيداك، بعينيه! استولت عيناه على عينيّ وجرني نحوه، وجعلني أضع سيوفي وخنجري على الطاولة وأتراجع إلى الرُكن. استمرت عيناه مثبتة نحو عيناي، وانفصل رأسه عن جسده ونزلت زاحفة على ستة أرجل قصيرة إلى الأرض ودخلت إلى حفرة أولسيو، لكن ليس لمسافة بعيدة بحيث ظلت عيناه مثبتة نحوي، ثم عاد بمفتاح قيوده. وبعد أن عاد إلى مكانه فوق كتفي الجسم، فتح قفل القيد وسحبني مرة أخرى عبر الغرفة وجعلني أجلس على المقعد الطويل وربط القيد حول كاحلي. لم أتمكن من القيام بأي شيء بسبب قوة سيطرة عينيه، كما أنه ارتدى السيفين وخنجري. اختفت الرأس، بعد ذلك، داخل حفرة الأولسيو مع المفتاح، وعندما عادت، امتطت جسمها. وقف يحرسني عند المدخل، حتى جاء البادوار لجلبه هنا».

قال أوتار بصرامة: «هذا يكفي! يستحق كلاهما سيف الجيداك»، ونهض من عرشه وسحب سيفه الطويل ونزل على السلالم الرخامية تجاههما، بينما أمسك محاربان مفتولي العضلات بتارا من ذراعيها، وأمسك محاربان جيك، وأوقفاهما في مواجهة نصل الجيداك.

صاح يودور: «انتظر، أيها العادل أوتار! هناك شخص آخر يجب محاكمته. علينا مواجهته، من يطلق على نفسه توران، مع زملائه قبل أن يموتوا».

«حسنًا!»، صاح أوتار متوقفًا عند منتصف الطريق أسفل السلم، «أحضروا العبد توران!».

أدخلوا توران إلى القاعة، وأوقفوه على يسار تارا، وإن كان في وضع أقرب إلى العرش بخطوة. نظر إليه أوتار مُهدِدًا.

وسأله: «أنت توران، هل أنت صديق ومرافق لهؤلاء؟».

كان البانتان على وشك الرد، عندما قالت تارا: «أنا لا أعرف هذا الزميل. من ذا الذي يجرؤ على القول إنه صديق ومرافق للأميرة تارا الهيليومية؟».

نظر إليها توران وجيك متفاجئين. لم تنظر تارا نحو توران، لكنها ألقت لمحة تحذير سريعة إلى جيك كأنما تقول: «إبق هادئًا».

لم يحاول البانتان فهم غرضها، فالرأس تصبح عديمة الفائدة عندما يستولي القلب على وظائفها. لم يعرف توران سوى أن المرأة التي أحبها قد أنكرته، وعلى الرغم من أنه حاول حتى ألا يفكر في الأمر، فإن قلبه

الأحمق دفعه إلى تفسير واحد فقط: أنها رفضت التعرف عليه خشية أن تتورط في مصاعبه.

نظر أوتار بداية إلى أحدهما، ثم إلى الآخر؛ ولكن لم يتحدث أي منهما.

توجه بالسؤال إلى يودور: «ألم يتم أسرهم معًا؟».

أجاب الدوار: «كلا. لقد عثرنا على من يُسمى توران وهو يحاول الدخول إلى المدينة، واجتذبناه نحو الحُفر. وفي صباح اليوم التالي، اكتشفت الاثنين الآخرين على التل خارج بوابة الأعداء.

قال بادوار شاب: «لكنهم أصدقاء ورفقاء، فقد سألني توران عن الاثنين الآخرين بالاسم وقال إنهما صديقاه».

قال أوتار: «هذا يكفي، سوف يموت ثلاثتهم»، وهبط خطوة أخرى على السلم أسفل العرش.

سأل جيك: «لما نموت؟ يثرثر شعبكم عن عدالة قوانين ماناتور، ومع ذلك تريدون قتل ثلاثة غرباء دون إخبارهم بالجريمة المتهمين بها».

قال صوت عميق: «إنه على حق». كان صوت يوثور، جِد ماناتوس الأكبر. نظر إليه أوتار متجهمًا؛ وصدرت أصوات من أماكن أخرى بالقاعة تُثني على المطالبة بالعدالة.

صاح أوتار: «إذن عليكم أن تعلموا، على الرغم من أنكم ستموتون على أي حال، أن ثلاثتكم مدانين بالانتماء إلى الكورفال، ولأن الجيداك فقط هو من يمكنه قتل أمثالكم، فأنتم على وشك تكريمكم بسيف أوتار».

صاح توران: «يا أحمق! ألا تعلم أن دماء عشرة آلاف جيداك تتدفق في عروق هذه المرأة - وأن سلطتها في بلدها أكبر من سلطتك؟ إنها تارا، أميرة هيليوم، ابنة حفيدة تاردوس مورس وجون كارتر أمير الحرب في برسوم. لا يمكن أن تنتمي إلى الكورفال. كما أنني وهذا المخلوق جيك لا ننتمي إلى الكورفال. وعليك أن تعرف أكثر من ذلك، أنني أستطيع إثبات حقي في الاستماع إليّ وتصديقي إذا تمكنت من الحديث مع الأميرة هاجا الجاثولية، الذي ابنها سجين في حُفر والده أوتار».

وهنا نهض يوثور في مواجهة أوتار، وسأله: «ما معنى هذا؟ هل يقول الرجل الحقيقة؟ هل ابن هاجا سجين في حُفرك يا أوتار؟».

قال أوتار غاضبًا: «وما أهمية سجناء حُفر الجيداك بالنسبة لجِد ماناتوس؟».

«هو أمر يهم جِد ماناتوس»، أجاب يوثور بصوت شديد الانخفاض أعلى قليلًا من الهمس، لكنه كان مسموعًا على طول وعرض قاعة العرش العظيم لأوتار، جيداك ماناتور. «لقد أعطيتني الأَمَة هاجا، التي كانت أميرة في جاثول، لأنك كنت تخشى من نفوذها بين العبيد الجاثوليين. وقد أعطيتها حريتها وتزوجتها، وجعلتها أميرة ماناتوس. ابنها هو ابني، يا أوتار. وعلى الرغم من أنك الجيداك، فإنني أقول لك إن أي ضرر يصيب أكور سوف تكون مسؤولًا عنه أمام يوثور الماناتوسي».

نظر أوتار طويلًا تجاه يوثور، لكنه لم يرد. ثم التفت مرة أخرى نحو توران وقال: «إذا كان أحدكم من الكورفال، فأنتم جميعًا منهم، ونحن

نعرف ذلك جيدًا من الأشياء التي قد فعلها هذا المخلوق»، وأشار إلى جيك، «إنه كورفال؛ إذ لا يمتلك أي بشري هذه القوى التي يمتلكها. ولأنكم جميعًا من الكورفال، يجب أن تموتوا». اتخذ أوتار خطوة أخرى على السلم إلى أسفل، وهنا تحدث جيك.

قال: «لا يملك هذان الاثنان هذه القوى مثلي. فهما مجرد أشياء عادية بلا عقل، مثلك. وقد فعلت كل الأشياء التي أخبرك بها محاربوك المساكين الجهلاء، لكنها لا توضح سوى أنني من مرتبة أعلى منكم، وهذه هي الحقيقة. أنا كلديني، ولست من الكورفال. لا يوجد شيء خارق أو غامض بشأني، لكن الجهلاء يعتبرون جميع الأشياء التي لا يستطيعون فهمها غامضة. كان يمكنني بسهولة أن أتملص من المحاربين وأهرب من الحُفر، لكنني بقيت على أمل أن أساعد هذين المخلوقين الأحمقين اللذين ليس لديهما عقولًا للهرب دون مساعدة. لقد أصبحا صديقاي، وأنقذا حياتي. وأنا مدين لهما. لا تقتلهما، فهما غير مؤذيين. اقتلني إن شئت. أنا أقدم حياتي إذا كانت ستُشبع غضبك الجاهل. لا يمكنني العودة إلى بانتوم، لأنني قد أموت كذلك، فلا توجد أي متعة في التواصل مع المثقفين الضعفاء الذين يُثقلون وجه العالم خارج وادي بانتوم».

قال أوتار: «إنك متبجح بشع، عليك أن تستعد للموت، ولا تُملي رأيك على أوتار الجيداك. لقد أصدرت الحكم، وستشعرون ثلاثتكم بسيف الجيداك. لقد أنهيت حديثي!».

اتخذ خطوة أخرى أسفل السلم، ثم حدث شيء غريب. توقف،

وعيناه ثابتتان على عيني جيك. انزلق سيفه من أصابعه الواهنة، وظل واقفًا يتمايل إلى الأمام والخلف. نهض الجِد مندفعًا نحوه، لكن كلمات جيك أوقفته.

صاح جيك: «انتظر! حياة الجيداك في يدي. أنتم تعتقدون أنني من الكورفال وبالتالي تعتقدون أن سيف الجيداك هو فقط ما يمكنه أن يقتلني، ولذلك سيوفكم ضدي غير مجدية. إذا حاولتم إلحاق الضرر بأي منا، أو الاقتراب من الجيداك إلى أن أنهي حديثي، ستجدونه جثة هامدة على الرخام. عليكم إطلاق سراح السجينين وإحضارهما إلى جانبي. أود التحدث معهما على انفراد. بسرعة! افعلوا ما قلت، لا يسعدني أكثر من قتل أوتار. لكنني تركته يعيش لكي أفوز بالحرية لأصدقائي، عارضوني، وسيموت».

تراجع الحراس، وأطلقوا سراح تارا وتوران، اللذين اقتربا من جيك.

همس جيك: «افعلا ما أقوله لكما، وبسرعة. لا يمكنني السيطرة على هذا الزميل لفترة طويلة، ولا يمكنني قتله هكذا. هناك العديد من العقول تعمل ضدي، وعقلي سوف يتعب الآن ويعود أوتار كما كان ثانية. عليكما اقتناص أفضل فرصة ممكنة. توجد فتحة سرية خلف الستارة التي تتدلى وراء العرش. ومن الفتحة يوجد ممر يؤدي إلى حُفر القصر، حيث توجد مخازن تحتوي على الطعام والشراب. لا يذهب إلى هناك سوى عدد قليل من الناس. وترتبط هذه الحُفر بحُفر أخرى تؤدي إلى جميع أنحاء المدينة. عليكما اتباع المسار الذي يتجه غربًا،

وسوف يصل بكما إلى بوابة الأعداء. والباقي تعرفونه. لا أستطيع القيام بأكثر من ذلك، أسرعا قبل أن يخذلني ضعف قواي. أنا لست مثل لوود، الذي كان ملكًا، ويمكنه السيطرة على هذا المخلوق إلى الأبد. أسرعا! اذهبا!».



الفصل (١٥)

العجوز في الحُفر

قالت تارا ببساطة: «أنا لن أتركك، جيك».

همس الكلديني: «هيا! هيا! لن يمكنك مساعدتي. اذهبا، وإلا ما فعلته سيضيع هباء».

هزت تارا رأسها وقالت: «لا أستطيع».

قال جيك للبانتان توران: «سوف يقتلونها». كان البانتان ممزقًا بين الولاء لهذا المخلوق الغريب الذي منح حياته له، وحبه للمرأة. تردد للحظة، ثم حمل تارا من قدميها ورفعها إلى ذراعيه وقفز على السلم الذي يؤدي إلى عرش ماناتور. فتح الستارة خلف العرش ووجد الفتحة السرية. حمل الفتاة داخل الفتحة، وهبط عبر ممر طويل ضيق، ومدرجات متعرجة تؤدي إلى المستويات الأدنى، إلى أن وصلا إلى حُفر قصر أوتار. توجد هنا متاهة من الممرات والغرف، تضم الآلاف من أماكن الاختباء.

عندما حمل توران تارا وصعد السلم نحو العرش، نهض عدة محاربين يريدون الاندفاع إلى الأمام لاعتراضهما. صاح جيك: «توقفوا!

أو يموت الجيداك». توقف المحاربون في أماكنهم، امتثالًا لإرادة هذا المخلوق الغريب الخارق للطبيعة.

أبعد جيك عينيه عن أعين أوتار، وهز الجيداك نفسه كمن يتخلص من حلم مزعج، ثم اعتدل وهو لا يزال نصف مذهول.

عندئذ قال جيك:، «اسمعوا، لقد أعطيت جيداككم حياته، ولم أُلحق الضرر بأي من أولئك الذين كان يمكنني قتلهم بسهولة عندما كنت مسيطرًا عليهم. كما لم أقم أنا أو أصدقائي بأي شيء ضار في مدينة ماناتور. لماذا تضطهدوننا إذن؟ أعطونا حياتنا. أعطونا حريتنا».

استعاد أوتار الآن قواه، ثم انحنى واستعاد سيفه. ساد صمت في القاعة، انتظارًا لسماع إجابة الجيداك.

وأخيرًا قال الجيداك: «قوانين ماناتور عادلة. ربما هناك بعض الحقيقة في كلمات الغريب. أعيدوه إلى الحُفر، وطاردوا الاثنين الآخرين واقبضوا عليهما. وباسم رحمة أوتار، سوف أسمح لهما بالفوز بحريتهما على رقعة جيتان في دورة المباريات القادمة».

كان وجه الجيداك لا يزال شاحبًا عندما اقتاد الحراس جيك بعيدًا. وكان مظهره يماثل مظهر رجل انتُزع من حافة الأبدية التي شهدها محدقًا، ليس برباطة جأش شجاعة عظيمة، وإنما بخوف. كان الحاضرون في قاعة العرش يعرفون أن إعدام السجناء الثلاثة قد تأجل، وأن المسؤولية تقع الآن على عاتق آخرين. وكان يوثور، جِد ماناتوس الأكبر، من بين من يعرفون ذلك. فقد دل تجعد شفتيه عن احتقاره للجيداك الذي اختار المهانة بدلًا من الموت. وكان يعرف أن أوتار فقد في تلك اللحظات القليلة قدرًا من

المكانة أكبر مما يمكنه استرداده طوال عمره؛ ذلك أن المريخيين يشعرون بالغيرة من شجاعة قادتهم - فلا يمكن التملص من واجب صارم، ولا مماطلة في الشرف. وقد بدا واضحًا من الصمت والتجهم القاتم الذي ساد في القاعة، وجود آخرين يشاركون يوثور الرأي.

ألقى أوتار نظرة سريعة حوله، وأحس قطعًا بمشاعر العداء وخمّن أسبابه؛ إذ استشاط غضبًا فجأة وصاح بصوت عال على نحو لا يمكن اعتباره سوى تحديًا، كمن يسعى بعنف كلماته إلى إثبات شجاعة قلبه.

صاح: «إرادة الجيداك أوتار هي قانون ماناتور، وقوانين ماناتور عادلة، لا يمكن أن تُخطئ. يا يودور، عليك إرسال من سيبحثون في القصر، والحُفر، والمدينة، وإعادة الهاربين إلى زنازينهم».

«والآن، أنت يا يوثور من ماناتوس! هل تعتقد أن لديك حصانة تتيح لك تهديد جيداكك، وتتشكك في حقه في معاقبة الخونة والمحرضين على الخيانة؟ كيف أصدق ولاءك، وأنت اتخذت من المرأة التي نفيتها من بلاطي زوجة لك، بينما أنا نفيتها بسبب مؤامراتها ضد سلطة جيداكها وسيدها؟ لكن أوتار عادل. عليك إذن تقديم تفسيرك وموقفك المسالم قبل فوات الأوان».

أجاب جِد ماناتوس: «ليس لدى يوثور أي شيء ليفسره، وليس في حرب مع جيداكه، لكنه يتمتع بالحق الذي يتمتع به كل جِد وكل محارب، وهو المطالبة بالعدالة على يد الجيداك لكل من يعتقد أنه تعرض للاضطهاد. لقد اضطهد جيداك ماناتور العبيد الجاثوليين بصرامة متزايدة منذ أن أخذ الأميرة هاجا لنفسه على غير رغبتها. وإذا كان لدى العبيد

الجاثوليين أي أفكار عن الانتقام والهروب، فهذا ليس سوى المتوقع من شعب فخور وشجاع. لقد سبق ونصحت باتباع مزيد من الإنصاف في معاملتنا مع عبيدنا، فقد كان كثيرون منهم، في بلدانهم الأصلية، أشخاصًا يتمتعون بالتميز والسلطة، لكن الجيداك أوتار يهزأ دائمًا بغرور من أي اقتراح أقدمه. وعلى الرغم من أن طرح هذه المسألة لم يأت نتيجة للمساعي التي سبق أن قمت بها، فإنني سعيد لطرحها، فقد كان يجب أن يأتي الوقت الذي يسعد فيه كل جِد في ماناتور بأن يطالب أوتار بالاحترام والاعتبار الواجب من الرجل الذي يشغل هذا المنصب الرفيع. ويجب أن تعرف، يا أوتار، أن عليك إطلاق سراح الدوار أكور على الفور، أو تقديمه إلى محاكمة عادلة أمام جِد ماناتور المجتمعين. لقد أنهيت حديثي».

صاح أوتار: «لقد تكلمت جيدًا وفي الصميم، يا يوثور، فقد كشفت لجيداكك وزملائك من الجِد عمق عدم الولاء الذي أشتبه فيه منذ فترة طويلة. لقد حوكم أكور بالفعل وأصدرت المحكمة العليا في ماناتور - أوتار، الجيداك - حكمها. وسوف تنال أنت أيضًا العدالة من نفس المصدر الذي لا يُخطئ. وأنت الآن، مقبوض عليك. إلى الحُفر معه! خُذوا يوثور، الجِد الخادع، إلى الحُفر!»، وصفق بيديه استدعاءً للمحاربين المحيطين لتنفيذ أمره. اندفع حوالي ٢٠ شخصًا للقبض على يوثور، ومعظمهم من محاربي القصر، لكن عددًا مضاعفًا انطلق للدفاع عن يوثور، وقاتلوا بسيوفهم أسفل منصة عرش ماناتور حيث يقف الجيداك أوتار ممتشقًا سيفه استعدادًا للمشاركة في المعركة.

ومع اشتباك السيوف، هرع حرس القصر من أجزاء أخرى من المبنى

الكبير إلى المشهد، إلى أن فاق عددهم بمعدل اثنين إلى واحد على عدد المدافعين عن يوثور، وعندئذ انسحب جِد ماناتوس ببطء مع قواته، وشق طريقه بالقتال خلال ممرات وقاعات القصر حتى وصل أخيرًا إلى الشارع. وهنا زادت تعزيزاته بالجيش المحدود الذي قد سار معه إلى ماناتور. تراجعوا ببطء نحو بوابة الأعداء، بين صفوف الشعب الصامت الذين ينظرون نحوهم من الشرفات، ومن هناك وصلوا داخل أسوار المدينة، وتوقفوا.

في غرفة خافتة الإضاءة تحت قصر الجيداك أوتار، أنزل البانثان توران تارا الهيليومية من ذراعيه ووقف أمامها. وقال: «أعتذر لك، يا أميرة، فقد كنت مُجبرًا على عصيان أوامرك، أو التخلي عن جيك؛ ولم تكن هناك أي طريقة أخرى. لو كان تمكن من إنقاذك، لكنت بقيت في مكانه. قولي إنك تسامحيني».

أجابت بلطف: «وهل يمكنني أن أفعل أقل من ذلك؟ ولكن، من الجُبن التخلي عن صديق».

قال: «لو كان ثلاثتنا من المقاتلين لاختلف الأمر. كان يمكننا أن نبقى ونموت معًا ونحن نقاتل، لكنك تعلمين، تارا الهيليومية، أننا لا يمكن أن نُعرض سلامة امرأة للخطر حتى مع أننا نخاطر بفقدان الشرف».

قالت: «أعرف ذلك، توران، ولكن ما من أحد يعرف شرفك وشجاعتك يمكنه القول إنك خاطرت بالشرف».

استمع إليها متفاجئًا؛ فهذه أول كلمات تقولها له ولا تحمل سمة سلوك أميرة تجاه بانثان – على أنه أدرك الفارق من نبرة صوتها أكثر من الكلمات الفعلية. كم اختلفت كلماتها عن رفضها السابق له! لم يستطع فهمها، ولذا

اندفع بالسؤال الذي كان في ذهنه منذ أن أبلغت أوتار أنها لا تعرفه.

قال: «تارا الهيليومية، كلماتك هي بلسم للجرح الذي أصبتني به في قاعة عرش أوتار. أخبريني يا أميرة، لماذا أنكرتي معرفتي؟».

أدارت عينيها الكبيرتين العميقتين نحوه، وبهما بعض اللوم.

وسألته: «ألم تُخمن أن شفتي فقط، وليس قلبي، هما من أنكرا معرفتك؟ لقد أمر بأن أموت، وذلك لأنني كنت مرافقة لجيك أكثر من أي دليل ضدي، ولذلك أدركت أنني إذا اعترفت بك كواحد منا، سوف يقتلك أيضًا».

صاح: «كان ذلك لإنقاذي إذن؟»، وأضاء وجهه فجأة.

قالت بصوت منخفض: «كان لإنقاذ بانتاني الشجاع».

قال المحارب، وهو ينخفض على ركبة واحدة: «تارا الهيليومية، كلماتك غذاء لقلبي الجائع»، ثم أمسك بأصابعها وضغط عليهم بشفتيه.

أنهضته بلطف على قدميه، وقالت بهدوء: «لست في حاجة إلى أن تخبرني وأنت راكع».

كانت يدها لا تزال في يده وهو ينهض، وكانا قريبين جدًّا، ولا يزال الدم يتدفق في وجه الرجل من ملامسة جسمها منذ أن حملها من قاعة عرش أوتار. شعر بدقات قلبه في صدره والدم الحار يتدفق خلال عروقه وهو ينظر إلى وجهها الجميل وعينيها المُسبلتين وشفتيها المتباعدتين قليلًا، التي يمكن أن يتخلى عن مملكة للفوز بها، وعندئذ ضمها إليه واعتصرها في صدره، وأمطرها بالقبلات.

ولكن للحظة فقط؛ فقد استدارت الفتاة بشراسة النمرة، وضربته، ودفعته بعيدًا. تراجعت، ورأسها مرتفع وعيناها تومض شررًا، وصاحت:

«كيف تجرؤ؟ أتجرؤ هكذا على تدنيس أميرة هيليوم؟».

التقت عيناه بعينيها مباشرة، ولم يبد فيهما أي خجل أو ندم.

وقال: «نعم، أنا أجرؤ، أجرؤ على أن أحب تارا الهيليومية، لكني لا أجرؤ على تدنيسها أو تدنيس أي امرأة بقبلات لا يدفعها إلا حبي لها وحدها». اقترب منها، ووضع يديه على كتفيها وقال: «انظري في عيني، يا ابنة أمير الحرب، وقول لي إنك غير راغبة في حب البانثان توران».

ابتعدت صائحة: «أنا لا أرغب حبك. أنا أكرهك!»، استدارت، وألقت برأسها في تجويف ذراعيها، وبكت.

تقدم الرجل خطوة في اتجاهها لتهدئتها، لكن صوت ضحكة رنانة خلفه استولت على انتباهه. نظر حوله، واكتشف هيئة غريبة لرجل يقف عند أحد المداخل. إنه أحد المشاهد النادرة التي يمكن رؤيتها أحيانًا في برسوم: رجل عجوز، تظهر عليه علامات العُمر. كان محنيًا وتظهر عليه التجاعيد. كان مظهره أقرب إلى مومياء منه إلى رجل.

صاح الرجل: «الحب في حُفر أوتارا!»، ثم رنّت ضحكته الرفيعة ثانية عبر صمت الأقبية تحت الأرضية، «مكان غريب للتودد! بالفعل، مكان غريب للتودد! عندما كنت شابًا، كنا نتجول في الحدائق تحت أشجار البيماليا(٤٤) العملاقة، ونسرق قبلاتنا تحت الظلال القصيرة قمر ثوريا المندفع. لم نأت إلى الحُفر القاتمة لنتكلم عن الحب، لكن الزمن تغير والأساليب تغيرت، مع أنني لم أتصور أبدًا أن أعيش إلى زمن أشهد

---

(٤٤) شجرة بيماليا: شجرة مزهرة كبيرة في حدائق المريخ https://barsoom.fandom.com/wiki/Pimalia – المترجمة.

فيه تغيير طريقة تعامل الرجل مع المرأة، أو المرأة مع الرجل. آه، وكنا نُقبّل النساء حينذاك! وماذا لو اعترضن، هه؟ ماذا لو اعترضن؟ كنا نزيد من تقبيلهن. إيييه، إييه، يا لها من أيام!»، ثم رنت ضحكته ثانية. «إييه، لا زلت أذكر أول امرأة قبّلتها، وقد قبّلت جيشًا منهن؛ كانت فتاة رائعة، لكنها حاولت أن تطعنني بخنجر وأنا أُقبلها. إييه، إييه، يا لها من أيام! لكني تمكنت من تقبيلها. لقد ماتت منذ أكثر من ألف سنة، لكنها لم تحظ بمثل قبلاتي ثانية خلال حياتها، بل أقسم حتى منذ موتها. وبعدها، كانت تلك المرأة الأخرى ...»، لكن توران قاطعه، وهو يراه يروي ذكريات عاطفية تمتد لأكثر من ألف سنة.

وقال له: «أخبرني عن نفسك، أيها العجوز، وليس عن حبيباتك. من أنت؟ وماذا تفعل هنا في حُفر أوتار؟».

أجاب العجوز: «قد أسألك نفس السؤال، أيها الشاب. قليلون من يزورون الحُفر بخلاف القتلى، باستثناء تلاميذي ... إييه! هذا يعني إذن... أنتما تلميذان جديدان! جيد! لكنهم لم يرسلوا أبدًا من قبل امرأة لتتعلم الفن العظيم من أعظم فنان. على أن الزمن تغير. على أيامي لم تكن النساء تعمل، كان دورهن يقتصر على التقبيل والحب. إييه، يا لهن من نساء. أتذكر المرأة التي أسرناها في الجنوب ... إييه! كانت شيطانة، ولكن، كيف يمكنها أن تحب. كان ثدييها من الرخام وقلبها من النار. لماذا، كانت ...».

قاطعه توران قائلًا: «نعم، نعم، نحن تلميذان، ونتوق إلى العمل. قُدنا وسوف نتبعك».

قال العجوز: «إيبه، نعم! إيبه، نعم! تعالا! الكل مندفع ومتسرع، كأنما لا توجد آلاف عديدة من الأعمار أمامنا. إيبه، نعم! أعمار عديدة بقدر الأعمار التي ولّت. لقد مضى ألفان من السنوات منذ أن كسرت قشرة بيضتي وأخذت اندفع، اندفع، اندفع دائمًا، لكني لا أستطيع أن أرى تحقُّق أي إنجاز. لا تزال ماناتور اليوم كما كانت حينذاك، باستثناء الفتيات. كان لدينا الفتيات آنذاك. هناك فتاة حصلت عليها على رقعة الجيتان. إيبه، ولكن، بالتأكيد شاهدتما ....».

صاح توران: «قُدنا! يمكنك أن تحكي لنا عنها خلال عملنا».

«إيبه، نعم»، قال العجوز، وجر قدميه أسفل ممر خافت الإضاءة، «اتبعاني!».

سألت تارا: «هل ستذهب معه؟».

أجاب توران: «ولِمَ لا؟ إننا لا نعرف أين نحن، أو الطريق من هذه الحُفر؛ إذ إنني لا أعرف الشرق من الغرب، لكنه يعرف دون شك. وإذا كنا أذكياء، يمكننا أن نعرف منه ما نريد معرفته. وعلى الأقل لا يمكننا تحمُّل إثارة شكوكه». وبالتالي تبعاه على طول ممرات متعرجة وخلال العديد من الغرف، إلى أن وصلوا أخيرًا إلى غرفة تضم العديد من ألواح الرخام المرفوعة على ركائز ترتفع لمسافة ثلاثة أقدام تقريبًا من الأرض، وتوجد فوق كل لوح جثة بشرية.

قال العجوز: «ها قد وصلنا. هذه جثث جديدة، وعلينا أن نبدأ العمل عليها بسرعة. أنا أعمل الآن على الجثة المخصصة لبوابة الأعداء. لقد قتل عددًا كبيرًا من محاربينا. إنه يستحق حقًّا مكانًا في البوابة. تعالا، سوف تشاهدانه».

قادهم إلى شقة مجاورة. تناثرت على الأرض العديد من العظام البشرية الجديدة، وعلى لوح الرخام كتلة من اللحم عديمة الشكل.

قال العجوز: «سوف تتعلمان هذا في وقت لاحق، إلا أنه لن يضير كما مشاهدتي الآن، فلا يوجد عدد كبير جاهز على هذا النحو، وقد يمر وقت طويل قبل أن تُتاح لكما الفرصة لرؤية إعداد واحد آخر لبوابة الأعداء. أقوم أولًا، كما ترون، بإزالة جميع العظام بعناية بحيث يقل تلف الجلد إلى أدنى ما يمكن. الجمجمة هي أصعب جزء، لكن الفنان الماهر يمكنه إزالتها. كما ترون، لم أصنع سوى فتحة واحدة. والآن أقوم بالخياطة، وبعدها أتولى تعليق الجسم»، ثم قام بربط حبل بشعر الجثة، وتأرجح الشيء المروع من حلقة في السقف. وكانت توجد على الأرض، أسفله مباشرة، فتحه دائرية أزال غطاءها ليكشف عن بئر مملوء جزئيًا بسائل أحمر. «ننزله الآن هنا، وسوف تتعلمون تركيبة السائل في الوقت المناسب. نربطه هكذا بالجزء السفلي من الغطاء الذي نعيده إلى مكانه ثانية. سيكون جاهزًا خلال سنة، ولكن يجب فحصه كثيرًا خلال هذه الفترة والتأكد من الاحتفاظ بالسائل أعلى من مستوى قمته. سيكون قطعة جميلة جدًا، هذا تحديدًا، عندما يصبح جاهزًا.

«وأنتم محظوظون، لأن اليوم لن يخرج أحد». توجه إلى الجانب المقابل من الغرفة وفتح غطاء آخر، وأخذ يجر شيئًا غريب الشكل من الحفرة. كان جسم إنسان، تقلص بفعل المادة الكيميائية التي كان مغمورًا فيها، إلى ما يصل ارتفاعه بالكاد إلى قدم واحد.

صاح العجوز: «إيه، أليس جيدًا؟ سوف يأخذ مكانه غدًا عند

بوابة الأعداء». قام بتجفيفه بالقماش، ثم تعبئته بعناية في سلة. قال العجوز مقترحًا: «ربما ترغبان في رؤية بعض الأعمال التي قمت بها»، واقتادهما، دون انتظار الموافقة، إلى شقة أخرى عبارة عن غرفة كبيرة تضم حوالي أربعين أو خمسين شخصًا. كان الجميع يجلس أو يقف بهدوء عند الجدران، باستثناء محارب واحد ضخم يركب فوق ثوات كبير في وسط الغرفة؛ وجميعهم بلا حراك. وعلى الفور تبادر إلى عقليّ تارا وتوران صفوف الشعب الصامت على الشرفات التي اصطفت على جانبي طرقات لمدينة، والمنظومة النبيلة من المحاربين الراكبين في قاعة القادة. وتوصل كلاهما إلى التفسير نفسه، دون أن يجرؤ أحدهما على التعبير عن السؤال الذي دار في ذهنه، خشية أن يكشف جهله عن حقيقة أنهما غرباء في ماناتور ويتخفيان تحت ستار تلميذين.

قال توران: «هذا رائع جدًّا، يجب أن يتطلب الكثير من المهارة والصبر والوقت».

أجاب العجوز: «نعم، على الرغم من أنني أصنعهم منذ فترة طويلة، وأنني أسرع من الغالبية، فإن صناعتي تبدو الأكثر طبيعية. لماذا أتحدى زوجة ذلك المحارب لأقول إنه ليس حيًّا بقدر ما يتعلق الأمر بالمظهر»، وأشار نحو الرجل فوق الثوات: «يجلبون العديد منهم، بطبيعة الحال، فاسدين أو مصابين بجروح خطيرة، ويتعين أن أتولى ترميمهم. وهذا يتطلب مهارة كبيرة؛ إذ يرغب كل شخص أن يبدو موتاه كما كانوا في أفضل حالاتهم خلال فترة حياتهم. لكنكما سوف تتعلمان، سوف تتعلمان تركيبهم وطلاءهم وإصلاحهم، وفي بعض الأحيان تجعلان

جثة قبيحة تبدو جميلة. وسوف تشعران براحة راحة كبيرة عندما تتمكنان من التركيب بأنفسكم. لماذا، لأنه منذ ألف وخمسمائة سنة لم يقم أحد سواي بتركيب موتاي.

«لدي الكثيرين، تكتظ شرفاتي بهم، لكني أحتفظ بغرفة كبيرة لزوجاتي. كلهن عندي، من الزوجة الأولى، وأقضي أمسيات كثيرة معهن، أمسيات هادئة وممتعة جدًّا. كما أن سعادة إعدادهن وجعلهن أجمل مما كُنَّ عليه في الحياة، تعوضني جزئيًّا عن فقدانهن. أمضي وقتي مع جثث الموتى، باحثًا عن واحدة جديدة بينما أعمل على القديمة. وعندما لا أكون متأكدًا من جثة جديدة، أجلبها إلى الغرفة التي تضم زوجاتي، وأقارن سحرها بسحرهن، وأشعر دائمًا بارتياح كبير في مثل هذه الأوقات، لمعرفتي عدم معارضتهن. أنا أحب الوئام».

سأله توران: «هل تقوم بإعداد جميع المحاربين في قاعة القادة؟».

أجاب العجوز: «نعم، أتولى إعدادهم وترميمهم. لا يثق أوتار في أي شخص آخر. لديَّ الآن حتى اثنين في غرفة أخرى، متضررين بشكل أو آخر وجلباهما لي. لا يحب أوتار غيابهما لفترة طويلة، فذلك يترك حيوانين ثوات من دون راكبيهما في القاعة. لكني سأبدأ حاليًا في تجهيزهما؛ فهو يريدهم جميعًا هناك في حال نشأت أي مسألة خطيرة لا يتفق حولها الجِد الأحياء، أو لا يتفقون مع أوتار. وهو يحمل مثل هذه الأمور إلى الجِد في قاعة القادة، حيث ينفرد مع كبار القادة الذين نالوا الحكمة من خلال الموت. إنها خطة ممتازة، ولا يوجد أبدًا أي خلاف أو سوء فهم. يقول أوتار إنها أرقى هيئة تداولية في برسوم، أكثر ذكاء

بكثير من أي هيئة تتكون من جِد أحياء. ولكن هيا، يجب أن نبدأ في العمل. هيا إلى الغرفة التالية، وسأبدأ تعليمكما».

وقاد الطريق إلى الغرفة التي تضم عدة جثث على ألواح الرخام، ثم ذهب إلى خزانة وارتدى زوج من النظارات الضخمة، وبدأ في اختيار أدوات مختلفة من مقصورات صغيرة. وبعد أن انتهى، استدار ثانية نحو تلميذيه.

وقال: «الآن، دعوني ألق نظرة عليكما. عيناي ليست كما كانت سابقًا، وأحتاج إلى هذه العدسات القوية في عملي، أو لكي أرى بوضوح ملامح المحيطين بي».

أدار عينيه نحو الاثنين أمامه. حبس توران أنفاسه، لأنه يعرف أن الرجل سوف يكتشف الآن أنهما لا يرتديان عتاد أو شارة ماناتور. لقد تساءل من قبل عن عدم ملاحظة العجوز لذلك، لأنه لم يكن يعرف أن العجوز كان نصف أعمى. تفحص الرجل وجهيهما، وتعلقت عيناه لفترة طويلة على جمال تارا، ثم انتقلت إلى عتاد التلميذين. تصور توران أنه لاحظ بداية دهشة العجوز القائم بالتحنيط. ولكن إذا كان العجوز قد لاحظ أي شيء، فإن كلماته بعد ذلك لم تكشف عنها.

وجه العجوز كلامه إلى توران قائلًا: «تعال مع إيجوس. لديَّ بعض المواد في الغرفة التالية ويجب أن أحضرها هنا. عليكِ البقاء هنا، يا امرأة، سوف نذهب للحظة فقط».

قاد الطريق إلى أحد الأبواب العديدة، ودخل الغرفة قبل توران، ثم توقف بمجرد دخوله من الباب، وأشار إلى حزمة من الحرير والفراء

على الجانب المقابل من الغرفة وأشار إلى توران لإحضارهم. سار توران عبر الغرفة وانحنى لرفع الحزمة، وعندئذ سمع صوت خلفه لقفلٍ يُغلق. استدار على الفور ليرى أنه بمفرده في الغرفة، وأن الباب الوحيد مُغلق. أسرع نحو الباب في محاولة لفتحه، إلا أنه وجد نفسه سجينًا.

بعد أن خرج إيجوس من الغرفة وأغلق الباب خلفه، توجه نحو تارا.

وقال وهو يطلق ضحكته المجلجلة: «لقد خانتكما بشرتكما. أردتما خداع إيجوس العجوز، ولكن إذا كانت عيناه ضعيفتان، فإن عقله ليس كذلك. لكني لن أُلحق بكِ أي ضرر، فأنت جميلة وإيجوس يحب النساء الجميلات. قد لا أتمكن منك في أي مكان آخر في ماناتور، أما هنا فلا يوجد من يرفض العجوز إيجوس. قليلون هم من يأتون إلى حُفر الموتى، يأتي فقط من يجلبون الموتى، ويعجلون بالخروج بأسرع ما يمكن. لن يعرف أحد أن إيجوس لديه امرأة جميلة محبوسة مع موتاه. لن أوجه لكِ أي سؤال، وعندئذ لن أضطر إلى التخلي عنك؛ لأنني لن أعرف لمن تنتمين، هه؟ وعندما تموتين، سوف أتولى تجهيزك بشكل جميل ووضعك في الغرفة مع نسائي الأخريات. أليس ذلك حسنًا، هه؟»، واقترب إلى أن توقف بجوار الفتاة المرتعبة. قال: «تعالي!»، وهو يمسكها من معصمها، «تعالي إلى إيجوس».



الفصل (١٦)

تغيير الاسم مرة أخرى

دفع توران بنفسه ضد باب سجنه بقوة في محاولة عقيمة لتحطيم خشب السكيل الصلب والتوجه إلى تارا التي كان يعلم أنها في خطر شديد، لكن الألواح الثقيلة ظلت ثابتة ولم ينجح سوى في إصابة كتفيه وذراعيه بكدمات. توقف في النهاية، وأخذ يبحث في سجنه عن وسائل أخرى للهرب. لم يجد أي فتحة أخرى في الجدران الحجرية، لكن بحثه كشف عن مجموعة غير متجانسة من أشياء متنوعة تضم أسلحة، وملابس، وعتاد، وحلي، وشارات، وحرير وفراء النوم بكميات كبيرة. وجد سيوفًا ورماحًا والعديد من البلطات الكبيرة ذات النصلين التي تُستخدم في المعارك، وتنم رؤوسها عن تشابه صارخ مع دافع الطائرة الصغيرة. استولى على إحداها، وهاجم الباب ثانية بغضب شديد. توقع أن يسمع شيئًا من إيجوس بعد هذا التدمير الوحشي، ولكن لم يصله أي صوت من وراء الباب الذي تصور أنه سميكًا جدًا بحيث يصعب على الصوت البشري اختراقه، لكنه كان يراهن كثيرًا على أن إيجوس سمعه.

تشققت قطع من الخشب الصلب على إثر كل ضربة من الفأس الثقيل، إلا أن العمل كان بطيئًا ومضنيًا. أصبح الآن مضطرًّا للراحة، واستمر لما بدا ساعات يعمل إلى أن توشك قواه على الاستنفاد، ثم يستريح لبضع دقائق. وعلى الرغم من اتساع الفتحة، لم يتمكن من رؤية أي شيء داخل الغرفة التالية بسبب الستارة التي أغلقها إيجوس بعد أن حبس توران.

نجح البانتان أخيرًا في حفر فتحة يمكنه من خلالها تمرير جسمه، ثم أمسك بسيف طويل كان قد وضعه بالقرب من الباب وزحف إلى الغرفة المجاورة. أزاح الستائر جانبًا ووقف مستعدًّا، والسيف في يده، ليشق طريقة إلى جانب تارا – إلا أنها لم تكن هناك. وجد إيجوس يرقد على الأرض ميتًا في وسط الغرفة، لكن تارا لم تكن موجودة في أي مكان بالغرفة.

ارتبك توران. من المؤكد أنها ضربت العجوز، إلا أنها لم تبذل أي جهد لإطلاق سراح توران من سجنه. ثم فكّر في كلماتها الأخيرة: «أنا لا أرغب حبك. أنا أكرهك!»، وبرزت أمامه الحقيقة – انتهزت تارا أول فرصة لتهرب منه. ابتعد توران بقلب حزين. ماذا يجب أن يفعل؟ لا توجد سوى إجابة واحدة. ما دام حيًّا وتارا حية، لن يدخر جهدًا لإنجاح هروبها وعودتها آمنة إلى أرض شعبها. ولكن كيف؟ كيف يجد طريقه حتى خلال هذه المتاهة؟ كيف يجدها ثانية؟ سار إلى أقرب مدخل، وكان من قبيل المصادفة أنه يؤدي إلى الغرفة التي تضم الميت الراكب فوق الثوات، في انتظار نقله إلى شرفة أو غرفة قاتمة أو أي مكان آخر. اتجهت عيناه نحو المحارب العظيم المدهون فوق الثوات، ووقع بصره على أغطيته المزخرفة الرائعة وأسلحته الصالحة للاستعمال،

وهنا تألقت أعين الباتنان المتألقة بضوء جديد. وبخطوة سريعة اتجه إلى المحارب الميت، وأنزله من فوق الثوات. وبنفس السرعة، جرده من عتاده وأسلحته، ثم مزّق ملابسه وارتدى شعارات القتيل الملكية. أسرع بعد ذلك إلى الغرفة التي كان مُحتجزًا بها، فقد رأى فيها ما يحتاجه ليجعل تنكره كاملًا. وقد وجدهم في الخزانة: أواني الطلاء التي استخدمها المُحنِط العجوز ليضع طلاء الحروب في شرائطه الواسعة على وجوه المحاربين القتلى الباردة.

وبعد بضع لحظات، خرج جاهان الجاثولي من الغرفة كمحارب من ماناتور، بكل تفاصيل العتاد والأدوات والزخارف. وقد أزال من جلود القتيل شارة بيته ورتبته حتى يقلل عند سيره خطر إثارة الشك كمحارب عادي.

كان البحث عن تارا الهيليومية في متاهة حُفر أوتار المعتمة الواسعة يبدو للجاثولي سعيًا يائسًا، مصيره الفشل. ربما من الحكمة أن يبحث في شوارع ماناتور، حيث يأمل أن يعرف أولًا ما إذا كانوا أمسكوا بها، وإذا لم يكن الأمر كذلك، يمكنه العودة إلى الحُفر ومواصلة البحث عنها. وللعثور على طريق الخروج من المتاهة، كان مضطرًا أن يسير مسافة كبيرة عبر الممرات والغرف المتعرجة؛ فلم تكن لديه فكرة عن موقع أو اتجاه أي مخرج. لم يتمكن، في واقع الأمر، من اقتفاء أثر خطواته لحوالي مائة ياردة نحو موقع دخوله مع تارا إلى هذه المغارات القاتمة، وبالتالي تحرك على أمل أن يجد تارا مصادفة أو يجد طريقه إلى مستوى الشارع أعلاه.

ظل لفترة يجتاز غرفة بعد غرفة تمتلئ بموتى ماناتور المحفوظين بدهاء. كان الكثير منهم يتكدسون في صفوف على طريقة الحطب المجموع. وعند انتقاله عبر الممرات والغرف، لاحظ رسومًا هيروغليفية على الجدران فوق كل فتحة وعند كل مفترق طرق أو عبور للممرات، إلى أن استنتج أنها تشير إلى أسماء الممرات، بحيث يتمكن من يفهمها من السير بسرعة وثقة عبر الحُفر، لكن توران لا يفهمها. وحتى لو كان بمقدوره قراءة لغة ماناتور، فلن تساعد شخصًا لا يعرف المدينة. لكنه لم يستطع قراءتها على الإطلاق، فعلى الرغم من وجود لغة منطوقة واحدة في برسوم، هناك العديد من اللغات المكتوبة التي تختلف بقدر اختلاف الأمم. على أن شيئًا واحدًا سرعان ما أصبح واضحًا له: ظلت الرسوم الهيروغليفية لأحد الممرات كما هي حتى انتهاء الممر.

لم يمض وقت طويل قبل أن يدرك توران من المسافة التي قطعها أن الحُفر هي جزء من شبكة واسعة تلف، ربما، المدينة بأكملها. لقد أصبح مقتنعًا، على الأقل، أنه خارج حدود القصر. يختلف مظهر ومعمار الممرات من وقت لآخر، وكانت مضاءة جميعًا، وإن كانت عادة إضاءة خافتة تمامًا بمصابيح الراديوم. استمر لفترة طويلة دون أن يرى أي علامة على الحياة باستثناء أولسيو مصادفة، ثم وجد نفسه فجأة وجهًا لوجه مع محارب عند أحد المعابر العديدة. نظر إليه المحارب، وأومأ له، ثم مضى. تنفس توران الصعداء، حيث أدرك أن تنكره فعالًا. وعندما وصل إلى منتصف الممر، نادى عليه محارب آخر، توقف وتوجه نحوه. كان البانثان سعيدًا لأن السيف معلق إلى جانبه، كما أسعده أنهما داخل

تجاويف الحُفر المعتمة، وليس أمامه سوى خصم واحد: فالوقت ثمين.

سأله المحارب: «هل سمعت أي شيء عن الآخر؟».

«كلا»، أجاب توران الذي لم تكن لديه أي فكرة عن الشخص الذي يعنيه المحارب.

واصل المحارب: «لا يمكنه الهرب. لقد ركضت المرأة نحونا مباشرة، لكنها أقسمت أنها لا تعرف أين يمكن العثور على زميلها».

«هل أخذوها إلى أوتار؟»، سأله توران، لأنه عرف الآن ما يعنيه المحارب، وأراد أن يعرف المزيد.

أجاب المحارب: «لقد أعادوها إلى أبراج جيتان. سوف تبدأ المباريات غدًا، ومما لا شك فيه أنهم سيلعبون للفوز بها، على أنني أشك أن هناك من يريدها، رغم جمالها. فهي لا تخشى حتى من أوتار. إنها كالقمر كلوروس! ولكن يصعب إخضاعها كأَمَة، فهي مثل البانث. ليست لي». ثم واصل طريقه وهو يهز رأسه.

أسرع توران في البحث عن طريق يقوده إلى مستوى الشارع أعلاه، ووصل فجاء إلى مدخل مفتوح لغرفة صغيرة يجلس فيها رجل مقيد بالسلاسل إلى الجدار. أصدر توران صوتًا خفيضًا ينم عن دهشته وسروره عندما تعرف على الرجل السجين، إنه أكور، وقد وجده مصادفة في نفس الزنزانة التي كان محبوسًا معه فيها. نظر إليه أكور متسائلًا؛ فمن الواضح أنه لم يتعرف على زميله السجين السابق. سار توران بجوار الطاولة، ومال مقتربًا من أكور وهمس في أذنه.

قال: أنا البانتان توران، الذي كان مقيدًا بالسلاسل إلى جانبك».

نظر إليه أكور عن كثب، ثم قال: «لن يتعرف عليك أحد أبدًا، حتى والدتك نفسها! ولكن قل لي، ماذا حدث منذ أن أخذوك؟».

روى توران خبراته في قاعة عرش أوتار وفي الحُفر أسفلها، وتابع قائلًا: «والآن، يجب أن أجد أبراج جيتان هذه، وأرى ما يمكن القيام به لإطلاق سراح أميرة هيليوم».

هز أكور رأسه، قائلًا: «شغلت منصب دوار الأبراج لفترة طويلة، ويمكن أن أقول لك، أيها الغريب، إن بإمكانك أيضًا محاولة إخضاع ماناتور، بمفردك، بمثل إنقاذ سجين من أبراج جيتان».

أجاب توران: «لكني يجب أن أنقذها».

سأله أكور: «هل أنت أفضل من مجرد مبارز جيد؟».

أجاب توران: «نعم، أنا محسوب كذلك».

قال أكور: «إذن هناك طريقة - هسس!»، صمت فجأة، مشيرًا نحو قاعدة الجدار في نهاية الغرفة.

نظر توران في الاتجاه الذي أشارت إليه سبابة أكور، ورأى مخلبين كبيرين وعينين جاحظتين يخرجان من فتحة جحر الأولسيو.

صاح: «جيك!»، وعلى الفور زحف الكلديني البشع على الأرض واقترب من الطاولة. تراجع أكور إلى الوراء، وهو يُطلق صيحة نصف مخنوقة من النفور. لكن توران قال له مؤكِدًا: «لا تخف، إنه صديقي الذي أخبرتك أنه سيطر على أوتار لأتمكن من الهرب مع تارا».

تسلق جيك إلى أعلى الطاولة، وجلس القرفصاء بينهما، ثم خاطب أكور: «عليك أن تثق في افتراضك أن براعة توران البانتان في فن المبارزة ليس لها نظير في ماناتور كلها. لقد سمعت حديثكما، واصل كلامك».

واصل أكور: «أنت صديقه، وبالتالي يمكنني أن أشرح بأمان في وجودكما الخطة الوحيدة التي أعرف أنه يستطيع بمقتضاها أن يأمل في إنقاذ أميرة هيليوم. سوف يراهنون عليها في إحدى المباريات، ويرغب أوتار أن يفوز بها أحد العبيد أو المحاربين العاديين لأنها صدته، وهكذا يعاقبها. لن يفوز بها رجل واحد، وإنما كل من ينجو على الجانب المنتصر. على أنه يمكن بالمال شراء الآخرين قبل المباراة. هذا ما تستطيع أن تفعله، وإذا نجوت وفاز الجانب الذي تنتمي إليه، فإنها ستصبح عبدتك».

سأله توران: «ولكن كيف يمكن لغريب وهارب مطارَد أن يحقق ذلك؟».

أجاب أكور: «لن يتعرف عليك أحد. سوف تذهب غدًا إلى حارس الأبراج وتشترك في المباراة التي يدور رهانها على الفتاة، قل للحارس أنك من ماناتاج، وهي أبعد مدينة عن ماناتور. وإذا سألك، قل إنك رأيتها عندما أحضروها إلى المدينة بعد أسرها. وإذا فزت بها، سوف تجد حيوانات ثوات في قصري، وسوف أعطيك رمزًا يصبح بمقتضاه كل ما أملك تحت تصرفك».

سأله توران: «ولكن كيف يمكنني شراء الآخرين في المباراة من دون المال؟ ليس لدي أي مال، ولا حتى عُملة بلدي».

فتح أكور كيس في جيبه وأخرج حزمة من المال من عُملة ماناتور.

وقال: «هذا يكفي لشرائهم مرتين»، وأعطى جزءًا من المال إلى توران.

سأله البانتان: «ولكن، لماذا تفعل ذلك مع شخص غريب؟».

أجاب أكور: «كانت والدتي أميرة أسيرة هنا، وأنا أفعل لأميرة هيليوم ما كانت أمي لترغب أن أفعله».

قال توران: «إذن في ظل هذه الظروف، أيها الماناتوري، لا أستطيع إلا أن أقبل كرمك باسم تارا الهيليومية، وأعيش على أمل أن أرد لك صنيعك في يوم ما».

نصحه أكور: «يجب أن تذهب الآن، فقد يأتي الحارس في أي لحظة ويكتشف وجودك هنا. عليك أن تتوجه مباشرة إلى طريق البوابات الذي يلتف حول المدينة داخل الجدار الخارجي. وسوف تجد هناك العديد من الأماكن المخصصة لسكن الغرباء. سوف تعرف تلك الأماكن من رؤوس الثوات المنحوتة فوق الأبواب. قل إنك أتيت من ماناتاج لمشاهدة المباريات. وقل إن اسمك يوكال، فهذا الاسم لن يثير أي شبهة، كما أنك لن تثير الشبهات إذا أمكنك تجنب المحادثة. توجه في الصباح الباكر إلى حارس أبراج جيتان. ولتصحبك قوة وثروة جميع أسلافك!».

بعد وداع جيك وأكور، اتبع البانتان إرشادات أكور وأخذ يشق طريقه إلى طريق البوابات، ولم يواجه أي صعوبة كبيرة. التقى في طريقه

بالعديد من المحاربين، الذين لم يعيروه أي اهتمام أكثر من إيماءة. عثر بسهولة على مكان للإقامة، حيث وجد العديد من الغرباء القادمين من مدن ماناتور الأخرى. ونظرًا لأنه لم ينم منذ الليلة الماضية، فقد ألقى بنفسه بين الحرير والفراء على الأريكة ليحصل على الراحة التي يحتاجها لتقديم أفضل ما يمكنه لصالح تارا الهيليومية في اليوم التالي.

استيقظ في الصباح وقام لسداد تكلفة إقامته، ثم وجد مكانًا لتناول الطعام، وبعد فترة قصيرة كان يتخذ طريقه نحو أبراج جيتان التي لم يجد أي صعوبة في العثور عليها بسبب الحشود الكبيرة التي تسير على طول الطرق تجاه المباريات. كان حارس الأبراج الجديد، الذي خلف إيميد، شديد الانشغال بفحص اللاعبين عن كثب؛ إذ بالإضافة إلى العديد من اللاعبين المتطوعين، هناك العشرات من العبيد والسجناء الذين أجبرهم أسيادهم أو أجبرتهم الحكومة على المشاركة في المباريات. يجب تسجيل اسم كل شخص، فضلًا عن الدور الذي سيلعبه والمباراة أو المباريات التي سيشارك فيها، ثم هناك بدائل لكل من سيشارك في أكثر من مباراة – بديل واحد لكل مباراة إضافية يشارك فيها الشخص، بحيث لا تتأخر مباراة تالية عند وفاة لاعب أو إصابته بأي عجز يعوق استمراره.

«ما اسمك؟»، سأل الكاتب توران وهو يقدم نفسه.

أجاب البانثان: «يوكال».

«ومدينتك؟».

«مانتاج».

نظر الحارس، الذي كان يقف بجوار الكاتب، إلى توران وقال: «لقد سافرت مسافة طويلة لتشارك في الجيتان. يندر أن يحضر رجال ماناتاج مباريات أخرى غير المباريات التي تُعقد كل عشر سنوات. أخبرني عن أوزار! هل سيحضر السنة المقبلة؟ آه، لكنه كان مقاتلًا نبيلًا. إذا كنت نصف مبارز، يا يوكال، فإن شهرة ماناتاج سوف تزداد اليوم. ولكن قل لي، ماذا عن أوزار؟».

أجاب توران دون تكلف: «إنه على ما يرام، ويبعث بتحياته إلى أصدقائه في ماناتور».

صاح الحارس: «جيد! والآن، في أي لعبة سوف تشترك؟».

أجاب توران: «سوف أشترك في المباراة على أميرة هيليوم».

صاح الحارس: «لكن رهان المباراة عليها يا رجل سيكون بين العبيد والمجرمين. لن تتطوع في مثل هذه المباراة!».

أجاب توران: «سوف أتطوع. فقد رأيتها عند إحضارها إلى المدينة، وقد أخذت عهدًا على نفسي حينذاك بامتلاكها».

اعترض الحارس: «ولكن، سيكون عليك تقاسمها مع باقي الناجين، حتى إذا فاز فريقك».

قال توران بإصرار: «هؤلاء يمكن الاتفاق معهم».

واصل الحارس شارحًا: «وقد تجلب على نفسك غضب أوتار، الذي لا يحب هذه المرأة البربرية المتوحشة».

قال توران: «إذن إذا فزت، سيتخلص منها أوتار».

هز حارس أبراج جيتان رأسه وقال: «أنت متهور. كنت لأُثني صديقي أوزار عن مثل هذا الجنون».

سأله توران: «هل يمكنك القيام بخدمة لصديق أوزار؟».

صاح الحارس: «بكل سرور! ماذا يمكنني أن أقدم له؟».

أجاب البانتان: «اجعلني قائد الفريق الأسود، واجعل جميع لاعبي قِطعي من عبيد جاثول، لأنني فهمت أنهم محاربين ممتازين».

قال الحارس: «إنه طلب غريب، لكنني مستعد للقيام حتى بأكثر من ذلك لصديقي أوزار، على الرغم أنه، بطبيعة الحال»، قال مترددًا، «قد جرى العُرف أن يدفع من سيكون قائدًا مبلغًا بسيطًا».

أسرع توران مؤكدًا: «بالطبع، أنا لم أنسَ ذلك، وكنت على وشك أن أسألك عن المبلغ المتعارف عليه».

أجاب الحارس: «لصديق صديقي سيكون المبلغ رمزيًّا»، ثم حدد رقمًا اعتبره جاهان ضئيلًا جدًّا؛ إذ اعتاد جاهان وهو جاثولي ثري على الأسعار المرتفعة.

قال جاهان وهو يعطي المبلغ للحارس: «أخبرني، متى يحين موعد المباراة على الفتاة الهليومية».

أجاب الحارس: «إنه الثاني في ترتيب مباريات اليوم. وإذا أتيت معي الآن، يمكنك اختيار قطع لاعبيك».

تبع توران الحارس إلى ساحة كبيرة تقع بين الأبراج وساحة جيتان، حيث تم تجميع مئات المحاربين. كان قادة مباريات اليوم ينتقون

بالفعل قطعهم ويحددون مناصبهم، على الرغم من أن هذه الأمور قد جرى ترتيبها للمباريات الرئيسة منذ أسابيع. قاد الحارس توران إلى جزء من الفناء حيث يتجمع أغلب العبيد.

قال الحارس: «يمكنك الاختيار من بين هؤلاء، وعندما تكتمل حصتك، خذهم إلى الساحة. وهناك، سيتولى ضابط تحديد مكانك، حيث ستبقى مع قطعك إلى أن يتم استدعاء المباراة الثانية. أتمنى لك حظًّا سعيدًا، يا يوكال، على أنني مما سمعت، سيكون حظك في الخسارة أكثر منه في الفوز بالأَمَة الهيليومية».

غادر الحارس، ثم اقترب توران من العبيد وأعلن: «أريد أفضل المبارزين للمباراة الثانية. أود رجالًا من جاثول؛ لأنني سمعت أنهم مقاتلين نبلاء».

نهض عبد واقترب منه قائلًا: «لا يهم في أي مباراة نموت. سوف أقاتل لصالحك كبانتان في المباراة الثانية».

جاء عبد آخر وقال: «أنا لست من جاثول، أنا من هيليوم. وسوف أقاتل لشرف أميرة هيليوم».

صاح توران: «جيدا هل أنت مبارز ذو سمعة في هيليوم؟».

«كنت دوارًا تحت قيادة أمير الحرب العظيم، وقد حاربت إلى جانبه في عشرات المعارك، من المنحدرات الذهبية «إلى كهوف كاريون. اسمي فال دور، ومن يعرف هيليوم يعرف براعتي».

كان جاهان يعرف هذا الاسم جيدًا، حيث سمعهم يتحدثون عنه

في زيارته الأخيرة إلى هيليوم، وعن اختفائه الغامض، فضلًا عن شهرته كمقاتل.

سأله توران: «كيف يمكنني أن أعرف أي شيء عن هيليوم؟ ولكن إذا كنت مقاتلًا بارعًا كما تقول، فلن يناسبك موقع أفضل من الطيار. ماذا قولك؟».

ظهر في أعين الرجل اندهاش مفاجئ، وتطلع باهتمام نحو توران، وعيناه تتفحصان عتاده بسرعة، ثم خطا بالقرب من توران بحيث لا يسمع أحد كلماته.

وهمس قائلًا: «أعتقد أنك قد تعرف عن هيليوم أكثر مما تعرف عن ماناتور».

سأله توران: «ماذا تعني يا زميل؟»، في محاولة للتفكير في مصدر معرفة أو تخمين هذا الرجل.

أجاب فال دور: «أنا أعني أنك لست من ماناتور، وإذا كنت ترغب في إخفاء هذه الحقيقة فلا تتحدث مع أي ماناتوري بنفس الطريقة التي تحدثت بها معي وتقول طيار! فلا توجد طائرات في ماناتور ولا تحمل أي قطعة في لعبتهم الجيتان هذا الاسم. إنهم بالأحرى يطلقون اسم أودوار على من يقف إلى جانب القائد أو الأميرة. ولقطعة الأودوار نفس تحركات وقوى قطعة الطيار في اللعبة خارج ماناتور. عليك أن تتذكر ذلك، وتتذكر أيضًا إذا كان لديك سر فإنه آمن مع فال دور الهيليومي».

لم يرد توران، بل واصل مهمة تحديد القطع الباقية. ساعده كثيرًا

قال دور الهيليومي، وفلوران المتطوع من جاثول، حيث كان كلاهما يعرف معظم العبيد الذي عليه اختيارهم. بعد الانتهاء من اختيار جميع القطع، قادهم توران إلى مكان بجوار الملعب انتظارًا لدورهم، وهنا مرر كلمة أنهم سيقاتلون من أجل حصة أكبر مما عرضها عليهم مقابل الأميرة في حال فوزهم. كان الرجال قد قبلوا الحصة المعروضة، بحيث كان توران متأكدًا من امتلاك تارا إذا انتصر فريقه، لكنه كان يعلم أن هؤلاء الرجال سيقاتلون ببسالة من أجل الشهامة أكثر حتى من أجل المال، ولم يكن يصعب حتى كسب اهتمام الجاثوليين لصالح الأميرة. وعرض الآن إمكانية مكافأة أخرى.

وأوضح: «لا أستطيع أن أعدكم، لكني سمعت أننا إذا فزنا اليوم بالمباراة فمن الممكن أن نكسب حتى حريتكم!»

هبوا واقفين، واحتشدوا حوله ولديهم العديد من الأسئلة.

قال لهم: «لا يمكنني التحدث بصوت عال، لكن فلوران وقال دور أكدا لي أن بإمكاني الثقة بكم جميعًا. اسمعوا! ما سأقوله لكم يضع حياتي بين أيديكم، لكنكم يجب أن تعرفوا أن كل رجل عليه أن يدرك أنه يخوض اليوم أعظم معارك حياته، معركة من أجل شرف وحرية أروع أميرة في برسوم، وأيضًا حريته هو نفسه من أجل الحصول على فرصة العودة إلى بلده وإلى المرأة التي تنتظره هناك».

«أولًا، إذن، هذا هو سري: أنا لست من ماناتور. أنا عبد مثلكم لكني متنكر الآن في زي ماناتوري من ماناتاج. ويجب عدم الكشف عن بلدي وهويتي لأسباب لا تتعلق بمباراة اليوم. أنا واحد منكم، إذن،

وأقاتل لنفس الأشياء التي ستقاتلون من أجلها».

«كما أنني قد عرفت الآن أن يوثور، جِد ماناتوس الأكبر، تشاجر مع أوتار في القصر قبل يوم أمس، وتقاتل محاربيهما. وقد دفعوا يوثور بعيدًا، إلى بوابة الأعداء، حيث أقام معسكره هناك. وقد تتجدد المعركة في أي لحظة، وهناك اعتقاد أن يوثور أرسل إلى ماناتوس طلبًا لتعزيزات. والآن يا رجال جاثول، أقول لكم الشيء الذي يهمكم. تزوج يوثور مؤخرًا الأميرة هاجا من جاثول، التي كانت أَمَة لأوتار وكان ابنها أكور دوار أبراج جيتان. يمتلئ قلب هاجا بالولاء لجاثول والتعاطف مع أبنائها الذين استعبدوهم هنا، وقد نقلت هذا الشعور إلى حد ما إلى يوثور. ولذلك فإنني أطلب مساعدتكم لتحرير تارا أميرة هيليوم، وأعتقد أن بإمكاني مساعدتكم ومساعدتها ومساعدة نفسي للهرب من المدينة. قربوا آذانكم يا عبيد أوتار حتى لا يسمع أي عدو قاسٍ كلماتي»، وهمس جاهان الجاثولي -بنبرة منخفضة- بالخطة الجريئة التي وضعها. وعندما انتهى، قال: «والآن، ليتكلم من لا يجرؤ على المشاركة». لم يرد أحد. «ألا يوجد أي شخص؟».

قال أحدهم بصوت خفيض يحمل شعورًا بالكبت: «لن أخونك إذا ألقيت سيفي تحت أقدامك، وقد حدث ذلك من قبل».

«وأنا!»، «وأنا!»، «وأنا!» ... قال الآخرون في همسات نابضة بالحياة.

الفصل (١٧)

مباراة حتى الموت

رن صوت البوق واضحًا ونقيًّا عبر ملاعب جيتان، انطلق صوته الهادئ من برج عالٍ وطاف عبر مدينة ماناتور، مرتفعًا أعلى من صخب المنافسات البشرية التي ترتفع من الكتلة المزدحمة التي تملأ مقاعد الاستاد أدناه. دعا البوق اللاعبين إلى المباراة الأولى، ورفرفت في الوقت نفسه، عالية من ألف عامل على البرج والدرابزين والسور العظيم للاستاد، الرايات الفخمة المبهجة لقادة ماناتور المقاتلين. هكذا تميز افتتاح مباريات الجيداك، التي تُعتبر أهم مباريات السنة والثانية في الأهمية بعد المباريات الكبرى التي تُعقد كل عشر سنوات.

شاهد جاهان الجاثولي كل لعبة بعين نسر. لم تكن المباراة مهمة؛ إذ دارت لمجرد تسوية بعض المنازعات الصغيرة بين اثنين من القادة، وجرت بلاعبي جيتان محترفين لتسجيل نقاط فقط. لم يُقتل أحد، وسال مجرد قدر ضئيل من الدماء. استمرت المباراة حوالي ساعة، وأنهاها قائد الجانب الخاسر عمدًا ليتيح لنفسه نقاطًا إضافية بحيث تُعتبر النتيجة تعادلًا.

رن صوت البوق ثانية، ليُعلن هذه المرة عن المباراة الثانية والأخيرة لفترة ما بعد الظهر. وعلى الرغم من أنها لم تكن مباراة مهمة -حيث تجري المباريات المهمة في اليومين الرابع والخامس- فقد كانت تحمل قدرًا من الإثارة لأنها مباراة حتى الموت. يكمن الفارق الأساسي بين المباراة التي يخوضها رجال أحياء وتلك التي تستخدم قطعًا غير حية في أن نقل قطعة غير حية إلى مربع تحتله قطعة الخصم ينهي هذه الخطوة، أما في الحالة الأولى، يجب أن تشتبك القطعتان في مبارزة للفوز بالمربع. ولذلك، لا يقتصر الأمر في هذه الحالة على تحديد استراتيجية لجيتان، وإنما يتطلب أيضًا براعة وشجاعة كل قطعة منفردة، بحيث تمثل معرفة القائد بكل لاعب، ليس فقط من رجاله وإنما على الجانب الآخر أيضًا، قيمة هائلة.

وفي هذا الصدد كان وضع جاهان عسيرًا، على الرغم من أن ولاء لاعبي فريقه فعل الكثير لتعويض جهله باللاعبين الآخرين، فقد ساعدوه في ترتيب الرقعة على أفضل وجه وأخبروه صراحة بأخطاء وميزات كل منهم. قاتل أحدهم أفضل في لعبة خاسرة؛ وكان آخر بطيئًا للغاية، وهذا كان شديد التهور، وذاك كان متحمسًا وقلبه من حديد لكنه يفتقر إلى القدرة على التحمل. على أن معرفتهم بالخصوم كانت محدودة أو لا شيء. والآن، بعد أن اتخذ الجانبان أماكنهم على المربعات السوداء والبرتقالية لرقعة الجيتان الكبرى، تمكن جاهان للمرة الأولى من النظر عن كثب إلى خصومه. لم يدخل قائد اللون البرتقالي إلى الملعب بعد، لكن جميع رجاله كانوا في أماكنهم. نظر فال دور إلى جاهان وقال:

«جميعهم من المجرمين القادمين من حُفر ماناتور، وليس بينهم أي عبيد. ليس علينا قتال زميل واحد مواطن، وكل حياة سننهيها، ستكون حياة لعدو».

أجاب جاهان: «هذا جيد، لكن أين قائدهم، وأين الأميرتين؟».

«سيأتون الآن، أترى؟»، وأشار عبر الملعب، حيث يمكن رؤية امرأتين تقتربان تحت حراسة.

وعندما اقتربتا، تأكد جاهان من أن تارا الهيليومية إحداهما، لكنه لم يتعرف على الأخرى. أوصلاهما إلى الملعب، في المنتصف بين الجانبين، حيث انتظرتا حتى وصل قائد الفريق البرتقالي.

على أن فلوران أطلق صيحة اندهاش عندما تعرّف عليه، وقال: «باسم سلفي الأول، إنه أحد كبار قادتهم، لقد قيل لنا إن العبيد والمجرمين هم من سيلعبون هذه المباراة».

قطع صوت حارس الأبراج كلماته، فلم تقتصر مهمة الحارس على الإعلان عن المباريات والرهانات، وإنما كان الحَكم أيضًا.

«والآن، المباراة الثانية في اليوم الأول من مباريات الجيداك في السنة الثالثة والثلاثين بعد المائة الرابعة لأوتار، جيداك ماناتور. الرهان الوحيد هو الأميرة في كل جانب، وسوف تنتمي الأميرتان إلى الناجين في الجانب المنتصر ليفعلا بهما ما يرونه مناسبًا. أميرة الفريق البرتقالي هي الأَمَة لانو الجاثولية، وأميرة الفريق الأسود الأَمَة تارا، أميرة هيليوم. قائد الفريق الأسود هو اللاعب المتطوع يوكال من ماناتاج، وقائد

الفريق البرتقالي هو لاعب متطوع أيضًا وهو الدوار يودور من الأوتان الثامن لجيداك ماناتور. ستجري المنافسة على المربعات حتى الموت. قوانين ماناتور عادلة! لقد أنهيت حديثي».

فاز يودور بالخطوة الأولى، وبعدها اصطحب القائدين أميرتيهما إلى المربع الخاص بكل منهما. إنها المرة الأولى التي ينفرد فيها جاهان بتارا، منذ جلبِها إلى الملعب. شاهدها تنظر نحوه عن كثب بتمحيص وهو يقترب منها ليقودها إلى مكانها، وتساءل عما إذا كانت قد تعرفت عليه؛ لكنها إذا كانت قد فعلت، فلم توضح أي علامة على ذلك. لم يستطع إلا أن يتذكر آخر كلماتها: «أنا أكرهك!»، ونبذُها له عندما حبسه إيجوس المُحنِط في غرفة تحت القصر، ولذا لم يسع إلى تعريفها بهويته. كان ينوي القتال من أجلها، والموت من أجلها إذا لزم الأمر، ولو لم يمت، كان مستعدًّا للقتال حتى النهاية للفوز بحبها. لم يكن من السهل تثبيط همة جاهان الجاثولي، لكنه كان مضطرًّا للاعتراف بأن فرصته في الفوز بحب تارا الهيليومية بعيدة. فقد صدته مرتين: مرة كجِد لجاثول، ومرة كالبانتان توران. كانت سلامتها تأتي قبل حبه لها، ويجب تنحية حبها إلى الخلفية إلى أن يحقق سلامتها.

مر كلاهما بين اللاعبين الموجودين بالفعل في مواقعهم، ثم اتخذ كل منهما موقعه على مربعه. كان جاهان الجاثولي، قائد الفريق الأسود، على يسار تارا، وأمامها مباشرة بانتان الأميرة، فلوران الجاثولي؛ وعلى يمينها أودار الأميرة، فال دور الهيليومي. يعرف كل منهم دوره في المباراة، سواء عند الفوز أو الخسارة، كما كان حال كل لاعب آخر في

الفريق الأسود. عندما اتخذت تارا موقعها، انحنى أمامها فال دور قائلًا: «سيفي عند قدميك، تارا الهيليومية».

التفتت تارا ونظرت نحوه، وتعبيرات وجهها تنم عن الدهشة والتشكك، ثم صاحت: «فال دور، الدوار! فال دور من هيليوم، الكابتن، أحد رجال والدي الذين يثق بهم! هل تقول عيني الحقيقة؟».

أجاب المحارب: «أنا فال دور، يا أميرة، وأموت هنا من أجلك إن اقتضى الأمر، كما هو حال كل لاعب في الفريق الأسود على ملعب جيتان هذا اليوم. أتعرفين يا أميرة»، همس قائلًا، «لا يوجد في فريقنا أي رجل من ماناتور، لكن كل فرد فيه عدو لماناتور».

ألقت نظرة خاطفة ذات معنى نحو جاهان، وهمست: «لكن ماذا عنه؟»، ثم التقطت أنفاسها بسرعة من المفاجأة. صاحت: «ظل الجيداك الأول! لم أتعرف عليه بسبب تنكره».

سألها فال دور: «وهل تثقين فيه؟ أنا لا أعرفه، لكنه تحدث تمامًا كمحارب شريف، ووثقنا في كلماته».

أجابت تارا: «أنت لم تُخطئ. أنا أثق فيه بحياتي، بروحي، ويمكنك أيضًا أن تثق فيه».

كان جاهان الجاثولي ليسعد في الواقع إذا سمع هذه الكلمات، لكن المصير، الذي يقسو عادة على الحبيب في مثل هذه الأمور، قضى بغير ذلك، ثم بدأت المباراة.

نقل يودور أودوار أميرته ثلاثة مربعات مائلة إلى اليمين، مما وضع

القطعة على المربع السابع لأودوار القائد الأسود. كانت النقلة تدل على نية لعبة يودور -لعبة الدم، وليس العِلم- كما تدل على احتقاره لخصومه.

نقل جاهان البانتان أودواره لمربع واحد إلى الأمام، وهو تحرك عِلمي، مما فتح طريقًا لنفسه خلال خط لاعبي البانتان لديه، فضلًا عن الإعلان إلى اللاعبين والمتفرجين أنه ينوي المشاركة في القتال بنفسه، حتى قبل أن تفرض عليه ضرورات اللعبة ذلك. أثارت هذه الخطوة موجة تصفيق من أقسام المقاعد المحجوزة للمحاربين العاديين ونسائهم، مما يدل على أن يودور لم يكن يتمتع بشعبية كبيرة بينهم، كما أثرت أيضًا على الروح المعنوية لِقِطع جاهان. يجوز للقائد، وغالبًا ما يفعل، أن يلعب المباراة كاملة تقريبًا دون أن يغادر مربعه؛ إذ بإمكانه وهو يمتطي حيوانه الثوات أن يشرف على الملعب بأكمله ويوجه كل تحرك، كما لا يمكن لومه باعتباره يفتقر إلى الشجاعة إذا اختار أن يلعب المباراة على هذا النحو، حيث تنص القواعد على أنه إذا قُتِل أو أصيب بجراح شديدة تجبره على الانسحاب، فإن نتيجة المباراة التي كان يمكنه الفوز بها بمهارته وبراعة رجاله، تصبح تعادلًا. ولذلك، تدل الدعوة إلى القتال الشخصي على الثقة في مهارته في المبارزة وشجاعته الكبيرة، وهما سمتان تملآن لاعبي الفريق الأسود بالأمل والشجاعة عندما يبرهن عليهما قائدهم في بداية المباراة.

تمثلت خطوة يودور التالية في وضع أودوار لانو على مربع أودوار تارا الرابع - على مسافة من أميرة الفريق الأسود لافتة للنظر.

خطوة أخرى ويخسر جاهان المباراة، إلا إذا أُطيح بالأودوار البرتقالي أو انتقلت تارا إلى مكان آمن، لكن تحريك الأميرة الآن يعني اعترافه بتفوق الفريق البرتقالي. لم يكن يستطيع، في المربعات الثلاثة المسموحة له، أن يضع نفسه مباشرة فوق المربع الذي يشغله أودوار أميرة يودور. هناك لاعب واحد فقط على الجانب الأسود يمكنه قتال الخصم للفوز بالمربع، وهو أودوار القائد، الذي يقف على يسار جاهان. استدار جاهان وهو فوق حيوانه الثوات، ونظر إلى الرجل. كان زميلًا رائع المظهر، يتألق في أغطية أودوار فاخرة، والريشات الخمس الرائعة التي تدل على موقعه ترتفع في تحد من شعره الأسود الكثيف. كان يعرف، هو وكل لاعب في الملعب وكل متفرج في المدرجات المزدحمة، ما يدور في عقل قائده. لم يجرؤ على التحدث لأن أخلاقيات اللعبة تحظر ذلك، لكن ما لم تقله شفتيه عبّرت عنه عينيه بحماسة عسكرية، وببلاغة: «شرف الفريق الأسود وسلامة أميرتنا آمنين معي!».

لم يتردد جاهان طويلًا، وأصدر أمره: «أودوار القائد إلى المربع الرابع لأودوار الأميرة!». كانت الخطوة الشجاعة لقائد حمل القفاز الذي ألقاه خصمه.

انطلق المحارب إلى الأمام، وقفز إلى المربع الذي تشغله قطعة يودور. كان أول مربع يجري عليه القتال في المباراة. ثبتت أعين اللاعبين على المتسابقين، وانحنى المتفرجون إلى الأمام في مقاعدهم بعد أول تصفيق لتحية هذه الخطوة وساد الصمت بين هذا التجمع الهائل. في حالة هزيمة اللاعب الأسود، بإمكان يودور تحريك قطعته المنتصرة

إلى المربع الذي تشغله تارا الهيليومية وتنتهي اللعبة – تنتهي في أربع خطوات وينهزم جاهان الجاثولي. أما هزيمة اللاعب البرتقالي، فهي تعني أن يودور ضحى بأحد أهم لاعبيه، وفقد أكثر مما منحته الخطوة الأولى من ميزة.

بدا الرجلان متماثلين تمامًا جسديًا ويقاتل كل منهما من أجل حياته. على أن الواضح من البداية أن الأودوار الأسود كان مبارزًا أفضل، فضلًا عن أن جاهان كان يعرف أن لمبارزه ربما ميزة أكبر تتفوق على خصمه. فلم يكن الخصم يقاتل إلا للفوز بحياته، دون حافز الشهامة أو الولاء، أما الأودوار الأسود فكان هذان الحافزان يعززانه، هذا إلى جانب ما همس به جاهان في آذان لاعبيه قبل المباراة، وبالتالي كان محاربه يقاتل من أجل ما هو أكثر من حياة لرجل شريف.

لقد كانت مبارزة أصابت مشاهديها بصمت السحر. لمع السيفان المتحركان في ضوء الشمس الباهر، مع رنين هجمات الدفاع والهجوم. وأضفى عتاد المبارزين البربري ألوانًا رائعة على مشهد القتال الوحشي. كان الأودوار البرتقالي، الذي أُجبر على اتخاذ موقف دفاعي، يقاتل بجنون من أجل حياته؛ إذ أجبره الأسود، بكفاءة ممتازة ورهيبة، على التوجه باطراد، خطوة بخطوة، إلى ركن المربع – وهو وضع لا يمكن الفكاك منه. خروجه من المربع يعني أنه خسره لخصمه، وفاز لنفسه بموت خسيس وفوري أمام الجماهير الساخرة. دفعه يأسه الواضح من محنته إلى الانطلاق في هجوم غاضب مفاجئ أجبر المحارب الأسود على التراجع ستة خطوات، ثم وجه طعنة بسيفه أراقت أولى الدماء من

كتف منافسه الذي لا يرحم. ارتفعت صرخة تشجيع مخنوقة من رجال يودور. تشجع الأودوار البرتقالي من نجاحه الوحيد، وسعى إلى هزيمة الأسود بهجوم سريع. سادت لحظة تحرك خلالها السيفان بسرعة ليس بمقدور العين البشرية أن تتابعها، ثم قام الأودوار الأسود بحركة دفاعية صاعقة موجهًا طعنة شرسة، ثم انحنى بسرعة إلى الأمام نحو الجرح الذي أحدثه، وطعن بسيفه قلب الأودوار البرتقالي - غرسه إلى مقبضه في جسم الأودوار البرتقالي.

انطلقت صيحة من المدرجات؛ إذ بغض النظر عمن كان يفضله المتفرجون، لم يكن هناك من يستطيع القول إنها لم تكن معركة بارعة، أو أن الرجل الأفضل لم يفُز. وتنفس لاعبو الفريق الأسود الصعداء، بعد أن خفت حدة توتر اللحظات الأخيرة.

لن أرهقكم بتفاصيل اللعبة، فلا يهم سوى ملامحها الحاسمة، الضرورية لفهم نتيجتها. أدت هذه الخطوة الرابعة، بعد فوز الأودوار الأسود، إلى وجود جاهان على المربع الرابع ليودور؛ ويقف بانتان برتقالي على المربع المجاور قطريًّا على يمينه، وهو اللاعب المنافس الوحيد الذي يمكن أن يشتبك معه عدا يودور نفسه.

كان من الواضح لكل من اللاعبين والمتفرجين، من الخطوتين الأخيرتين، أن جاهان يتحرك مباشرة خلال الملعب نحو منطقة الخصم التماسًا لقتال شخصي مع القائد البرتقالي - وأنه كان يراهن على إيمانه بتفوقه في مهارات المبارزة، فإذا اشتبك القائدان، تقرر نتيجة قتالهما الفائز في المباراة. يمكن أن يخطو يودور ويشتبك مع جاهان، أو ينقل

بانتان أميرته إلى المربع الذي يشغله جاهان على أمل أن يقتل البانتان القائد الأسود وبالتالي تصبح النتيجة تعادلًا، وهي النتيجة في حال أن قام أي محارب آخر غير القائد بقتل قائد الفريق المنافس، أو يمكنه أن يخطو بعيدًا ويتجنب مؤقتًا ضرورة القتال الشخصي، أو أن هذا على الأقل ما كان يدور في ذهنه كما بدا بداهة لجميع من شاهدوه وهو يتفحص الرقعة بدقة حوله. على أن خيبة أمله كانت واضحة عندما اكتشف أخيرًا أن جاهان قد وضع نفسه في موقع يغلق أمام يودور إمكانية الانتقال إلى أي مربع خارج نطاق قدرة جاهان للوصول إليه في خطوته التالية.

وضع يودور أميرته على مسافة أربعة مربعات شرقي جاهان، عندما تعرض موقعها للتهديد، وكان يأمل في إغراء القائد الأسود أن يسعى نحوها مبتعدًا عن يودور، إلا أنه فشل في ذلك. اكتشف الآن أن بإمكانه وضع أودواره في قتال شخصي مع جاهان، لكنه سبق أن فقد أودوارًا وقد لا يتمكن من الاحتفاظ بالثاني. كان موقفه حساسًا، لأنه لا يرغب في الاشتباك مع جاهان شخصيًا، في حين كانت احتمالات تجنب ذلك تبدو ضئيلة. لم يكن أمامه سوى أمل واحد، وهو بانتان الأميرة. بالتالي، ودون مزيد من التفكير، أصدر أمره إلى تلك القطعة بالانتقال إلى المربع الذي يشغله القائد الأسود.

اتجه تعاطف المتفرجين الآن نحو جاهان كلية. فإذا خسر، سيُعلن عن انتهاء المباراة بالتعادل، ونظرتهم إلى التعادل في المباريات في برسوم ليست أفضل من نظرة رجال كوكب الأرض. إذا فاز، سيعني

ذلك دون شك مبارزة بين القائدين، وهو التطور الذي يأملونه جميعًا. كانت المباراة تبدو قصيرة، وسوف يشعر الجمهور بالغضب إذا تقررت نتيجتها بالتعادل في ظل مقتل رجلين فقط. تضم السجلات مباريات عظيمة وتاريخية، حيث بدأت بأربعين قطعة في الملعب، ولم ينج منها في النهاية سوى ثلاثة فقط - الأميرتين والقائد المنتصر.

لقد ألقوا باللوم على يودور، على الرغم من أنه كان يتصرف في الواقع في إطار حقه في توجيه لعبته على النحو الذي يراه مناسبًا، كما أن رفضه للاشتباك مع القائد الأسود لم يكن بالضرورة علامة على الجُبن. كان قائدًا عظيمًا لديه تصور عن امتلاك الأَمَة تارا. ما من شرف سوف يجنيه من الاشتباك في قتال مع العبيد والمجرمين، أو مع محارب غير معروف من ماناتاج، كما لم يكن الرهان يتسم بأهمية كافية لتبرير المخاطر.

بدأت المبارزة الآن بين جاهان والبانثان البرتقالي، وأصبح قرار الخطوة التالية في أيديهما فقط. إنها المرة الأولى التي يشهد فيها الماناتوريون جاهان الجاثولي المقاتل، لكن تارا الهيليومية تعرف مدى مهارته في المبارزة. لو تمكن من رؤية ضوء الفخر في عينيها وهو يبارز المحارب البرتقالي، لكان تساءل بسهولة عما إذا كانت هي نفس الأعين التي ومضت بنيران الكراهية تجاهه عندما غطى شفتيها بقبلات مجنونة خلال وجودهما معًا في حُفر قصر أوتار. لم تستطع وهي تشاهده إلا أن تقارن مبارزته بمبارزة أعظم مبارز في عالمين -والدها، جون كارتر من فيرجينيا؛ وأمير هيليوم وأمير الحرب في برسوم- وتعرف أن مهارة

القائد الأسود أقل قليلًا بالمقارنة.

كانت المبارزة التي قررت حيازة المربع الرابع للقائد البرتقالي قصيرة وحاسمة. أعد المتفرجون أنفسهم لمعركة مثيرة للاهتمام، على الأقل لفترة متوسطة، لكنهم وقفوا ثابتين تقريبًا من جراء ذلك الوميض المتألق لسرعة المبارزة التي انتهت قبل أن يتمكن أحدهم من التقاط أنفاسه. شاهدوا القائد الأسود يتراجع بسرعة، وسيفه على الأرض، بينما يحاول خصمه التعلق بصدره وسيفه ينزلق من يده، ثم يسقط على ركبتيه ويندفع إلى الأمام على وجهه.

تحولت عينا جاهان الجاثولي بعد ذلك نحو يودور الماناتوري مباشرة، على مسافة ثلاثة مربعات. المربعات الثلاثة هي حركة القائد- ثلاثة مربعات في أي اتجاه أو مزيج من الاتجاهات، شريطة ألا يعبر المربع نفسه مرتين في حركة بعينها. رأى الناس وتوقعوا نية جاهان. نهضوا وصاحوا مُعلنين موافقتهم عليها، وهو ينتقل عمدًا عبر المربعات المتداخلة تجاه القائد البرتقالي.

جلس أوتار في المقصورة الملكية مُقطبًا وهو ينظر إلى المشهد، غاضبًا. كان غاضبًا من يودور لأنه دخل هذه اللعبة للفوز بالأَمَة التي كان يرغب ألا يفوز بها سوى العبيد والمجرمين. وكان غاضبًا من المحارب القادم من ماناتاج لأنه تفوق في استراتيجيته وقتاله على رجال ماناتور. وكان غاضبًا من الجمهور لعدائهم الصريح تجاه الشخص الذي ينعم بتأييده منذ سنوات طوال. لم يستمتع الجيداك بالمباراة التي جرت بعد ظهر اليوم. ظهر التجهم نفسه على المحيطين به، فقد أغضبهم أيضًا

الملعب، واللاعبين، والناس. كان بينهم رجلًا عجوزًا منحنيًا ومليء بالتجاعيد، يحدق بأعينه الضعيفة الهزيلة في الملعب واللاعبين.

عندما دخل جاهان إلى المربع، قفز يودور نحوه بالسيف غاضبًا، كغضب من تغلب على مبارز أقل مهارة وقوة. استمرت المعركة سريعة ومحتدة لمدة دقيقة، وقلصت بالمقارنة أهمية كل ما حدث من قبل. ففي واقع الأمر، كانت معركة تدور بين اثنين من أمهر المبارزين، معركة تُبشر بالتعويض عما شعر به الناس من خداع نتيجة لِقصر مدة المباراة. على أنها لم تستمر طويلًا قبل أن يتنبأ العديدون أنهم يشهدون مبارزة ستصبح تاريخية في حوليات الجيثان في ماناتور. فقد استخدم الرجلان كل خدعة وكل حيلة معروفة في فن المبارزة. أحرز كل منهما نقطة، مرارًا وتكرارًا، وأراق دماء بشرة خصمه النحاسية إلى أن أصبحت حمراء بلون الدم، لكن كليهما لم يتمكن من إحراز الضربة القاضية.

شاهدت تارا الهيليومية، من موقعها على الجانب الآخر من الملعب، معركة طويلة. بدا لها دائمًا أن القائد الأسود يقاتل من موقف دفاعي، أو عندما يكون بمقدوره دفع خصمه، فإنه يهمل آلاف الفتحات التي تلمحها عينها المتمرسة. لم يبدُ أبدًا في خطر حقيقي، كما لم يظهر أبدًا أنه يبذل الجهد الضروري لتحقيق النصر. لقد استمرت المبارزة لفترة طويلة، وكان اليوم يقترب من نهايته. الآن، ونظرًا لرقة هواء برسوم، يمكن أن يحدث الانتقال المفاجئ من ضوء النهار إلى الظلام، دون المرور بالغسق التحذيري الذي يشهده كوكب الأرض. ألن ينتهي

القتال أبدًا؟ هل ستُعتبر نتيجة المباراة تعادلًا بعد كل هذا؟ ما الذي يزعج القائد الأسود؟

تمنت تارا أن تجيب على الأقل على آخر سؤال؛ لأنها كانت متأكدة من أن البانتان توران، كما تعرفه، لم يكن يقاتل بكل قوته، رغم أنه كان يقاتل ببراعة. لا تستطيع تصديق أن الخوف يقيد يده، لكنها واثقة أن هناك شيئًا غير عدم قدرته على دفع يودور بشراسة أكبر. على أنها لم تستطع تخمين هذا الشيء.

رأت جاهان ينظر نظرة سريعة نحو الشمس التي تغرب. سيحل الظلام خلال ثلاثين دقيقة. ثم رأت، ورأى الجميع، تحولًا غريبًا يتسلل إلى مبارزة القائد الأسود. كأنما كان يلعب مع الدوار الكبير، يودور، كل هذه الساعات، ولا يزال يلعب معه حتى الآن ولكن هناك اختلافًا. لعب معه بشكل رهيب، كما تلعب آكلات اللحم بضحيتها في اللحظة التي تسبق القتل. أصبح القائد البرتقالي عاجزًا الآن في أيدي المبارز المتفوق بما لا يدع مجالًا للمقارنة، وفغر الناس أفواههم في ذهول ورعب وهم يشاهدون جاهان الجاثولي يُقطع خصمه إلى شرائط، ثم يسدد له ضربة تشقه حتى الذقن.

سوف تغيب الشمس خلال عشرين دقيقة. ولكن ما هذا؟



الفصل (١٨)

مهمة من أجل الولاء

استمر التصفيق الذي ارتفع فوق ملعب جيتان في ماناتور لمدة طويلة وبصوت عال، عندما استدعى حارس الأبراج الأميرتين والقائد المنتصر إلى وسط الملعب وقدم له ثمار بسالته. بعد ذلك، ووفقًا للأعراف، قام اللاعبون المنتصرون، بقيادة جاهان والأميرتين، بتشكيل موكب خلف حارس الأبراج الذي اقتادهم إلى موقع النصر أمام المنصة الملكية لتلقي ثناء الجيداك. نزل المحاربون الذين يركبون الثوات من على حيواناتهم وأعطوها للعبيد، حيث يجب أن يواصل الجميع سيرًا على الأقدام خلال المراسم. تقع أسفل المقصورة الملكية مباشرة بوابات أحد الأنفاق، التي تمر تحت المقاعد، للدخول إلى الملعب أو الخروج منه. توقفت المجموعة أمام هذه البوابات، بينما نظر إليهم أوتار من أعلى. سار فال دور وفلوران بهدوء أمام الآخرين وتوجها مباشرة إلى البوابات، للاختباء ممن يشغلون المقصورة مع أوتار. ربما لاحظهما حارس الأبراج، لكنه لم يهتم بهما نظرًا لانشغاله الشديد بالطقوس الرسمية المتعلقة بتقديم القائد المنتصر إلى الجيداك.

أعلن بصوت عالٍ كي يسمعه أكبر عدد ممكن: «أحضرت لك يا أوتار، جيداك ماناتور، يوكال من ماناتاج، الذي انتصر على الفريق البرتقالي في ثاني مباريات الجيداك للسنة الثالثة والثلاثين بعد المائة الرابعة لأوتار؛ فضلًا عن الأَمَة تارا والأَمَة لانو، اللتين يمكن أن تُنعِم بهما على يوكال».

خلال حديثه، كان هناك رجل عجوز ضئيل الحجم وكثير التجاعيد يحدق ببصره من فوق درابزين المقصورة نحو الثلاثة الذين يقفون خلف الحارس مباشرة، وأجهد عينيه الضعيفة الهزيلة في محاولة لإرضاء فضوله كعجوز في مسألة ليست ذات أهمية خاصة، فما أهمية العبدتين والمحارب من ماناتاج لأي من يجلس مع الجيداك أوتار؟

قال أوتار: «يوكال من ماناتاج، أنت تستحق الرهان. نادرًا ما تشاهد مثل هذه المبارزة النبيلة. وإذا شعرت بالسأم من ماناتاج، لديك دائمًا هنا في مدينة ماناتور مكانًا بين حرس الجيداك».

بينما كان الجيداك يتحدث، أخفق تماما العجوز ضئيل الحجم في التعرف على ملامح القائد الأسود؛ فمد يده إلى جيب حقيبته وأخرج نظارة ذات عدسات سميكة، ووضعها على أنفه. استمر للحظة يحدق في جاهان عن كثب، ثم نهض على قدميه لمخاطبة أوتار وهو يشير بإصبعه المرتعش نحو جاهان. وعندما وقف، تشبثت تارا الهيليومية بذراع القائد الأسود.

وقالت هامسة: «توران! إنه إيجوس، الذي تصورت أنه قُتِل في حُفر أوتار. إنه إيجوس، وقد تعرّف عليك، وسوف ...».

على أن ما يمكن أن يفعله إيجوس، قد بدأ يحدث بالفعل. صاح بصوته الجهوري الغريب: «إنه العبد توران الذي سرق المرأة تارا من قاعة العرش، يا أوتار. لقد دنس القائد الميت إيمال، ويرتدي عتاده الآن!».

ساد الهرج على الفور. وسحب المحاربون سيوفهم وهبوا واقفين. هرع لاعبو جاهان المنتصرين إلى الأمام كتلة واحدة، مكتسحين حارس الأبراج من قدميه. فتح فال دور وفلوران البوابات أسفل المنصة الملكية، فاتحين طريق النفق الذي يؤدي إلى شارع في المدينة وراء الأبراج. سحب جاهان، محاطًا برجاله، تارا ولانو إلى ممر، ووصلوا بوتيرة سريعة إلى الطرف الآخر من النفق قبل أن يعترض أحد هروبهم. وقد نجحوا. وعندما ظهروا في المدينة، كانت الشمس قد غربت وحل الظلام. لم يسعفهم سوى نظام إضاءة عتيق وغير فعال، يبعث بوهج شاحب إلى الشوارع الغامضة.

والآن فقط خمنت تارا أسباب إطالة القائد الأسود مبارزته مع يودور، وأدركت أنه كان بمقدوره أن يقتل خصمه في أي لحظة يختارها. الخطة بأكملها التي همس بها جاهان للاعبيه قبل المباراة كانت مفهومة تمامًا. كان عليهم أن يشقوا طريقهم إلى بوابة الأعداء، وهناك يعرضون خدماتهم على يوثور، جد ماناتوس الأكبر. كانت حقيقة أن معظمهم من الجاثوليين وأن بإمكان جاهان قيادة الرجال إلى الحفرة المحبوس فيها أكور ابن زوجة يوثور لإنقاذه، قد أقنعت جِد جاثول أن يوثور لن يرفضهم. ولكن حتى إذا رفضهم، فهم سيكافحون معًا نحو الحرية،

وإذا لزم الأمر سيشقون طريقهم عبر قوات يوثور على بوابة الأعداء – عشرون رجلًا ضد جيش صغير، هؤلاء هم محاربي برسوم.

قطعوا مسافة كبيرة على طول طريق شبه مهجور قبل أن تظهر علامات المطاردة. وفجأة هجم عليهم من الخلف عشرات المحاربين الممتطين لحيوانات الثوات؛ كتيبة يبدو واضحًا أنها من حرس الجيداك. وعلى الفور ساد هرج ومرج: سيوف متشابكة، ولعنات بين المحاربين، وأنين الثوات. أُريقت دماء الحياة لدى الجانبين في أول هجمة. سقط اثنان من رجال جاهان، وعلى جانب الأعداء، شهد ثلاثة من الثوات دون راكبين جزءًا على الأقل من الإصابات.

اشتبك جاهان مع زميل يبدو أنهم اختاروه خصيصًا له، لأنه مضى على ثواته مباشرة نحوه، ساعيًا إلى قتله دون إعطاء أدنى اهتمام للعديدين الذين كانوا يطعنونه خلال مروره عبرهم. كان الجاثولي متمرسًا في فن قتال المحاربين الراكبين وهو واقف على الأرض، ولذا سعى إلى الوصول إلى الجانب الأيسر من ثوات المحارب بالقرب من مؤخرة الراكب، وهو الموقع الوحيد الذي يمكن أن يحقق له ميزة على خصمه، أو هو بالأحرى الموقع الذي سيقلص إلى حد كبير ميزة الرجال الراكبين؛ وبالمثل، سعى الماناتوريون إلى إحباط خطته. وبالتالي، استدار الحارس وأدار حيوانه الشرير الغاضب، بينما يقفز جاهان إلى الداخل والخارج في محاولة للوصول إلى موقع الأفضلية المرغوب، مع سعيه الدائم نحو الثغرات الأخرى في دفاع خصمه.

وبينما تدور الاشتباكات، يسرع محارب بينهم متجاوزًا جاهان، الذي يسمع بعدها صيحة مذعورة.

تناهى إلى سمعه صوت تارا تقول: «لقد أمسكوني يا توران!».

شاهد بلمحة سريعة عبر كتفه محاربًا فوق الثوات يركض ساحبًا تارا نحو حيوانه. قفز جاهان الجاثولي بغضب شيطاني على المحارب الراكب أمامه وأسقطه من فوق الثوات وهو يفصل رأسه عن جسمه بضربة واحدة من سيفه البتار. وما إن كاد جسمه يلمس رصيف الشارع، حتى امتطى الجاثولي ظهر ركوبة المحارب الميت وأسرع راكضًا وراء تارا وخاطفها. خفتت أصوات القتال وهو يبتعد على طول الطريق الذي يمر بقصر أوتار ويقود إلى بوابة الأعداء.

تمكنت ركوبة جاهان، التي تحمل رجلًا واحدًا، من اللحاق بالمحارب الماناتوري؛ بحيث كان جاهان خلفه بحوالي مائة ياردة عند اقترابهم من القصر. شعر الآن بقلق شديد وهو يرى المحارب يستدير نحو طريق المدخل الكبير، حيث لم يوقفه الحراس لأكثر من لحظة ثم اختفى في الداخل. وصل جاهان على الفور، وإنما يبدو أن المحارب قد حذر الحراس، لأنهم قفزوا لاعتراض دخول الجاثولي. ولكن كلا! فالمحارب لم يعرف أن جاهان يطارده لأنه لم يشهده وهو يستولي على الثوات، كما لا يمكنه أن يتصور أن المطاردة ستكون بهذه السرعة. إذا كان المحارب قد عبر البوابة، إذن يمكنه أن يعبرها هو أيضًا؛ ألا يرتدي أغطية محارب ماناتوري؟ فكر الجاثولي بسرعة، وأوقف ركوبته، ثم طلب من الحراس السماح له بالدخول، «باسم أوتار!». ترددوا للحظة.

صاح جاهان: «تنحوا جانبًا! أيجب أن يتفاوض رسول الجيداك من أجل حقه في إيصال رسالته؟».

سأله بادوار الحرس: «لمن ستوصلها؟».

صاح جاهان: «ألم ترَ من دخل الآن توًّا؟»، وحث ثواته دون انتظار لرد على المضي مباشرة إلى القصر. وبينما يتداول الحراس بشأن أفضل ما يمكنهم القيام به، كان أوان القيام بأي شيء قد فات - وهو أمر ليس غير عادي.

وجه جاهان ثواته على طول الممرات الرخامية. ونظرًا لسيره في هذا الطريق من قبل، وليس لأنه يعرف الطريق الذي ساروا بتارا خلاله، تابع جاهان سيره عبر المدرجات وخلال الغرف التي تؤدي إلى قاعة عرش أوتار. التقى بعبد عند المستوى الثاني.

وسأله: «ما الطريق الذي اتخذه الرجل الذي حمل المرأة أمامه؟»

أشار العبد نحو مدرج قريب يقود إلى المستوى الثالث، وأسرع جاهان نحوه. في اللحظة نفسها، وصل رجل على ثواته بوتيرة غاضبة، واقترب من القصر وأوقف ركوبته عند البوابة.

وصاح في الحرس: «أرأيتم أي محارب يسعى خلف رجل يحمل امرأة أمامه على الثوات؟».

أجاب البادوار: «لقد دخل الآن، قائلًا إنه رسول أوتار».

صاح الوافد الجديد: «لقد كذب. إنه توران، العبد، الذي سرق المرأة من قاعة العرش منذ يومين. أيقظوا القصر! يجب القبض عليه، حيًّا إن أمكن. هذا أمر أوتار».

خرج المحاربون على الفور للبحث عن الجاثولي وتحذير نزلاء القصر بأن يحذو حذوهم. كان عدد الخدم في المبنى الكبير ضئيلًا نسبيًا بسبب المباريات، لكنهم هرعوا على الفور للبحث بحيث أصبح الآن خمسين محاربًا على الأقل يبحثون خلال عدد لا يحصى من غرف قصر أوتار وممراته.

عندما وصل الثوات بجاهان إلى المستوى الثالث، لمح الرجل مأوى خلفي لثوات آخر يختفي عند منعطف أحد الممرات على بُعد. حث حيوانه إلى الأمام بسرعة، إلا أنه لم يجد سوى ممر فارغ. أسرع على طول هذا الممر واكتشف قرب نهايته البعيدة مدرجًا يقود إلى المستوى الرابع، فاتخذه وصعد. هنا وجد أنه لحق بطريدته، الذي كان يستدير نحو مدخل على بُعد خمسين ياردة. عندما وصل جاهان إلى الفتحة، كان المحارب قد نزل من فوق ركوبته وأخذ يسحب تارا في اتجاه باب صغير على الجانب الآخر من الغرفة. وفي اللحظة نفسها، تسببت قعقعة العتاد خلفه في أن يلقي نظرة خاطفة وراءه نحو على الممر الذي اجتازه، فشاهد ثلاثة محاربين يسرعون مقتربين سيرًا على الأقدام. قفز جاهان من فوق ثواته، وانطلق نحو الغرفة حيث كانت تارا تكافح لتحرير نفسها من قبضة آسرها. أغلق الباب وراءه، واضعًا الترباس الكبير في مكانه، ثم امتشق سيفه وعبر الغرفة بسرعة ليشتبك مع الماناتوري. أدرك الماناتوري تهديد جاهان، فطلب منه بصوت عال أن يتوقف، في الوقت نفسه، دفع تارا بطول ذراعه مع تهديد قلبها بسن سيفه القصير.

وقال: «توقف! أو تموت المرأة ولا تقع بين يديك مرة أخرى، فهذه هي أوامر أوتار».

توقف جاهان، تفصله عدة أقدام قليلة عن تارا وآسرها، ومع ذلك كان عاجزًا عن مساعدتها. تراجع المحارب ببطء تجاه المدخل المفتوح وراءه، ساحبًا تارا معه. ناضلت الفتاة وكافحت، لكن المحارب كان رجلًا قويًا وأمسك بعتادها من الخلف ولذا تمكن من إبقاءها في موقف عاجز.

صرخت: «انقذني، توران! لا تسمح لهم بأخذي لمصير أسوأ من الموت. أن أموت الآن وعيني تلمح صديقًا شجاعًا، أفضل من أن أموت لاحقًا وأنا أكافح وحدي بين الأعداء دفاعًا عن شرفي».

اقترب جاهان خطوة، فقام المحارب بتقريب سيفه مهددًا من بشرة الأميرة الناعمة اللينة. توقف جاهان.

وصاح: «لا أستطيع، تارا الهيليومية. لا تظنين بي السوء لأني ضعيف، ولا أستطيع أن أراكِ تموتين. حبي لك عظيم، يا ابنة هيليوم».

تراجع الماناتوري تدريجيًا، وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة. كاد أن يصل إلى المدخل عندما شاهد جاهان محاربًا آخر في الغرفة التي تؤخذ إليها تارا – إنه رجل يتحرك بصمت، يتسلل تقريبًا، عبر الأرضية الرخامية وهو يقترب من الخلف من آسر تارا. كان يمسك بيده اليمنى سيفًا طويلًا.

«اثنان في مقابل واحد»، هكذا فكر جاهان، ومست ابتسامة قاتمة

شفتيه، فلم يكن لديه شك أنهما ما إن يضعا تارا بأمان في الغرفة المجاورة حتى ينقضان عليه. إذا لم يتمكن من إنقاذها، يمكنه على الأقل أن يموت من أجلها.

وفجأة ثبتت أعين جاهان بدهشة على المحارب الذي يقف خلف الزميل المبتسم الزميل الذي حمل تارا وأجبرها على الدخول. شاهد الوافد الجديد يخطو بالقرب من ذراع الآخر، ثم شاهده يتوقف، وعلى ملامحه تعبير ينم عن كراهية غاضبة. ورأى السيف العظيم يتأرجح على شكل قوس دائرة كبيرة، ويكتسب زخمًا سريعًا وهائلًا من ثقله تدعمه قوة صلابة العضلات التي توجهه، وشاهده يخترق جمجمة الماناتوري المزينة بالريش، ويقسم ابتسامته الساخرة نصفين، ويشق جسمه وصولًا إلى منتصف عظام صدره.

وعندما خفت قبضة يد القتيل على رسغ تارا، قفزت الفتاة إلى الأمام، دون نظرة إلى الوراء، إلى ناحية جاهان. أحاطها بذراعه الأيسر، ولم تسحبها، وانتظر الجاثولي قرار المصير بسيفه جاهزًا. كان المحارب الذي أنقذ تارا يقف أمامهما وهو يمسح الدم من سيفه على شعر ضحيته. كان من الواضح أنه ماناتوري، يرتدي أغطية حرس الجيداك، ولذا لم يكن سلوكه مُفسّرًا عند جاهان وتارا. أغمد سيفه الآن واقترب منهما.

قال وهو ينظر مباشرة نحو أعين جاهان: «عندما يختار رجل إخفاء هويته وراء اسم مستعار، فإن أي صديق يكشف الخدعة لا يكون صديقًا إذا أفشى سره».

صمت كأنما ينتظر ردًّا.

أجاب جاهان: «لقد اتضحت نزاهتك، ونطقت شفتاك بحقيقة غير قابلة للتغيير»، وكان التعجب يملأ ذهنه عما إذا كان التلميح صحيحًا، أي أن هذا المانانوري قد خمن هويته.

واصل الآخر قائلًا: «اتفقنا إذن، وأقول لكما إن اسمي الحقيقي هو تاسور، على الرغم من أنني معروف هنا باسم أسور». صمت مؤقتًا ونظر إلى وجه جاهان بإمعان ليرى أي علامة على أثر ما قاله، وكوفئ سريعًا بتعبير عن الامتنان وإن كان بحرص.

تاسور! صديق شبابه. ابن الجاثولي العظيم النبيل الذي قدم حياته على نحو مجيد، وإن كان عبثًا، في محاولة للدفاع عن والد جاهان من خناجر القتلة. تاسور، نائب بادوار في حرس أوتار، جيداك مانانور! شيء يصعب تصديقه، لكنه هو، ما من شك في ذلك. كرر جاهان بصوت مرتفع: «تاسور. لكنه ليس اسمًا لمانانوري». كانت العبارة شبه استفهامية، حيث أثار الموقف فضول جاهان. يود أن يعرف كيف أصبح صديقه وابن بلده الوفي مانانوريًا. انقضت سنوات طوال منذ اختفاء تاسور في ظروف غامضة، كما حدث للأميرة هاجا والعديد غيرها من رعايا جاهان. وقد اعتبره جِد جاثول، منذ فترة طويلة، ميتًا.

أجاب تاسور: «لا، ليس اسمًا مانانوريًا. هيا بنا. سأبحث لكما عن مكان اختباء في غرفة منسيّة في أحد الأجزاء الشاغرة من القصر، وأحكي لكما بإيجاز خلال سيرنا كيف أصبح تاسور الجاثولي أسور المانانوري».

«لقد حدث أن ركبت مع عشرات من المحاربين على طول

الحدود الغربية لجاثول بحثًا عن حيوانات الزيتيدار التي شردت بعيدًا عن قطعاني، ثم أحاطت بنا مجموعة كبيرة من الماناتوريين. وقد تغلبوا علينا، ولكن ليس قبل قتل نصف محاربينا وعجز الباقين نتيجة لإصاباتهم. وبالتالي أخذوني سجينًا إلى ماناتاج، وهي مدينة تبعد عن ماناتور، حيث عرضوني للبيع كعبد. اشترتني امرأة – أميرة ماناتاج، التي كانت ثروتها ومكانتها لا مثيل لها في مدينة ولادتها. لقد أحبتني، وعندما اكتشف زوجها افتتانها توسلت لي أن أقتله، ولما رفضت، استأجرت آخر للقيام بذلك. تزوجتني بعد ذلك، لكنهم في ماناتاج اشتبهوا في معرفتها بمن اغتال زوجها. ولذا غادرنا ماناتاج متجهين إلى ماناتوس برفقة قافلة كبيرة تحمل جميع متاعها المادي ومجوهراتها ومعادنها الثمينة، وأطلقت خلال الطريق شائعة انتشرت حول وفاتها ووفاتي. وصلنا إلى ماناتور بدلًا من ماناتوس، واختارت لنفسها اسمًا جديدًا، واختارت لي اسم أسور، حتى لا يقتفي أثرنا أحد عن طريق أسمائنا. وتمكنت بما لديها من ثروة هائلة أن تشتري لي وظيفة في حرس الجيداك، ولا يعرف أحد أنني لست ماناتوريًّا، لأنها ماتت. لقد كانت جميلة، وإنما شيطانة».

سأله جاهان: «ألم تسع أبدًا للعودة إلى مدينتك الأصلية؟».

أجاب تاسور: «لم يغب قط هذا الأمل عن قلبي، أو يخلُ ذهني من خطة. أحلم بذلك ليلًا ونهارًا، لكني أصل دومًا إلى النتيجة نفسها – لا توجد إلا وسيلة واحدة للهرب. يجب أن أنتظر حتى يتيح لي الحظ مكانًا في جولة إغارة على جاثول. وما إن أكون داخل حدود بلدي، لن يروني ثانية».

قال جاهان: «ربما لديك فرصة بالفعل في متناول يدك الآن، إن لم يكن ولائك لجِد بلدك قد قوضته سنوات الزمالة مع رجال ماناتور».

كان العبارة بمثابة تحدٍّ.

صاح تاسور: «لو جِد بلدي يقف أمامي الآن، ويمكنني أن أعلن ذلك دون انتهاك سره، سوف أضع سيفي عند قدميه وأتسول شرف الموت من أجله كما مات والدي من أجل والده».

ليس هناك شك في إخلاصه، ولا في معرفته بهوية جاهان. ابتسم جِد جاثول، وقال بطريقة ذات معنى: «لو كان جِد بلدك هنا، ما من شك أنه كان ليأمرك أن تكرس مواهبك وبراعتك لإنقاذ تارا، أميرة هيليوم. ولو امتلك المعرفة التي اكتسبتها خلال أسري، كان ليقول لك 'اذهب يا تاسور إلى الحفرة المحبوس فيها أكور، ابن هاجا الجاثولية، وأطلق سراحه، ثم قم معه بإثارة العبيد الجاثوليين وسيروا إلى بوابة الأعداء واعرضوا خدماتكم على يوثور المانتاجي، الذي تزوج من هاجا الجاثولية، واطلب منه في المقابل أن يهاجم قصر أوتار وينقذ تارا الهيليومية، وعند إنجاز ذلك، عليه تحرير عبيد جاثول وإمدادهم بالأسلحة والوسائل اللازمة للعودة إلى بلدهم'. هذا، يا تاسور الجاثولي، ما كان ليطلبه منك جاهان جِد بلدك».

أجاب تاسور: «وهذا، أيها العبد توران، ما سوف أبذل كل جهد لإنجازه، بعد أن وجدت ملاذًا آمنًا لتارا الهيليومية واليانتان».

حملت لمحة جاهان إشارة إلى تاسور بامتنان جِد بلده، وملأته إصرارًا شهمًا على إنجاز المطلوب منه، أو الموت؛ لأنه اعتبر أنه

تلقى من شفتي حاكمه الحبيب تكليفًا وضع على عاتقه مسؤولية لم تشمل حياة جاهان وتارا فحسب، وإنما ربما أيضًا رفاه جائول كلها في المستقبل. وبالتالي أسرع خلال ممرات القصر القديم العفنة، حيث انتشرت الأتربة عبر العصور على البلاط الرخامي. حاول تكرارًا فتح عدة أبواب، إلى أن وجد بابًا غير موصد. فتحه، وأشار لهما بالدخول إلى غرفة، مملوءة بالتراب. كانت قطع الحرير والفراء البالية تزين الجدران، فضلًا عن أسلحة قديمة، ولوحات كبيرة ضعفت ألوانها بشكل مذهل نتيجة لِقِدمها.

قال: «هذا مكان جيد. لا أحد يأتي هنا. لم آت أبدًا هنا من قبل، ولذا لا أعرف أي شيء عن الغرف الأخرى، لكني على الأقل أستطيع أن أجدكما مرة أخرى عندما أحضر لكما الطعام والشراب. لقد كان أوماي يشغل هذا الجزء من القصر خلال فترة حكمه، خمسة آلاف سنة قبل أوتار. وقد وجدوه ميتًا في إحدى هذه الشقق، ووجهه ملتوي في تعبير ينم عن خوف فظيع، إلى حد إصابة من عثروا عليه بالجنون، ومع ذلك لم تظهر عليه أي علامة على العنف. ومنذ ذلك الحين، يتجنب الجميع مسكن أوماي، حيث سادت أساطير أن أشباح الكورفال تتبع روح الجيداك الشرير ليلًا خلال هذه الغرف وهم يصرخون ويئنون»، ثم أضاف كأنما يطمئن نفسه، فضلًا عن أصحابه: «لكن مثل هذه الأشياء لا تقبلها ثقافة جائول أو هيليوم».

ضحك جاهان، وقال: «وإذا كان كل من شاهده قد أصابه الجنون، من إذن الذي تولى أداء الشعائر الأخيرة أو إعداد جسم الجيداك لأداء الشعائر؟».

أجاب تاسور: «لا أحد. تركوه حيث وجدوه. وإلى يومنا هذا، لا تزال عظامه البالية تختبئ في إحدى الغرف المنسيّة بهذا الجناح المحظور».

تركهم تاسور وطمأنهم أنه سيقتنص أول فرصة للتحدث مع أكور. كما سيجلب لهما في اليوم التالي الطعام والشراب[٤٥].

بعد أن غادر تاسور، اقتربت تارا نحو جاهان ووضعت يدها على ذراعه، وقالت: «مرت الأحداث بسرعة منذ أن تعرفت عليك وأنت متنكر، ولم تُتح لي أي فرصة لأؤكد لك امتناني وعظيم تقديري لبسالتك. واسمح لي الآن الاعتراف بأنني أدين لك، وإذا كانت وعود من تتعرض حياته وحريته لخطر الشديد ليست عقيمة، فأرجو أن تقبل تأكيدي بأن مكافأة عظيمة تنتظرك على يد والدي في هيليوم».

أجاب: «لا أرغب في أي مكافأة غير سعادة معرفتي أن المرأة التي أحبها سعيدة».

استشاطت أعين تارا الهيليومية للحظة، وهبت واقفة بغطرسة، ثم هدأت وخففت موقفها وهي تهز رأسها بحزن.

وقالت: «لا يريد قلبي توبيخك، يا توران، لكن خطأك كبير. لقد كنت صديقًا شريفًا ومخلصًا لتارا الهيليومية، لكنك يجب ألا تقول ما يجب ألا تسمعه أذناي».

---

(٤٥) يتذكر كل من قرأ وصف جون كارتر للمريخيين الخُضر في قصة «أميرة المريخ»، أن بإمكان هؤلاء الناس الغرباء العيش لفترات زمنية طويلة دون طعام أو ماء؛ وهو ما يصدق بدرجة أقل على جميع المريخيين.

سألها: «تعني أن أذني أميرة يجب ألا تسمع كلمات حب من بانتان؟».

أجابت: «لا أعني ذلك، توران، بل أعني بالأحرى أنني لا أملك شرف الاستماع إلى كلمات الحب من شخص آخر غير خطيبي، وهو من بلدي، إنه دجور كانتوس».

صاح: «تقصدين، تارا الهيليومية، إنه لم يكن لهذا السبب، لكنتِ....».

أمرته: «توقف! لا يحق لك أن تفترض أي شيء آخر غير ما نطقت به شفتاي».

أجاب: «الأعين عادة أكثر بلاغة من الشفاه، تارا، وقرأت في عينيك أنك لا تحملين أي كراهية أو ازدراء للبانتان توران، ويخبرني قلبي أن شفتيك لم يصدُقا عندما صرخا بغضب: 'أنا أكرهك!'».

قالت الفتاة ببساطة: «أنا لا أكرهك، توران، ومع ذلك لا يمكنني أن أحبك».

قال: «عندما شققت طريقي خارج غرفة إيجوس، كنت في الواقع على وشك الاعتقاد أنك تكرهينني؛ فقد بدا لي أن لا شيء سوى الكراهية هو ما يمكن أن يفسر ذهابك دون بذل جهد لتحريري، لكن قلبي وعقلي الآن يخبراني أن تارا الهيليومية لم تكن لتترك رفيق في محنة. وعلى الرغم من جهلي بالحقائق حتى الآن، أعرف أنه لم يكن في استطاعتك مساعدتي».

قالت الفتاة: «هذا صحيح. فما إن سقط إيجوس بطعنة من خنجري، سمعت المحاربين يقتربون. جريت لأختبئ إلى أن يبتعدوا، وفي ذهني أن أعود لتحريرك. لكني خلال محاولة السعي للإفلات من المحاربين الذين سمعت أصوات اقترابهم، وجدت نفسي أقع بين ذراعي مجموعة أخرى من المحاربين. سألوني عن مكان وجودك، وأبلغتهم أنك كنت تتحرك أمامي وأنا أتبعك، وبالتالي أبعدتهم عنك».

كان تعليق جاهان الوحيد: «كنت أعرف ذلك»، كما امتلأ قلبه بالسرور والسعادة وهو يسمع من شفتي حبيبته اعتراف بالاهتمام والولاء، مهما كان مشوبًا بمسحة قليلة من المراعاة الدافئة. أن تُسيء إليك حبيبة قلبك، أفضل من أن تتجاهلك.

خلال حديثهما في الغرفة سيئة الإضاءة، حيث المصابيح الخافتة مغطاة بالتراب المتراكم لعدة قرون، كان شخص محنٍ وذابل يتحرك ببطء عبر الأروقة القاتمة في الخارج، وتحدق عيناه الضعيفتان الهزيلتان من خلال عدسات سميكة في علامات المرور المدونة على الأرضية المتربة.



الفصل (١٩)

تهديد من الميت

كان الليل في بدايته عندما جاء شخص إلى مدخل قاعة الاحتفالات، حيث يتناول أوتار الماناتووري العشاء مع القادة، ودخل متجاوزًا الحراس إلى القاعة الكبيرة بغطرسة شخص متميز، وكان في الحقيقة متميزًا. وعندما اقترب من رأس لوح الطاولة الطويل، انتبه أوتار إلى وجوده.

وصاح: «حسنًا، أيها العجوز! ماذا أخرجك اليوم ثانية من جُحرك الحبيب النتن. تصورنا أن مشهد العديد من الرجال الأحياء في المباريات سيدفعك إلى العودة لجثتك بأسرع ما يمكن».

أقرت ضحكة إيجوس المجلجلة الملاحظة الملكية. صاح العجوز: «إيبه، إيبه، يا أوتار، لا يخرج إيجوس من أجل المتعة، ولكن عندما يُدنس أحد بلا رحمة موتى إيجوس، يجدر الانتقام!».

سأله أوتار: «هل تشير إلى ما فعله العبد توران؟».

أجاب: «توران، نعم، والأَمَة تارا التي طعنتني بنصل قاتل. لو امتد لأقل من شِبر آخر يا أوتار، لكان العجوز إيجوس الذي تغطيه التجاعيد يرقد الآن بين أيدي بعض المتدربين لدبغ جلده، إيبه، إيبه».

«لكنهما هربا ثانية»، صاح أوتار. «هربا مرتين، حتى في قصر الجيداك العظيم، من الأوغاد الأغبياء الذين أسميهم حرس الجيداك». نهض أوتار غاضبًا وهو يشدد على كلماته بضربات قوية على الطاولة بكأس ذهبي.

«إيبه، أوتار، لقد هربا من حراسك ولكن ليس من الكالوت(٤٦) الحكيم العجوز إيجوس».

قال أوتار آمرًا: «ماذا تعني؟ تكلم!».

أجاب المُحنِط العجوز: «أنا أعرف مكان اختبائهما. فقد كشفت آثار أقدامهما على تراب الممرات غير المستخدَمة عن مكانهما».

سأله الجيداك: «هل تبعتهما؟ هل رأيتهما؟

أجاب إيجوس: «تبعتهما وسمعتهما يتحدثان من وراء باب مغلق، لكني لم أرهما».

صاح أوتار: «أين هذا الباب؟ سوف نرسل على الفور ونحضرهما»، ثم جال ببصره حول الطاولة كأنما ليقرر لمن سيعهد بهذه المهمة. نهض أكثر من عشرة قادة محاربين، ووضعوا أياديهم على سيوفهم.

---

(٤٦) الكالوت: الكلب المريخي، وهو بحجم المُهر ولديه عشرة أرجل، ويضم فكاه ثلاثة صفوف من الأنياب الطويلة الحادة - http://barsoom.wikia.com/wiki/Calot - المترجمة.

صاح إيجوس: «لقد تتبعتهما إلى غرف أوتاي القاسي. سوف تجدونهما هناك، حيث يطارد أنين الكورفال صياح شبح أوماي؛ إييه!»، ثم أدار عينيه من أوتار في اتجاه المحاربين الذين نهضوا، ليكتشف أنهم عادوا سريعًا إلى مقاعدهم.

كسرت ضحكة إيجوس الساخرة المجلجلة الصمت الذي هبط على الغرفة. نظر المحاربون بخجل إلى الطعام في أطباقهم الذهبية. وطقطق أوتار أصابعه بنفاد صبر.

وصاح: «ألا يوجد سوى جبناء بين قادة ماناتور؟ لقد استهان هذان العبدان بوقاحة مرارًا وتكرارًا بفخامة جيداككم. هل يجب أن أصدر أمرًا لأحدكم بالذهاب لإحضارهما؟».

نهض قائد ببطء وحذا حذوه قائدان آخران، وإن كان على مضض ظاهر. علّق أوتار قائلًا: «ليس الجميع جبناء إذن. المهمة مقيتة. ولذلك ستذهبون ثلاثتكم، ومعكم أي عدد تريدون من المحاربين».

قاطعه إيجوس: «ولكن لا تطلبوا متطوعين، وإلا ستذهبون بمفردكم».

استدار القادة الثلاثة وغادروا قاعة المأدبة، وساروا ببطء كرجال حكم عليهم مصيرهم.

ظل جاهان وتارا في الغرفة التي قادهم إليها تاسور. أزال الرجل التراب من مقعد طويل، مريح وعميق، حيث يمكن لتارا أن تأخذ قسطًا من الراحة نسبيًا. وجد أن الحرير والفراء القديم المخصص للنوم لا

يمكن استخدامه على الإطلاق، حيث يتفتت إلى مسحوق بمجرد لمسة واحدة، مما ألغى أي فرصة لصنع سرير مريح للفتاة. وبالتالي جلس الاثنان معًا، يتحدثان بصوت منخفض عن المغامرات التي مرا بها وعن تصوراتهما عما يمكن أن يحدث في المستقبل، فضلًا عن التخطيط لوسيلة للهرب، آملين ألا تطول غيبة تاسور. شمل حديثهما العديد من الأشياء: هاستور، وهيليوم، وبتارث، وأخيرًا قاد الحديث تارا إلى تذكُر جاثول».

سألته: «هل خدمت هناك؟».

أجاب: «نعم».

قالت: «لقد قابلت جاهان، جِد جاثول، في قصر والدي في اليوم نفسه قبل أن تنتزعني العاصفة من هيليوم - كان متغطرسًا، يرتدي أغطية رائعة مرصعة بالبلاتين والألماس. لم أشهد في حياتي أبدًا مثل هذا العتاد فائق الجمال. ويجب أن تعرف، توران، أن روعة برسوم كلها توجد في بلاط هيليوم، لكن عقلي لم يتمكن من تصور مخلوق متألق على هذا النحو يمتشق ذلك السيف المرصع بالجواهر في قتال مميت. أخشى أن جِد جاثول، على الرغم من أنه صورة جميلة لرجل، يختلف قليلًا».

لم تلحظ تارا، في الضوء الخافت، التعبير الساخر على وجه رفيقها الذي يتفاداها قليلًا.

وسألها: «تفكرين قليلًا إذن في جِد جاثول؟».

«إذن، أو الآن»، أجابت بضحكة صغيرة، «كم كان يثير غروره أن يعرف، إن أمكن، أن بانتانًا فقيرًا فاز بمكانة أعلى منه عند تارا الهيليومية»، ثم وضعت أصابعها برفق على ركبته.

أمسك بأصابعه وقربها إلى شفتيه، وصاح: «أوه، تارا الهيليومية. أتعتقدين أنني رجل من حجر؟»؛ التفَّت إحدى ذراعيه حول كتفيها وجذبت الجسم اللين نحوه.

«أرجو أن يغفر لي سلفي الأولى ضعفي»، صاحت وهي تلف ذراعيها حول عنقه وترفع شفتيها التواقتين إلى شفتيه. التصقا لفترة طويلة في أول قبلة حب، ثم دفعته بعيدًا بلطف. قالت متنهدة: «أنا أحبك، توران، أحبك! إنه عذري الوحيد لاقترافي هذا الخطأ لدجور كانتوس، الذي أعرف الآن أنني لم أحبه أبدًا، فلم أكن أعرف معنى الحب. وإذا كنت تحبني كما تقول، توران، فإن حبك يجب أن يحميني من عار أكبر، فلست سوى عجينة بين يديك».

ضمها إليه بقوة مرة أخرى، ثم تركها فجأة ونهض، وأخذ يخطو بسرعة جيئة وذهابًا عبر أنحاء الغرفة كأنما يسعى إلى السيطرة على روح شريرة تملكته وإخضاعها من خلال ممارسة تمارين عنيفة. كان يسري خلال عقله وقلبه وروحه رنين يماثل أنشودة الفرح، رنين الكلمات التي غيرت عالم جاهان الجاثولي: «أنا أحبك، توران، أحبك!» التي صدرت فجأة. كان يعتقد أنها شعرت تجاهه بالامتنان فقط لولاءه، ثم بعد لحظة سقطت كل حواجزها، لم تعُد أميرة، وإنما ...، قطع صوت وراء الباب المغلق أفكاره. لم يكن صندله المصنوع من جلد حيوان الزيتيدار يصدر

أي صوت وهو يخطو فوق الأرضية الرخامية، وقادته خطواته السريعة عبر مدخل الغرفة، حيث جاء عن بُعد صوت خافت لصلصلة المعادن - نذير لا لبس فيه عن اقتراب رجال مسلحين.

أنصت جاهان بجدية للحظة، بالقرب من الباب، إلى أن تأكد دون شك من اقتراب مجموعة من المحاربين. وقد خمّن بشكل صحيح، مما أخبره به تاسور، أنهم لن يأتوا إلى هذا الجزء من القصر إلا لغرض واحد -البحث عنه وعن تارا- وعليه أن يجد وسيلة فورية للهروب منهم. كانت غرفتهما تضم مداخل الأخرى إلى جانب الباب الذي دخلوا منه، وعليه أن يجد في إحداها مكانًا أكثر أمانًا للاختباء. توجه إلى تارا وأبلغها بشكوكه، ثم قادها إلى أحد الأبواب التي وجدها غير موصدة. يفتح الباب على غرفة خافتة الإضاءة، توقفا على أعتابها في ذعر، وتراجعا بسرعة إلى غرفتهم التي تركاها، فقد كشفت أول لمحة عن أربعة محاربين يجلسون حول لوحة جيتان.

عزا جاهان عدم ملاحظة دخولهما إلى استغراق اللاعبين الاثنين وأصدقائهما في اللعبة. أغلق الباب بهدوء وانتقل الهاربان بصمت إلى الباب التالي، لكنه كان موصدًا. يتبقى الآن باب آخر، توجها نحوه بسرعة لأنهم يعرفون أن مجموعة البحث لابد أصبحت قريبة من الغرفة. أثار استياءهما أن وجدا طريق الهرب هذا مسدودًا بقضبان.

أصبحا الآن بالفعل في محنة مؤسفة؛ إذ لو كان لدى الباحثين عنهما معلومات تقودهم إلى هذه الغرفة، ينتهي أمرهما. قاد تارا ثانية إلى الباب الذي يجلس خلفه لاعبو الجيتان، وسحب جاهان سيفه

وانتظر وهو يسترقّ السمع. تناهى إلى سمعهم بوضوح صوت مجموعة البحث في الممر، من المؤكد أنهم قريبون جدًّا، وسيأتون قطعًا بقوة. يجلس وراء الباب أربعة محاربين قد يُفاجأون بسهولة. لا يوجد إذن سوى خيار واحد، وبناء عليه فتح جاهان الباب بهدوء مرة أخرى ودخل إلى الغرفة المجاورة وتارا في يده، ثم أغلق الباب وراءهما. من الواضح أن لاعبي الجيتان الأربعة لم يسمعوا دخولهما. وكان أحد اللاعبين إما أتم تحريك قطعة أو يفكر في ذلك، فقد كانت أصابعه تمسك بقطعة لا تزال على اللوح، ويشاهد الثلاثة الآخرون حركته. ألقى جاهان نظرة نحوهم، يلعبون جيتان في هذا الضوء الخافت في هذه الغرفة المنسية المحظورة، ثم أضاءت ابتسامة فهم بطيئة وجهه.

قال لتارا: «تعالي! لا يوجد ما يدعو إلى الخوف منهم. إنهم يجلسون هكذا منذ أكثر من خمسة آلاف سنة، هذا أثر باق لعمل يدوي قام به أحد المحنطين القدماء».

اقتربا أكثر، وشاهدا أن التراب يغطي تلك الهيئات التي تبدو نابضة بالحياة، لكن بشرتهم كانت جيدة الحفظ مثل أحدث مجموعات إيجوس. سمعا باب الغرفة التي تركاها ينفتح، وعرفا أن الباحثين عنهما يقتربون. شاهدا عبر الغرفة ما يبدو فتحة لممر، ثبت أنه ممر قصير ينتهي إلى غرفة توجد في وسطها منصة نوم مزخرفة. كانت هذه الغرفة سيئة الإضاءة، مثل باقي الغرف، فقد خفت تألق المصابيح بفعل الزمن وغطاها التراب. أوضحت لمحة سريعة أنها كانت مملوءة بمتاع ثقيل وتضم قدرًا كبيرًا من الأثاث الضخم بالإضافة إلى منصة النوم. وكشفت

نظرة ثانية عن هيئة رجل يرقد جزئيًا على الأرض وجزئيًا على المنصة. لا توجد أي مداخل مرئية غير الباب الذي دخلا منه، على الرغم من معرفتهما أن الستائر ربما تخفي أبوابًا أخرى.

أثار الفضول جاهان حول الأساطير المحيطة بهذا الجزء من القصر، فتوجه إلى المنصة لفحص هيئة الشخص الذي يبدو أنه سقط من المنصة. وجد جثة جافة وذابلة لرجل يرقد على ظهره فوق الأرض، وذراعاه ممدودتان، وأصابعه تمتد مفتوحة بقوة. كانت إحدى قدميه ملتوية جزئيًا أسفله، بينما لا تزال القدم الأخرى متشابكة في حرير وفراء النوم على المنصة. لا يزال الوجه الذابل بالمحجرين الخاليين من الأعين يحتفظ، بعد خمسة آلاف سنة، بتعبير الخوف الفظيع، وهنا عرف جاهان أنه ينظر إلى جسم أوماي القاسي.

كانت تارا تقف بجانبه، وفجأة أمسكت بذراعه وأشارت نحو ركن بعيد في الغرفة. نظر جاهان، وما رآه أصابه بالذعر. ألقى ذراعه اليسرى حول الفتاة، ووقف ممتشقًا سيفه بينها وبين الستائر التي ينظران إليها، ثم تراجع جاهان الجاثولي ببطء؛ ففي هذه القاعة القاتمة الكئيبة، التي لم تطأها قدم إنسان منذ خمسة آلاف عام ولا يمكن أن تدخلها نفحة هواء، كانت الستائر الثقيلة في الزاوية البعيدة تتحرك. لم تكن تتحرك بلطف كأنما يهزها تيار هوائي، إن وُجِد، لكنها انتفخت فجأة كأنما دفعها شيء من الخلف. تراجع جاهان إلى الركن المقابل إلى أن وقفا وظهريهما تجاه ستائره، ثم سمعا صوت اقتراب المطاردين في الغرفة الخارجية، فقام جاهان بدفع تارا خلال الستائر وهو في أعقابها، وأبعد يده اليسرى

عن تارا كي يمسك بالستارة حتى تظل مفتوحة بقدر صغير يتيح له رؤية الشقة والمدخل في الجانب المعاكس الذي يمكن أن يدخل منه المطاردون إذا وصلوا إلى هذا الحد.

توجد خلف الستائر مساحة يبلغ عرضها بينهما وبين الجدار حوالي ثلاثة أقدام، مما يجعل الممر الذي يحيط تمامًا بالغرفة لا يكسره سوى مدخل واحد مقابل لهم، وهو ترتيب معتاد خاصة في غرف نوم الأغنياء والأقوياء في برسوم، ولهذا الترتيب أغراض عديدة، فالممر يتيح موقعًا للحراس في نفس الغرفة مع سيدهم دون التطفل كليًا على حياته الخاصة، ويخفي المخارج السرية بالغرفة، ويسمح لشاغل الغرفة بإخفاء المتنصتين والقتلة لاستخدامهم ضد الأعداء الذين قد يجذبهم إلى غرفته.

لم يجد القادة الثلاثة ودزينة المحاربين معهم أي صعوبة في اتباع مسارات الهاربين، خلال تراب الممرات والغرف التي تنقلوا عبرها. كان دخول هذا الجزء من القصر يتطلب كل ما لديهم من شجاعة، وأصبحت أعصابهم مشدودة إلى أقصى حد الآن بعد دخولهم جناح أوماي، قد يتعرضون للالتهام عند أي منعطف آخر، كما تنتشر الخرافات الغريبة بين شعب ماناتور. تحركوا ببطء ممتشقين سيوفهم عند دخولهم الغرفة الخارجية، ولم يكن أحدهم حريصًا على أخذ زمام المبادرة، وتراجع المحاربون الاثنا عشر في ذعر واضح ومخزٍ، بينما تجمع القادة الثلاثة متقاربين لتشجيع بعضهم بعضًا، يدفعهم الخوف من أوتار فضلًا عن كبريائهم، وهم يعبرون ببطء الغرفة خافتة الإضاءة.

تعقبوا مسارات جاهان وتارا، ووجدوا أنهما اقتربا من كل باب لكن عتبة باب واحد فقط هي ما تجاوزاها. اقتربوا من هذا الباب وفتحوه بحذر، وحدقوا باندهاش عند رؤية المحاربين الأربعة عند طاولة الجيتان. للحظة كانوا على وشك الهرب، فعلى الرغم من معرفتهم بطبيعة هؤلاء الأربعة، فإن دخولهم على هذا النحو إلى هذا الجناح الغامض المسكون أذهلهم كأنما شاهدوا أشباح الراحلين. لكنهم استعادوا الآن شجاعتهم بما يكفي لاجتياز هذه الغرفة أيضًا والدخول إلى الممر القصير الذي يؤدي إلى غرفة النوم القديمة لأوماي القاسي. لم يعرفوا أن هذه الغرفة الفظيعة تقع أمامهم مباشرة، أو كان من المشكوك فيه أن يسيروا قدمًا، لكنهم يعرفون أن تارا وجاهان سارا في هذا الطريق ولذا عليهم المتابعة. على أنهم توقفوا عند مدخل الغرفة القاتم، وحث القادة الثلاثة أتباعهم بهمس منخفض للاقتراب خلفهم، ثم توقفوا بمجرد دخولهم حتى تعتاد أعينهم على الضوء الخافت. وفجأة أشار أحدهم إلى شيء ملقى على الأرض وتتشابك إحدى أقدامه في أغطية المنصة.

قال لاهثًا: «انظروا! إنها جثة أوماي! سلف الأسلاف! أننا في الغرفة المحظورة». وفي الوقت نفسه، صدر من خلف الستائر وراء الميت الشنيع أنين أجوف تلته صرخة خارقة، وانتفخت الستائر واهتزت أمام أعينهم.

وعلى الفور، استدار القادة والمحاربون مسرعين نحو المدخل، مدخل ضيق، حيث تزاحموا وتقاتلوا وصرخوا في محاولة للهرب. ألقوا سيوفهم وتكالبوا لشق طريق الهرب، صعد المتزاحمون في

الخلف فوق أكتاف المتزاحمين أمامهم، وسقط بعضهم وداس فوقهم البعض الآخر، لكنهم تمكنوا في النهاية من شق طريقهم، وتوجه أسرعهم أولًا إلى الغرفتين الفاصلتين ثم الممر الخارجي بعدهما، ولم يتوقف انسحابهم المجنون قبل أن يسقطوا، ضعفاء ومرتجفين، في قاعة الولائم بقصر أوتار. وعند وصولهم، قفز المحاربون الذين ظلوا مع الجيداك وهم يمتشقون سيوفهم، متصورين أن العديد من الأعداء يطاردون زملاءهم، ولكن لم يتبعهم أحد إلى الغرفة، ووقف القادة الثلاثة أمام أوتار ورؤوسهم محنية وركبهم ترتجف.

سألهم الجيداك: «حسنا؟ مم تعانون؟ تكلموا!».

«أوتار»، صاح أحدهم عندما تمكن أخيرًا من السيطرة على صوته، «متى خذلك ثلاثتنا في معركة أو قتال؟ ألم تكن سيوفنا دائمًا في مقدمة الدفاع عن سلامتك وشرفك؟».

أجاب أوتار: «وهل أنكرت ذلك؟».

«اسمع إذن، يا جيداك، وتساهل عند الحُكم علينا. لقد تبعنا العبدين إلى جناح أوماي القاسي. دخلنا الغرف اللعينة دون أن نهتز. وصلنا أخيرًا إلى تلك الغرفة المروعة التي لم تشهدها عين بشرية منذ خمسين قرنًا، ونظرنا إلى وجه أوماي الميت وهو يرقد كما كان طوال تلك الفترة. لقد وصلنا إلى غرفة موت أوماي، وكنا على استعداد للمضي إلى أبعد من ذلك، عندما دوت في آذاننا المذعورة فجأة أصوات الأنين والصراخ التي تميز هذه الغرف المسكونة بالأشباح، وتحركت الستائر وهي تصدر حفيفًا في الهواء الميت. يا أوتار، هذا أكثر مما يمكن أن تتحمله

أعصاب البشر. استدرنا وهربنا. ألقينا بسيوفنا وتعاركنا مع بعضنا بعضًا خلال الهروب. بكل أسف، ولكن دون أي خجل، أقول لك إن أي رجل في ماناتور كلها كان ليفعل مثلنا. إذا كان هذان العبدان من الكورفال، فهما آمنان بين زملائهم الأشباح. وإن لم يكونوا من الكورفال، فهم قتلى بالفعل في غرفة أوماي، وهناك سوف يتعفنون، لأنني لن أعود إلى تلك البقعة الملعونة من أجل الفوز بعتاد جيداك وإمبراطورية تشمل نصف برسوم. لقد تحدثت».

قطب أوتار حاجبيه وسأل بسخرية: «هل جميع قادتي جبناء وتعوزهم الشجاعة؟».

نهض قائد من بين القادة الذين لم يشاركوا في مجموعة البحث، ونظر بوجه متجهم نحو أوتار.

وقال: «يعرف الجيداك ما ورد في حوليات ماناتور من أن جميع من شغل منصب الجيداك هم أشجع محاربيها. وسوف أمضي خلف قيادة الجيداك، ولا يجوز أن يشكك أي جيداك في شجاعتي أو يقول إني جبان إلا إذا رفضت الذهاب إلى حيث يجرؤ هو على الذهاب. لقد تحدثت».

ساد صمت مؤلم بعد أن جلس على مقعده، فقد كان واضحًا للجميع أن المتكلم تحدى شجاعة أوتار، جيداك ماناتور، وانتظروا جميعًا رد حاكمهم. كان يدور في كل عقل نفس التفكير – يجب أن يتولى أوتار قيادتهم على الفور إلى غرفة أوماي القاسي، أو يقبل إلى الأبد وصمة عار الجُبن، وعندئذ لا يمكن أن يوجد جبان على عرش

ماناتور. يعلم الجميع ذلك، كما يعلمه أوتار أيضًا.

لكن أوتار تردد. تطلع في وجوه من يجلسون حوله في قاعة الولائم، لكنه لم يشهد سوى وجوه قاتمة لمحاربين أشداء. لا يوجد أي أثر للتساهل في وجه أي منهم. وعندئذ توجهت عيناه إلى مدخل صغير يقع عند أحد جوانب القاعة الكبيرة. ومحا تعبير عن الارتياح مسحة القلق من ملامحه.

وصاح: «انظروا! انظروا من أتى!».



الفصل (٢٠)

الاتهام بالجُبن

شاهد جاهان، من خلال الفتحة بين الستائر هروب مطارديهما المحموم. استقرت ابتسامة قاتمة على شفتيه وهو يرى جنون التدافع سعيًا للسلامة، ثم رآهم يلقون بسيوفهم ويتعاركون مع بعضهم بعضًا في سباق الخروج من غرفة الرعب. وعندما خرجوا جميعًا، التفت نحو تارا، والابتسامة لا تزال على شفتيه، لكن ابتسامته ماتت على الفور في لحظة التفاته لأنه اكتشف اختفاء تارا.

«تارا!»، نادى بصوت عالٍ، لأنه يعرف أن الخطر زال ولن يعود المطارِدون. لا توجد استجابة، إلا صوت خافت لضحكة مجلجلة قادمة من بعيد. بحث بسرعة في الممر خلف الستائر، وعثر على عدة أبواب، كان أحدها مفتوحًا جزئيًا. دخل منه إلى الغرفة المجاورة التي كانت مضاءة ببراعة في ذلك الوقت عن طريق أشعة القمر ثوريا الناعمة، الذي يشق طريقه بجنون عبر السماء. وهنا وجد التراب متفرقًا على الأرضية،

كما وجد الآثار المميزة للصنادل. لقد سارا من هذا الطريق - تارا وأيًا كان المخلوق الذي سرقها.

ولكن، ما هذا؟ يتمتع جاهان بثقافة وذكاء كبيرين، ولا يعتقد في أي خرافات. كان يتمسك على نحو فطري، وجميع أعراق بروسوم تقريبًا، بشكل جليل من عبادة الأسلاف، على الرغم من أن تمجيده كان للذكريات أو الأساطير التي تتناول فضائلهم وأعمالهم البطولية وليس لهم شخصيًا. لم يتوقع أبدًا أي دليل ملموس على وجودهم بعد الوفاة، ولم يعتقد أن لديهم أي قوة -سواء للخير أو للشر- غير تأثير مثالهم خلال حياتهم على الأجيال التالية؛ ولم يعتقد في تجسيد أرواح الموتى. وإذا كانت هناك حياة أخرى، فهو لا يعرف عنها شيئًا؛ لأنه يعرف أن العلم أثبت وجود أسباب مادية لكل ظاهرة تبدو خارقة عن الأديان القديمة والخرافات. ومع ذلك، كان في حيرة لمعرفة القوة التي أخفت تارا فجأة من جانبه وفي ظروف غامضة، في غرفة لم يدخلها أحد منذ خمسة آلاف سنة.

لم يستطع أن يحدد في الظلام ما إذا كانت هناك آثار لصنادل أخرى غير صندل تارا، رأى فقط تشتت التراب، وفقد الأثر تمامًا بعد أن قاده إلى الممرات القاتمة. انكشفت أمامه الآن متاهة من الممرات والشقق، خلال سعيه السريع عبر أنحاء مسكن أوماي المهجور. هنا يوجد حمام قديم، لا شك أنه حمام الجيداك نفسه، ثم مر ثانية عبر غرفة بها وجبة فوق طاولة منذ خمسة آلاف سنة، ربما وجبة الإفطار التي لم يذقها أوماي. ومرت أمام عينيه للحظات قصيرة، خلال سيره عبر

الغرف، ثروة من الحلي والمجوهرات والمعادن النفيسة التي فاجأت حتى جدِ جاثول الذي كان عتاده من الألماس والبلاتين والثروات التي كانت موضع حسد من العالم. وأخيرًا انتهى بحثه في غرف أوماي إلى غطاء صغير في الأرض، بمثابة فتحة لمدرج حلزوني يتجه إلى أسفل في ظل ظلام دامس جهنمي. يبدو تشتت التراب عند مدخل الغطاء جديدًا، وهي الإشارة الوحيدة الممكنة التي وجدها جاهان على الاتجاه الذي أخذ فيه الخاطف تارا، وعليه اتباعه للبحث في مكان آخر. نزل، دون تردد، في الظلام المطلق أدناه. تحسس بقدمه قبل أن يتخذ خطوة إلى الأمام، ولذا كان هبوطه بطيئًا بالضرورة. لكن جاهان كان برسومئًا وبالتالي يعرف المزالق التي قد تنتظر الغافلين في هذه الأجزاء المظلمة، المحظورة في قصر الجيداك.

هبط ما قدّره بثلاثة مستويات كاملة ثم توقف، كما يفعل أحيانًا، لينصت. سمع بوضوح صوتًا غريبًا لاحتكاك أقدام تقترب من أسفل في اتجاهه. أيًا ما كان هذا الشيء، فقد كان يصعد المدرج بخطى ثابتة، وسرعان ما يصل إليه. وضع جاهان يده على مقبض سيفه وسحبه ببطء من غمده، دون إحداث أي ضجيج يثير انتباه المخلوق لوجوده. تمنى أن ينحسر الظلام ولو قليلًا. إذا تمكن من رؤية مجرد الخطوط العريضة للشيء الذي يقترب منه، سوف يشعر أن لديه فرصة أكثر إنصافًا في اللقاء، لكنه لا يستطيع أن يرى أي شيء، بل اصطدم غمد سيفه بالجانب الحجري للمدرج، وأصدر صوتًا أدى سكون الممر وحدوده الضيقة والظلام إلى تكبيره إلى جلبة شديدة.

توقف صوت الاحتكاك على الفور. وقف جاهان للحظة في انتظار صامت، ثم نبذ حذره وواصل هبوطه على المدرج الحلزوني. لم يُصدر ذلك الشيء، أيًا ما كان، أي صوت يتيح لجاهان أن يحدد مكانه. قد ينقض عليه في أي لحظة، ولذا أبقى سيفه على أهبة الاستعداد. قاده المدرج الحلزوني المنحدِر إلى أسفل. أحاط به ظلام وصمت القبور، ومع ذلك سار قدمًا حيث يمكن أن يوجد شيء في مكان ما. كان على يقين أنه ليس بمفرده في ذلك المكان المروع، بل هناك وجود آخر لا يسمعه أو يراه، يحوم حوله. ربما كان الشيء الذي سرق تارا. وربما تارا نفسها، لا تزال في براثن رعب مجهول، هي التي أمامه. أسرع خطواته حتى أصبحت ركضًا تقريبًا، وهو يفكر في الخطر الذي يهدد المرأة التي يحبها، ثم اصطدم بباب خشبي، تأرجح مفتوحًا على أثر الاصطدام. وجد أمامه ممرًا مضاءً، توجد غرف على جانبيه. سار، ثم أدرك قبل مسافة قصيرة من الجزء السفلي من المدرج الحلزوني أنه في الحُفر التي تقع أسفل القصر. وبعد لحظة سمع خلفه صوت الاحتكاك الذي جذب انتباهه من قبل. نظر حوله وشاهد صاحب الصوت يخرج من المدخل الذي مر منه للتو. كان جيك الكلديني.

صاح جاهان: «جيك! أنت من كان في المدرج؟ هل رأيت تارا الهيليومية؟».

أجاب الكلديني: «نعم، أنا من كان في المدرج، لكني لم أر تارا الهيليومية. أنا أبحث عنها. أين هي؟».

أجاب الجاثولي: «لا أعرف؛ ولكن علينا أن نجدها ونخرجها من هذا المكان».

قال جيك: «قد نجدها؛ ولكن أشك في قدرتنا على إخراجها من هنا. مغادرة ماناتور ليست بنفس سهولة دخولها. يمكنني التحرك كما أريد خلال جحور الأولسيو القديمة، لكن حجمك الكبير لا يتيح لك ذلك، كما تحتاج رئتاك إلى قدر من الهواء أكثر مما يوجد في بعض المدرجات الأعمق».

صاح جاهان: «لكن هناك يوثور! هل سمعت أي شيء عنه أو عن نواياه؟».

أجاب جيك: «سمعت الكثير.. لقد أقام معسكرات عند بوابة الأعداء، والموقع الذي استولى عليه هو ومحاربيه يقع وراء البوابة، لكن قواته غير كافية لدخول المدينة والاستيلاء على القصر. كان يمكنك الوصول إليه منذ ساعة، أما الآن فالحراسة مشددة على جميع الطرق بعد أن عرف أوتار أن أكور هرب وانضم إلى يوثور».

صاح جاهان: «أكور هرب وانضم إلى يوثور!».

قال جيك: «منذ أكثر من ساعة بقليل. كنت معه عندما جاء محارب، رجل اسمه تاسور، يحمل رسالة منك. وتقرر أن يمضي تاسور بصحبة أكور في محاولة للوصول إلى معسكر يوثور، جِد ماناتوس الأكبر، ويطلب منه التأكيدات التي طلبتها، ثم يعود يوثور ويجلب الطعام لكما، أنت وأميرة هيليوم. وقد رافقتهما. وصلنا بسهولة ووجدنا يوثور أكثر من مستعد لاحترام جميع رغباتك. ولكن عندما حاول تاسور العودة إليك، كانت جميع الطرق مغلقة بواسطة محاربي أوتار. وعندئذ تطوعت أنا للقدوم إليك وإبلاغك بما حدث، ثم أبحث عن طعام وشراب لكما،

وبعدها أتوجه إلى العبيد الجاثوليين في ماناتور وأبلغهم بدورهم في الخطة التي وضعها يوثور وتاسور».

سأله جاهان: «وما هي هذه الخطة؟».

أجاب جيك: «أن يرسل يوثور في طلب تعزيزات. وقد بعث إلى ماناتوس وإلى جميع المناطق النائية التابعة له. وسوف يستغرق جمعهم وإحضارهم هنا شهرًا، وفي الوقت نفسه يقوم العبيد داخل المدينة بالتنظيم سرًّا، وسرقة وإخفاء الأسلحة، إلى يوم وصول التعزيزات. وعندما يأتي ذلك اليوم، ستدخل قوات يوثور بوابة الأعداء؛ وما إن يندفع محاربو أوتار لصدهم، حتى ينقض عليهم عبيد جاثول من الخلف وهم أغلبية عددًا، بينما يهاجم الباقون القصر. وهم بذلك يأملون في إبعاد الكثيرين عن البوابة، بحيث لا يجد يوثور صعوبة تُذكر في الدخول إلى المدينة».

قال جاهان: «ربما ينجحون، لكن محاربي أوتار كثيرون، ومن يقاتلون دفاعًا عن ديارهم وعن جيداكهم لديهم ميزة دائمًا. آه، جيك، لو كان لدينا السفن الكبيرة من جاثول أو هيليوم لتصب نيرانها التي لا ترحم على شوارع ماناتور، بينما يسير يوثور إلى القصر على جثث القتلى». صمت وهو يفكر بعمق، ثم حوّل بصره مرة أخرى نحو الكلديني وقال: «هل سمعت عن المجموعة التي هربت معي من ملعب جيتان: فلوران، وفال دور، وغيرهما؟ ماذا عنهم؟».

قال جيك: «نجح عشرة منهم في الوصول إلى بوابة الأعداء عند يوثور، الذي استقبلهم استقبالًا حسنًا. سقط ثمانية في القتال خلال

الطريق. لكنني أعتقد أن فال دور وفلوران لا زالا أحياء، فأنا متأكد من أنني سمعت يوثور يخاطب اثنين من المحاربين بهذين الاسمين».

صاح جاهان: «جيد! عليك إذن أن تذهب عبر جحور الأولسيو إلى بوابة الأعداء، وتحمل رسالة إلى فلوران سأكتبها بلغته. هيا، بينما أكتب الرسالة».

وجدا مقعدًا طويلًا وطاولة في غرفة مجاورة. جلس جاهان هناك وكتب إلى فلوران الجاثولي رسالة بأحرف مريخية غريبة مختزلة. وعندما انتهى سأل: «لماذا كنت تبحث عن تارا خلال المدرج الحلزوني حيث التقينا تقريبا؟».

قال جيك: «أخبرني تاسور أين أجدكما، ونظرًا لأني استكشفت ممرات الأولسيو في الجزء الأكبر من القصر، وفي الممرات الأكثر قتامة والأقل ارتيادًا، فقد عرفت مكانكما تحديدًا وكيفية الوصول إليكما. يتجه هذا المدرج الحلزوني السري إلى أعلى، من الحُفر إلى سطح أعلى أبراج القصر، وتضم جميع مستوياته فتحات سرية، ولا أعتقد أن أي ماناتوري حيّ على علم بوجوده. على الأقل لم ألتقِ أبدًا بأحد داخله، وقد استخدمته مرات عديدة. لقد دخلت الغرفة التي يرقد فيها أوماي ثلاث مرات، ولم أكن أعرف شيئًا عن هويته أو قصة وفاته حتى أخبرنا بها تاسور في معسكر يوثور».

قاطعه جاهان: «أنت تعرف القصر بدقة إذن؟».

أجاب جيك: «أفضل من أوتار نفسه أو أي من خدمه».

واصل جاهان: «جيد! وسوف تخدم الأميرة تارا، يا جيك، وربما أفضل خدمة تقدمها لها هي مصاحبة فلوران واتباع تعليماته. سوف أكتب له هنا، في ختام رسالتي له، لأن الجدران لها آذان، جيك، ولن يستطيع قراءة ما كتبته إلى فلوران إلا جاثولي. وهو سوف يخبرك بما كتبت. هل يمكنني الوثوق بك؟».

أجاب جيك: «أنا لن أعود أبدًا إلى بانتوم، وبالتالي ليس لديَّ سوى صديقين في برسوم كلها. ماذا يمكنني أن أفعل أفضل من خدمتهما بإخلاص؟ يمكنك أيها الجاثولي أن تثق بي؛ فقد علمتني، أنت وامرأة من نوعك، أن هناك أشياء أرقى وأنبل من عقلية مثالية لا تتأثر بالتعاليم غير المنطقية التي يمليها القلب. سوف أذهب».



عندما أشار أوتار إلى المدخل الصغير، تحولت كل الأنظار إلى ذلك الاتجاه، وارتسمت دهشة كبيرة على وجوه المحاربين عندما تعرفوا على الشخصين اللذين دخلا قاعة المأدبة. كان إيجوس ويجر وراءه شخصًا مكممًا، ويداه مربوطتان خلفه بشريط من الحرير المتين. كانت الفتاة الأَمَة. ارتفعت ضحكة إيجوس المقهقهة فوق صمت الغرفة.

صاح بقوة: «إيبه، إيبه! ما لم يتمكن محاربو أوتار الشبان من عمله، قام به إيجوس العجوز بمفرده».

قال هادرًا أحد القادة الذين فروا من جناح أوماي: «الكورفال فقط هو من يستطيع الإمساك بكورفال».

ضحك إيجوس، وأجاب: «لقد أحال الذعر قلبك إلى مياه، عار على لسانك أن ينطق بهذا التشهير. إنها ليست كورفال، بل مجرد امرأة من هيليوم، ورفيقها محارب يبارز بسيفه أفضلكم ويشق قلوبكم العفنة. لم أشهد مثله في أيام شبابي. آه، عندما كان هناك رجال في ماناتور. إنني أتذكر ذلك اليوم عندما ....».

قاطعه أوتار: «اهدأ أيها العجوز الأحمق! أين الرجل؟».

أجاب إيجوس: «في نفس المكان الذي وجدت فيه المرأة، في غرفة موت أوماي. دع قادتك الحكماء الشجعان يذهبون إلى هناك ويحضرونه. أنا رجل عجوز، ولا يمكنني سوى إحضار شخص واحد».

أسرع أوتار بطمأنته: «لقد قمت بعمل جيد يا إيجوس». عندما علم أوتار أن جاهان ربما لا يزال في الغرف المسكونة بالأشباح، تمنى تهدئة غضب إيجوس لأنه يعرف جيدًا سلاطة لسان العجوز وحدَّة مزاجه. ونظرًا لأنه كان يرغب في تغيير موضوع الحديث عن الرجل الذي لا يزال طليقًا، سأله: «أنت تعتقد إذن، إيجوس، أنها ليست كورفال؟».

أجال المُحنِط العجوز: «ليست أكثر منك».

اتجه بصر أوتار نحو تارا الهيليومية في نظرة طويلة متفحصة. بدا أن جمالها كله ينتقل فجأة إلى كل جزء من وعيه. كانت لا تزال ترتدي ذلك العتاد الثري لأميرة الفريق الأسود في الجيتان، وأدرك الجيداك أوتار وهو يحدق نحوها أن عينيه لم تقع أبدًا من قبل على هيئة أكثر مثالية أو وجه أكثر جمالًا.

تمتم لنفسه: «إنها ليست من الكورفال. ليست من الكورفال، وهي أميرة، أميرة هيليوم، وبالشعر الذهبي للهيكادور[٤٧] المقدس، إنها جميلة». أصدر أوامره بصوت مرتفع: «انزعوا الكمامة عن فمها وحرروا يديها. أفسحوا مكانًا لتارا أميرة هيليوم بجانب أوتار الماناتوري. سوف تتناول الطعام كأميرة».

قام العبيد بتنفيذ أوامر أوتار، ووقفت تارا الهيليومية بأعينها اللامعة وراء المقعد الممنوح لها. وأمرها أوتار: «اجلسي!».

غرقت الفتاة في المقعد، وقالت: أنا أجلس كسجينة، وليس كضيفة على مائدة عدوي، يا أوتار الماناتوري».

أومأ أوتار إلى أتباعه للخروج من الغرفة، وقال: «أود أن أتكلم بمفردي مع أميرة هيليوم». انسحب القادة والعبيد، ثم تحول جيداك ماناتور مرة أخرى تجاه الفتاة قائلًا: «أوتار الماناتوري سيكون صديقك».

جلست تارا الهيليومية ويداها مطويتين على صدرها، وعيناها تومضان جفنيها اللذين أصبحا ضيقين، ولم تتفضل حتى بالرد على عرضه. مال أوتار مقتربًا منها. لاحظ سلوكها العدواني، وتذكر أول لقاء معها، إنها عنيدة كحيوان البانث، لكنها جميلة. كانت أكثر امرأة رغبها أوتار وصمم على امتلاكها. وقال لها ذلك.

«يمكنني أن اتخذك أمة، وإنما يسعدني أن اتخذك زوجتي.

---

(٤٧) هيكادور: لقب زعيم الثيرن المقدسين http://barsoom.wikia.com/wiki/Hekkador - المترجمة.

ستكونين جيدارة[٤٨] ماناتور. أمامك سبعة أيام للتحضير للشرف العظيم الذي منحه لك أوتار. وفي مثل هذه الساعة من اليوم السابع، تصبحين إمبراطورة وزوجة أوتار في قاعة عرش كل الجيداك في ماناتور». دق على زر جرس بجانبه على الطاولة، وعندما ظهر عبد، أمره باستدعاء المجموعة التي كانت بالقاعة. عاد القادة ببطء إلى مقاعدهم عند الطاولة في القاعة، كانت وجوههم قاتمة ومقطبة؛ إذ لا يزال السؤال المتعلق بشجاعة جيداكهم دون إجابة. يخطئ أوتار إذا كان يأمل في أنهم نسوا.

نهض أوتار، ثم أعلن: «تقام وليمة كبيرة بعد سبعة أيام على شرف جيدارة ماناتور الجديدة»، وأشار بيده نحو تارا الهيليومية: «يبدأ الحفل في بداية الزود السابع[٤٩] في قاعة العرش. وفي الوقت نفسه، ستحظى أميرة هيليوم بالرعاية في برج المساكن النسائية بالقصر. عليك يا إيثاس أن تقودها إلى هناك مع حرس شرف مناسب، والتأكد من وجود العبيد والخصيان تحت تصرفها، فضلًا عن مَنْ يتولون تحقيق رغباتها وحراستها بعناية من الأذى».

عرف إيثاس الآن أن المعنى الحقيقي الخفي وراء هذه الكلمات الجميلة، وهو أن يقود السجينة تحت حراسة قوية إلى مساكن النساء وحبسها هناك في البرج لمدة سبعة أيام، وإحاطتها بحراسة جديرة بالثقة

(٤٨) جيدارة: الملكة أو الإمبراطورة - وهو الاسم المريخي المؤنث لجيداك (الملك أو الإمبراطور) - https://barsoom.fandom.com/wiki/Jeddak - المترجمة.

(٤٩) حوالي الثامنة والنصف مساء بتوقيت كوكب الأرض.

تحول دون هروبها وإحباط أي محاولة لإنقاذها.

عندما كانت تارا تغادر القاعة مع إيثاس والحرس، انحنى أوتار بالقرب من إذنها وهمس: «فكري جيدًا خلال هذه الأيام السبعة في الشرف العظيم الذي عرضته عليك، و... بديله الوحيد». سارت الفتاة، كأنما لم تسمعه، خارج قاعة المأدبة ورأسها عالية وعينيها تتجهان إلى الأمام.

بعد أن غادر جيك، أخذ جاهان يجوب الحُفر والممرات القديمة في الأجزاء المهجورة من القصر، سعيًا لمعرفة أي شيء عن مكان أو مصير تارا الهيليومية. استخدم المدرج الحلزوني للانتقال من مستوى إلى آخر إلى أن عرف كل شبر فيه، من الحُفر إلى قمة البرج العالي، والشقوق التي تُفتح عند مختلف المستويات، فضلًا عن الآلية المخفية البارعة التي تفتح أقفال الأبواب المخفية ببراعة المؤدية إليها. اعتمد في طعامه على المخازن التي وجدها في الحُفر، ورقد عند النوم على أريكة أوماي الملكية في القاعة المحظورة، مُشاركًا المنصة مع قدم الجيداك العجوز الميت.

عمّت القصر اضطرابات واسعة، لا يعرف عنها جاهان أي شيء. تابع المحاربون والقادة واجباتهم بوجوه صارمة، وتجمعت هنا وهناك مجموعات صغيرة منهم تناقش بغضب الموضوع الذي يحتل موقع الصدارة في أذهان الجميع. وفي اليوم الرابع لحبس تارا في البرج، توجه إيثاس -كبير خدم القصر وأحد اتباع أوتار- إلى سيده في بعض الأمور التافهة. كان أوتار بمفرده في إحدى الغرف الصغيرة بجناحه الشخصي،

عندما أُعلن عن وصول كبير الخدم. وبعد الانتهاء من المسألة التي أتى إيثاس من أجلها، أشار له الجيداك بالبقاء.

قال أوتار: «لقد قمت بتكريمك، يا إيثاس، وترقيتك من موقع محارب مغمور إلى قائد. كلمتك داخل حدود القصر تلي كلمتي. ولذلك، أنت لست محبوبًا، إيثاس، وإذا تبوأ جيداك آخر عرش ماناتور ماذا سيحدث لك، وأنت أعداءك من بين أقوى الشخصيات في ماناتور؟».

قال إيثاس متوسلًا: «لا تحدثني عن ذلك، أوتار. فقد كنت أفكر في ذلك خلال الأيام القليلة الماضية، وأود نسيان الأمر، لكني سعيت إلى تهدئة غضب أسوأ أعدائي. كنت شديد اللطف والتسامح معهم».

سأله الجيداك: «هل قرأت أنت أيضًا الرسالة الصامتة في الهواء؟».

كان إيثاس قلقًا بوضوح، ولم يرد.

سأله أوتار: «لماذا لم تخبرني بمخاوفك؟ أليس هذا من الولاء؟».

أجاب إيثاس: «كنت خائفًا، أيها الجيداك القوي! خشيت ألا تفهم، وأن تغضب».

قال أوتار آمرًا: «ماذا تعرف؟ قل الحقيقة كاملة!».

أجاب إيثاس: «هناك الكثير من الاضطراب عند القادة والمحاربين، حتى من كانوا أصدقائك، يخافون من قوة من يتحدثون ضدك».

قال الجيداك هادرًا: «ماذا يقولون؟».

أجاب إيثاس: «يقولون إنك تخاف الدخول إلى غُرف أوماي

للبحث عن العبد توران – أوه، لا تغضب مني، يا جيداك؛ إنني أكرر فقط ما يقولون. أنا، إيثاس، مُخلص لك، ولا أصدق هذا الافتراء الكريه».

سأله أوتار: «كلا، كلا؛ لماذا أخاف؟ نحن لا نعرف أنه هناك. ألم يذهب القادة إلى هناك ولم يروه؟».

واصل إيثاس: «لكنهم يقولون إنك لم تذهب، وإنهم لا يريدون جبانًا على عرش ماناتور».

صرخ أوتار: «هل قالوا هذه الخيانة»؟.

أجاب كبير الخدم: «قالوا ذلك وأكثر، أيها الجيداك العظيم. قالوا إنك لا تخشى دخول غرف أوماي فحسب، لكنك تخشى أيضًا العبد توران، ويلومونك لطريقة معاملتك لأكور الذي يعتقدون أنه قُتِل بناء على أوامرك. إنهم يحبون أكور، ويقول العديدون الآن بصوت عال إن أكور كان يمكن أن يصبح جيداكًا رائعًا».

صرخ أوتار: «هل يجرؤون؟ يتجرأون على اقتراح اسم عبد لقيط لعرش أوتار!».

قال له إيثاس لتذكيره: «إنه ابنك، يا أوتار، ولا يوجد رجل محبوب أكثر منه في ماناتور. أنا لا أقول لك سوى الحقائق التي لا يمكن تجاهلها، ولا أجرؤ على ذلك إلا لأنك عندما تدرك الحقيقة، يمكنك إيجاد علاج للشرور المحيطة بعرشك».

هبط أوتار على مقعده الطويل؛ وبدا فجأة منكمشًا ومتعبًا وعجوزًا. صاح: «اللعنة على اليوم الذي شهد دخول هؤلاء الغرباء

الثلاثة إلى مدينة ماناتور. ليت يودور قد نجا. كان قويًا، يخشاه أعدائي، لكنه ذهب، قتله ذلك العبد البغيض توران، فلتحل عليه لعنة إيسوس!».

قال إيثاس متوسلًا: «يا جيداك، ماذا يجب أن نفعل؟ إلقاء اللعنات على العبد لن تحل مشاكلك».

قال أوتار في تضرع: «لكن موعد الحفل الكبير والزواج بعد ثلاثة أيام، وهو مناسبة لحفل عظيم، يعرف ذلك المحاربون والقادة جميعًا، إنه العُرف. وفي ذلك اليوم، تُمنح الهدايا والأوسمة. قل لي، من هم أكثرهم مرارة ضدي؟ سوف أرسلك بينهم لتنشر أنني أخطط تقديم مكافآت لما قدموه من خدمات سابقة للعرش. سوف أمنح القائد لقب الجِد، وأمنح المحارب لقب القائد، فضلًا عن منحهم القصور والعبيد. هه، إيثاس؟».

هز إيثاس رأسه قائلًا: «لن ينجح ذلك يا أوتار، لا يريدون هداياك أو أوسمتك. سمعتهم يقولون ذلك كثيرًا».

سأله أوتار: «ماذا يريدون؟».

أجاب إيثاس وهو يشعر بارتعاش ركبتيه: «إنهم يريدون من الجيداك أن يكون أشجع الشجعان».

صاح الجيداك: «إنهم يعتقدون أنني جبان؟».

واصل إيثاس: «يقولون إنك تخاف الذهاب إلى جناح أوماي القاسي».

جلس أوتار لفترة طويلة ورأسه غارق على صدره، يحدِّق نحو الأرض.

وأخيرًا تحدث بصوت أجوف لا يبدو على الإطلاق كصوت جيداك عظيم: «قل لهم إنني سوف أذهب إلى جناح أوماي وأبحث عن العبد توران».



الفصل (٢١)

مخاطرة من أجل الحب

«إيبه، إيبه، إنه جبان ويدعوني 'العجوز الأحمق'!» - كان إيجوس هو المتحدث، يخاطب مجموعة من القادة في إحدى غرف قصر أوتار، جيداك ماناتور - «لو كان أكور على قيد الحياة، لكان لدينا جيداك!».

سأله أحد القادة: «ومن قال إن أكور مات؟».

تساءل إيجوس: «أين هو إذن؟ ألم يختفِ الآخرون الذين أعتقد أوتار أيضًا أن المقربين من العرش يحبونهم؟».

هز القائد رأسه: «وأعتقد، أو بالأحرى أعرف، أنني قد أود الانضمام إلى يوثور عند بوابة الأعداء».

قال آخر مُحذِرًا: «شش، شش، ها هو لاعق الأحذية قادم»، واتجهت جميع الأعين نحو إيثاس المقترب نحوهم.

صاح: «كاور، يا أصدقاء!»، وهو يقف بينهم، لكن تحيته الودية لم تثر سوى إيماءات قليلة عابسة. واصل دون خجل من المعاملة التي أصبحت معتادة: «هل سمعتم الأخبار؟».

سأله إيجوس ساخرًا: «ماذا ... هل رأى أوتار أي أولسيو وأغمى عليه؟».

قال إيثاس لتذكيرهم: «لقد مات رجال لأقل من ذلك، أيها العجوز».

رد إيجوس: «أنا آمن، لأنني لست ابنًا شجاعًا وشعبيًا لجيداك ماناتور».

كانت هذه في الواقع خيانة صريحة، لكن إيثاس تظاهر بأنه لم يسمعها. تجاهل إيجوس، وتحوّل إلى الآخرين قائلًا: «سوف يذهب أوتار هذه الليلة إلى غرفة أوماي بحثًا عن العبد توران»، ثم أضاف متهكمًا عبارة يمكن أن تنتشر في أجزاء أخرى من القصر: «وهو حزين لأن محاربيه يفتقرون إلى شجاعة أداء هذه المهمة البسيطة، وبالتالي يضطر الجيداك إلى أن يقوم باعتقال عبد عادي». وفي واقع الأمر، كان الجزء الأخير من الرسالة من ابتكاره، وكان سعيدًا بإبلاغها إلى أعدائه ليصيبهم بالحرج. وعندما استعد لمغادرة تلك المجموعة الصغيرة من الرجال، ناداه إيجوس وسأله: «في أي ساعة ينوي أوتار زيارة جناح أوماي؟».

أجاب كبير الخدم: «في حوالي نهاية الزود الثامن»(٥٠)، ثم انصرف.

قال إيجوس: «سنرى».

سأل محارب: «ماذا سنرى؟».

«سنرى ما إذا كان أوتار سيزور غرفة أوماي».

---

(٥٠) حوالي الساعة الواحدة صباحًا بتوقيت كوكب الأرض.

«كيف؟».

أوضح المُحنِط العجوز: «سأكون هناك بنفسي، وإذا رأيته سأعرف أنه كان هناك. وإذا لم أره، سأعرف أنه لم يذهب».

سأل قائد: «هل هناك ما يملأ رجل صادق بالخوف؟ ماذا رأيت؟».

قال إيجوس: «ما رأيته ليس كثيرًا، لكنه كان سيئًا بما يكفي، كذلك ما سمعته».

«أخبرنا! أخبرنا بما سمعت ورأيت؟».

قال إيجوس: «رأيت أوماي الميت». ارتجف الآخرون.

سألوه: «ألم يصبك الجنون؟».

أجاب إيجوس: «هل أنا مجنون؟».

«وسوف تذهب مرة أخرى؟».

«نعم».

صاح أحدهم: «إذن أنت مجنون بالفعل».

همس آخر: «رأيت أوماي الميت، ولكن ما الأسوأ الذي سمعته؟».

«رأيت أوماي الميت راقدًا على أرضية غرفة نومه، وتشتبك إحدى قدميه في حرير وفراء النوم فوق أريكته. وسمعت أنينًا مروعًا وصرخات مخيفة».

سأل عديدون: «ولست خائفًا من الذهاب إلى هناك مرة أخرى؟».

قال إيجوس: «الموتى لا يمكنهم إلحاق الضرر بي، وهو يرقد هكذا

منذ خمسة آلاف سنة. كما أن الصوت لا يمكن أن يضرني. سمعت هذا الصوت مرة واحدة ولازلت حيًّا، ويمكنني أن أسمعه مرة أخرى. جاء الصوت تقريبًا من جانبي، حيث اختبأت وراء الستائر، وشاهدت العبد توران قبل أن أختطف المرأة بعيدًا».

قال قائد: «إيجوس، أنت رجل شجاع جدًّا».

«دعاني أوتار 'العجوز الأحمق'، وسوف أواجه مخاطر أسوأ من الاستلقاء في غرف أوماي المحظورة لأعرف إن لم يذهب إلى غرفة أوماي. وعندئذ سيسقط أوتار بالفعل!».

هبط الليل ومرت الساعات واقترب موعد زيارة أوتار، جيداك ماناتور، إلى غرفة أوماي بحثًا عن العبد توران. بالنسبة لنا، من يتشككون في وجود أرواح خبيثة، قد يبدو خوفه لا يُصدق؛ لأنه كان رجلًا قويًّا ومبارزًا ممتازًا ومحاربًا يتمتع بسمعة كبيرة، ولكن تظل الحقيقة أن أوتار الماناتوري كان متوترًا من الخوف وهو يجوب أروقة قصره نحو قاعات أوماي المهجورة. وعندما وقف أخيرًا ويده على الباب الذي يفتح الممر المترب المؤدي إلى الغرف نفسها، كاد الرعب أن يشله تقريبًا. لقد ذهب بمفرده لسببين ممتازين. أولهما ألَّا يلحظ أحد ذعره، ولا فراره إذا فشل في آخر لحظة. وثانيهما أنه إذا تمكن من تحقيق المهمة بمفرده أو نجح في إقناع قادته بذلك، فإن الفضل سيكون أكبر بكثير مما لو كان برفقة محاربين.

ولكن على الرغم من أنه بدأ بمفرده، فقد أدرك أن هناك من يتبعه. وكان يعلم أن ذلك يرجع إلى أن قومه لا يؤمنون بشجاعته أو بصدقه. لم

يكن يعتقد أنه سيجد العبد توران، ولم يكن يرغب كثيرًا في العثور عليه، فعلى الرغم من أن أوتار كان مبارزًا ممتازًا ومحاربًا شجاعًا في أي قتال فعلي، فقد شاهد طريقة مبارزة توران مع يودور، وليس على استعداد لمبارزة شخص يعرف أنه يتفوق عليه.

وهكذا، وقف أوتار ويده على الباب - يخشى الدخول، ويخشى عدم الدخول. وفي النهاية، أصبح خوفه من محاربيه، الذين يراقبونه من الخلف، أكبر من خوفه من المجهول الذي ينتظره وراء الباب العتيق، فدفع الباب الخشبي الثقيل، ودخل.

ساد الصمت والكآبة وغبار قرون عديدة ثقيلًا على الغرفة. كان يعرف من محاربيه الطريق الذي يجب أن يتخذه إلى غرفة أوماي المروعة، وبالتالي أجبر قدميه الكارهتين على الدخول إلى الغرفة أمامه، حيث وجد لاعبي الجيتان جالسين أمام لعبتهم الأبدية، ثم وصل إلى الممر القصير الذي يؤدي إلى غرفة أوماي. ارتعش سيفه في قبضة يده. كان يتوقف بعد كل خطوة لينصت السمع. وعندما وصل تقريبًا إلى باب الغرفة المسكونة بالأشباح، توقف قلبه داخل صدره وتصبب العرق البارد من جبينه، والتقطت أذناه المرتعدان صوت تنفس مكتوم. وكاد أوتار الماناتوري أن يفر أمام الرعب المجهول الذي لم يستطع رؤيته، لكنه يعرف أنه ينتظره في تلك الغرفة التي تقع أمامه. لكن خوف وازدراء محاربيه وقادته تبدّى له مرة أخرى. سوف يشوهون سمعته ويقتلونه في الصفقة. ما من شك فيما سيؤول إليه مصيره إذا هرب من جناح أوماي مرتعبًا، ولذلك، كان أمله الوحيد يكمن في التجرؤ على

اقتحام المجهول، أفضل من المصير المعروف.

تحرك إلى الأمام، اقتادته خطوات قليلة إلى المدخل. كانت الغرفة أمامه أكثر قتامة من الممر، بحيث بالكاد ما يُميز الأشياء الموجودة في الغرفة. شاهد منصة نوم بالقرب من وسط الغرفة، وبقعة أغمق لشيء ملقى على الأرض الرخامية بجانبها. انتقل خطوة أخرى في المدخل، واحتك غمد سيفه بالإطار الحجري، ولرعبه، شاهد حرير وفراء النوم فوق المنصة المركزية يتحرك. شاهد شيئًا ما ينهض ببطء من فراش موت أوماي القاسي، ويتخذ وضع الجلوس. اهتزت ركبتاه، لكنه استجمع كل قواه المعنوية، وأمسك سيفه بمزيد من الإحكام في أصابعه المرتعشة، استعدادًا للقفز عبر الغرفة عند ظهور هذا الشيء المروع. تردد للحظة. أحس بأعين تنظر نحوه -أعين غول تخترق الظلام إلى قلبه الهالك- أعين لا يستطيع رؤيتها. استجمع نفسه للانقضاض- وعندئذ انطلق من الشيء الجالس على الأريكة صراخًا مروعًا، وسقط أوتار فاقد الوعي على الأرض.

نهض جاهان من أريكة أوماي مبتسمًا، ليتجول سريعًا ممتشقًا سيفه، حيث التقطت أذناه الحريصتان ظلال ضوضاء تأتي من الظلال خلفه. رأى بين الستائر المتباعدة هيئة شخص منحنٍ ومليء بالتجاعيد. لقد كان إيجوس.

قال العجوز: «أغمد سيفك، يا توران، لا تخش من إيجوس».

سأله جاهان: «لماذا أنت هنا؟».

«لقد جئت للتأكد من أن الجبان الكبير لم يخدعنا. إيه، وقد

قال عني 'العجوز الأحمق'، ولكن، انظر له الآن! يرقد فاقد الوعي من الذعر، ولكن، إيبه، ربما يغفر له من سمع صرختك الخارقة. لقد عصفت بشجاعتي. كنت أنت إذن من أصدر الأنين والصراخ عندما جاء القادة يوم أن سرقت تارا منك؟».

سأل جاهان: «كنت أنت إذن، أيها الوغد العجوز؟»، وهو يتحرك تجاه إيجوس مُهدِدًا.

قال العجوز محتجًّا: «نعم، نعم! كنت أنا، لكني كنت حينذاك عدوك. أما الآن فلن أفعلها، فقد تغيرت الظروف».

سأله جاهان: «كيف تغيرت؟ وماذا غيّرها؟».

«أنا لم أكن أدرك تمامًا جُبن جيداكي، أو شجاعتك أنت والفتاة. أنا رجل عجوز من عصر آخر، وأحب الشجاعة. لقد استأت في البداية من هجوم الفتاة ضدي، لكني أدركت لاحقًا مدى شجاعتها وفازت بإعجابي، وكذا جميع أفعالها. لم تخف من أوتار، ولم تخف مني، ولم تخف من جميع محاربي ماناتور. وأنت! باسم دماء ملايين الآباء! يا لك من محارب! أعتذر لأني عرضتك إلى ملاعب الجيتان. وأعتذر لأني أعدت الفتاة تارا إلى أوتار. يمكنني إصلاح الأمر، وسأكون صديقك. ها هو سيفي أمام قدميك»، وسحب إيجوس سيفه وألقاه على الأرض أمام جاهان.

كان الجاثولي يعلم أنه يندر أن يتنصل أكثر المنبوذين من المحتالين من هذا التمهد الجليل، ولذا انحنى والتقط سيف الرجل العجوز وأعاده إليه، من المقبض، قبولًا لصداقته.

سأله جاهان: «أين الأميرة تارا الهيليومية؟ هل هي بأمان؟».

أجاب إيجوس: «هي محبوسة في برج مساكن النساء، انتظارًا للاحتفال الذي سيجعلها جيدارة ماناتور».

قال جاهان هادرًا: «هل تجرأ هذا الشيء على الاعتقاد بأن تارا الهيليومية يمكن أن تتزوجه؟ سوف أجهز عليه، إن لم يكن مات بالفعل من الخوف»، ثم خطا نحو أوتار الملقى على الأرض ليغمد سيفه في قلب الجيداك.

صاح إيجوس: «لا! لا تقتله، علينا أن نصلي ألا يكون قد مات إذا أردت أن تنقذ أميرتك».

سأل جاهان: «وكيف ذلك؟».

«إذا وصلت أخبار موت أوتار إلى مساكن النساء، ستضيع الأميرة تارا. تعرف النساء نية أوتار بالزواج منها وجعلها جيدارة ماناتور، ولذا تأكد أنهن جميعًا يكرهنّها ويشعرن بالغيرة منها. سلطة أوتار هي فقط ما يحميها الآن من الأذى. فإذا مات أوتار، سوف يسلمونها إلى المحاربين والعبيد الذكور، فلن يوجد من ينتقم لها».

أغمد جاهان سيفه، وقال: «وجهة نظرك جيدة، ولكن ماذا سنفعل معه؟».

قال إيجوس ناصحًا: «اتركه حيث يرقد. إنه لم يمت. وعندما يستعيد وعيه، سيرجع إلى قصره ليحكي حكاية شجاعته، ولن يوجد من يطعن في تباهيه، إلا إيجوس. هيا! قد يستعيد وعيه في أي لحظة ويجب ألا يجدنا هنا».

ذهب إيجوس إلى جسم الجيداك وركع بجانبه للحظة، ثم عاد مارًا بالأريكة إلى جاهان. غادر الاثنان غرفة أوماي واتجها نحو المدرج اللولبي. قاد إيجوس عندئذ جاهان إلى مستوى أعلى، ثم خرجا إلى سطح هذا الجزء من القصر، حيث أشار إلى برج عال قريب وقال: «هناك توجد أميرة هيليوم، وهي آمنة تمامًا حتى وقت الحفل».

قال جاهان: «آمنة، ربما، من أيدي الآخرين، ولكن ليس من نفسها. فهي لن تصبح أبدًا جيدارة ماناتور - ستدمر نفسها أولًا».

سأله إيجوس: «هل ستفعل ذلك؟».

أجاب جاهان: «ستفعل، إلا إذا أمكنك إيصال كلمة لها بأنني ما زلت أعيش، وأن الأمل لا يزال موجودًا».

قال إيجوس: «لا يمكنني إيصال كلمة لها. حراس أوتار في مساكن النساء أشداء، هم أكثر محاربيه وعبيده ثقة. ومع ذلك يوجد بينهم جواسيس عديدون، بحيث لا يعرف أحد مَنْ مع مَنْ. لا يسقط ظل داخل تلك الغرف دون أن ترقبه مائة عين».

وقف جاهان محدِّقًا في نوافذ البرج العالي المضاءة، في الغرف العليا المحبوسة فيها تارا الهيليومية، وقال: «سوف نجد طريقة، يا إيجوس».

قال العجوز: «لا توجد طريقة».

وقفا لبعض الوقت على السطح، تحت النجوم الرائعة وقمري المريخ المحتضِر المندفعين، يضعا الخطط الضرورية عندما يحين وقت

إحضار تارا الهيليومية من البرج العالي إلى قاعة عرش أوتار. وحينذاك، وفقط حينذاك، كما جادل إيجوس، يمكن أن يوجد أمل في إنقاذها. لم يكن جاهان يعرف إلى أي مدى يمكنه الثقة في إيجوس، ولذا احتفظ لنفسه بالخطة التي أرسلها عن طريق جيك إلى فلوران وفال دور، لكنه أكد للمُحنِّط العجوز أنه إذا كان مخلصًا في تصريحه المتكرر بضرورة إدانة أوتار وإحلال شخص آخر محله، فإن عليه أن يقتنص الفرصة في ليلة زواج الجيداك من أميرة هيليوم.

قال له جاهان مؤكِّدًا: «سيحين الوقت عندئذ يا إيجوس، وإذا كانت هناك أي أطراف تفكر بنفس طريقتك، عليك إعدادهم للاحتمال الذي يلي محاولة أوتار الافتراضية بالزواج من ابنة أمير الحرب. أين أراك مرة أخرى، ومتى؟ سأذهب الآن للتحدث مع تارا أميرة هيليوم».

قال إيجوس: «أحب جرأتك، لكنها دون جدوى. لن تتمكن من الحديث مع تارا، أميرة هيليوم، على الرغم من أن دماء الكثيرين من الماناتوريين سوف تسيل دون شك فوق أرضية طوابق مسكن النساء قبل أن يذبحوك».

ابتسم جاهان، قائلًا: «لن أُقتل. أين ومتى سنلتقي؟ لكنك قد تجدني في غرفة أوماي ليلًا. يبدو أنها آأمن ملاذ في ماناتور كلها لعدو الجيداك الذي تقع في قصره. أنا ذاهب!».

قال إيجوس: «فلتحيط بك أرواح أسلافك».

غادر العجوز، وشق جاهان طريقه عبر سقف البرج العالي، الذي يبدو مُشيَّدًا من الخرسانة ومنحوتًا بشكل متقن، وسطحه كله مُغطى

بتصاميم مُعقدة مشقوقة بعمق في المادة الشبيهة بالحجر التي يتكون منها. وعلى الرغم من أنه مُشيد منذ عصور، فلم يتأثر سوى قليلًا بجفاف طقس المريخ، وندرة هطول الأمطار، وندرة العواصف الترابية. وعلى الرغم من تلك الصعوبات والمخاطر التي ربما ردعت أشجع الرجال، فإنها كانت لتردع جاهان، دون شك، إن لم يشعر أن حياة المرأة التي يحبها تتوقف على إنجازه هذه المهمة البطولية الخطيرة.

خلع صندله، ووضع عتاده وأسلحته كلها جانبًا ما عدا حزام واحد يحمل خنجرًا، وبدأ الجاثولي محاولة الصعود الخطير. تشبث بالنقوش المنحوتة بيديه وقدميه وأخذ يصعد ببطء، متجنبًا النوافذ ومحافظًا على وجوده في الجانب الظليل من البرج بعيدًا عن ضوء القمرين ثوريا وكلوروس. يرتفع البرج حوالي خمسين قدم فوق سقف الجزء المجاور للقصر، ويتكون من خمسة مستويات أو طوابق ذات نوافذ تنظر في كل اتجاه. كان عدد قليل من النوافذ ذات شرفات، وقد سعى نحوها جاهان أكثر من النوافذ الأخرى التي سعى إلى تجنبها. وعلى الرغم من أن الوقت الآن أقرب إلى نهاية الزود التاسع، كان هناك احتمال ضئيل أن الكثيرين لا يزالون مستيقظين داخل البرج.

تقدم دون ضجيج ووصل أخيرًا إلى نوافذ المستوى العلوي دون أن يُكتشَف. كانت هذه النوافذ، مثل النوافذ العديدة الأخرى التي مر بها على المستويات الأدنى، موصدة بقضبان كثيرة، بحيث لا توجد أي إمكانية لدخوله إلى الشقة المحبوسة فيها تارا. أخفى الظلام الجزء الداخلي خلف النافذة الأولى التي اقترب منها. وكانت النافذة الثانية

تُفتح على غرفة مضاءة، حيث أمكنه رؤية حارس نائم في موقعه خارج باب. توجد هنا أيضًا قمة المدرج الذي يؤدي إلى المستوى التالي أدناه. دار جاهان حول البرج واقترب من نافذة أخرى، لكنه الآن يتشبث بجانب البرج الذي ينتهي إلى فناء على مسافة مائة قدم أدناه، وسيصل إليه بعد فترة قصيرة ضوء القمر ثوريا. أدرك أن عليه أن يسرع، وصلّى أن يجد تارا الهيليومية خلف النافذة التي يقترب منها الآن.

وصل إلى الفتحة ونظر داخلها، ووجد غرفة صغيرة خافتة الإضاءة. توجد في وسط الغرفة منصة نوم، يرقد فوقها شخص مغطى بالحرير والفراء. برز من تحت الغطاء ذراع عارٍ، يمتد فوق جلد الأورلوك[٥١] المخطط بالأسود والأصفر - ذراع يتمتع بجمال عجيب، يلتف حوله سوار يعرفه جاهان. كانت الغرفة كلها مرئية لجاهان، ولم يشهد فيها أي مخلوق آخر. ضغط الجاثولي وجهه على القضبان، وهمس اسمها العزيز. تقلبت الفتاة، لكنها لم تستيقظ. ناداها مرة أخرى، بصوت أعلى. جلست تارا ونظرت حولها، وفي اللحظة نفسها نهض عبد ضخم من الخصيان كان راقدًا على الأرض بالقرب من هذا الجانب من المنصة البعيدة عن جاهان. وفي الوقت نفسه ومض بالكامل ضوء القمر ثوريا الرائع عند النافذة التي يتشبث بها جاهان، مما ألقى بظله واضحًا أمام الاثنين داخل الغرفة.

قفز الاثنان واقفين. سحب العبد الخصي سيفه وقفز نحو النافذة

---

(٥١) أورلوك: هو وحش شرس يشبه الفيل، يوجد على وجه الحصر تقريبًا في مناطق أقصى شمال المريخ - http://barsoom.wikia.com/wiki/Orluk - المترجمة.

التي يتشبث بها جاهان العاجز، الذي كان يمكن أن يسقط ضحية سهلة لضربة واحدة من السلاح القاتل الذي يحمله العبد، لولا أن تارا الهيليومية هجمت على حارسها وسحبته إلى الخلف. كما سحبت، في الوقت نفسه، خنجرها النحيل من مكان اختبائه في عتادها، وعندما حاول العبد إبعادها، غرزت خنجرها في قلبه. مات دون صوت، واندفع نحو الأرض. ثم ركضت تارا إلى النافذة.

صاحت: «توران، يا قائدي! يا لها من مخاطرة رهيبة تخوضها لتبحث عني هنا، حيث يعجز حتى قلبك الشجاع عن مساعدتي».

أجاب: «لا تتأكدي من ذلك، يا قلب قلبي. حين أحمل الكلمات إلى حبيبتي، تكون بشيرًا بالأفعال، التي أتمنى أن تعيدك لي إلى الأبد. لقد خشيت أن تقتلي نفسك، تارا الهيليومية، تجنبًا للخزي الذي سيلحقه بك أوتار، ولذا جئت لأمنحك أملًا جديدًا وأتوسل إليك أن تعيشي من أجلي خلال أي ظروف قد تحدث، مع العلم بأن هناك طريقة الآن، وإذا سارت الأمور جيدًا سوف نتحرر أخيرًا. ابحثي عني في قاعة عرش أوتار في الليلة التي سيتزوجك فيها. والآن، كيف يمكننا التخلص من هذا الزميل؟»، وأشار إلى العبد الميت على الأرض.

أجابت: «لسنا بحاجة إلى أن نشغل أنفسنا بذلك. لن يجرؤ أحد على إيذائي خوفًا من غضب أوتار، وإلا لكنت مت بمجرد دخولي هذا الجزء من القصر، فالنساء تكرهني. أوتار فقط هو من يمكنه معاقبتي، وهل يهتم أوتار بحياة هذا العبد الخصي؟ كلا، لا تقلق من هذا الموضوع».

كانت أيديهم متشابكة بين القضبان، والآن أخذ جاهان يقربها أكثر منه.

قال: «قُبلة واحدة قبل أن أذهب، يا أميرتي»، وهمست الابنة الفخورة لديجاه ثوريس، أميرة هيليوم، وأمير الحرب في برسوم: «يا قائدي!»، وضغطت شفتيها على شفاه توران، البانتان.



الفصل (٢٢)

في لحظة الزواج

كان صمت القبر يحيط ثقيلًا بأوتار، جيداك ماناتور، عندما فتح عينيه في غرفة أوماي. اجتاح وعيه ما تذكره من أحداث مخيفة واجهته. أنصت، لكنه لم يسمع أي شيء. لا يوجد أي شيء ظاهر في نطاق رؤيته يمكن أن يسبب إنذارًا بالخطر. رفع رأسه ببطء، ونظر حوله. يوجد على الأرض بجوار الأريكة الشيء الذي لفت انتباهه بداية، وأغلق عينيه مرعوبًا عندما تعرف عليه، لكنه لم يتحرك ولم يتحدث. فتح أوتار عينيه ثانية، ونهض على قدميه. كانت جميع أطرافه ترتجف. لم يكن على المنصة الشيء الذي شاهده يتحرك ويقوم منها.

تراجع أوتار ببطء من الغرفة. وصل أخيرًا إلى الممر الخارجي، ووجده فارغًا. لم يعرف أن الممر سرعان ما أصبح خاليًا ما أن اختلطت الصرخة العالية بصرخته وأفزعت آذان المحاربين المُرسلين للتجسس عليه. نظر إلى الساعة الموجودة في سوار ضخم على ساعده الأيسر. انقضى ما يقرب من نصف الزود التاسع. ظل أوتار فاقدًا للوعي لمدة

ساعة. لقد أمضى ساعة في قاعة أوماي ولم يمت! نظر إلى وجه سلفه، ولا يزال عاقلًا! هز نفسه وابتسم. سرعان ما تمكن من السيطرة على أعصابه المهتزة عندما وصل إلى الجزء الذي يقطنه من القصر. كان يمشي مختالًا وذقنه مرتفع. ذهب إلى قاعة المأدبة وهو يعلم أن قادته في انتظاره هناك. وعندما دخل، نهض الجميع وعلى وجوههم الكثير من التشكك والدهشة؛ إذ لم يكن في اعتقادهم أنهم سوف يرون الجيداك أوتار مرة أخرى بعد أن أخبرهم الجواسيس عن الأصوات المروعة التي تصدر من غرفة أوماي. كان أوتار شاكرًا لأنه ذهب وحده إلى غرفة الرعب تلك، فلا يوجد أحد يمكنه أن ينكر الحكاية التي يجب أن يحكيها.

هرع إيثاس نحوه لتحيته، فقد رأى إيثاس نظرات سوداء موجهة نحوه عندما مضى الوقت ولم يعُد.

صاح كبير الخدم: «أيها الجيداك الشجاع المجيد جيداك! سعدنا بعودتك سالمًا وأرجوك أن تحكي لنا قصة مغامرتك».

صاح أوتار: «ليس هناك أي شيء. لقد بحثت في الغرف بعناية واختبأت منتظرًا عودة العبد توران، إذا كان غائبًا بشكل مؤقت، لكنه لم يأتِ. لم يكن هناك، وأشك أنه ذهب أصلًا إلى هناك. قليلون هم من يختارون البقاء لفترة طويلة في هذا المكان الكئيب».

سأله إيثاس: «ألم تواجه أي هجوم؟ ألم تسمع صرخات أو أنين؟».

«سمعت أصواتًا بشعة، ورأيت هيئات شبحية، لكنهم فروا قبل أن أتمكن من إمساك أي منهم، ونظرت إلى وجه أوماي ولم يصبني الجنون. وقد استرحت حتى في القاعة بجوار جثته».

أخفى رجل منحنٍ ومجعد، في ركن بعيد من الغرفة، ابتسامته خلف كأس ذهبي من الشراب القوي.

صاح أوتار: «هيا! لنشرب!»، ثم مد يده للإمساك بخنجره، الذي اعتاد أن يدق بمقبضه على الجرس لاستدعاء العبيد، لكن الخنجر لم يكن في غمده. شعر أوتار بالحيرة؛ كان يعرف أن الخنجر في مكانه قبل دخوله قاعة أوماي مباشرة، فقد تحسس جميع أسلحته بعناية للتأكد من وجودها كلها. استخدم، بدلًا من الخنجر، أحد أدوات المائدة وضرب الجرس. وعندما جاء العبيد، أمرهم بإحضار أقوى مشروب لأوتار وقادته. قبل طلوع الفجر، كانت عبارات الإعجاب العديدة تنساب من الشفاه المخمورة - إعجاب بشجاعة الجيداك، لكن هناك البعض الآخر الذين لا تزال الكآبة ترتسم على وجوههم.

* * *

جاء أخيرًا اليوم الذي سيتخذ فيه أوتار من الأميرة تارا الهيليومية زوجة له. ظلت الجواري لساعات يجهزن العروس الرافضة. استغرقت سبعة حمامات مُعطرة ثلاث ساعات طويلة مضجرة، ثم دُهِن جسمها كله بزيت زهرة البيماليا ودلكته أصابع بارعة من إماء دوسار البعيدة. ارتدت أغطية جديدة، صُنعت خصيصًا لهذه المناسبة، من جلد القرود البيضاء الكبيرة في برسوم، مرصعة بالكثير من البلاتين والألماس. تجمعت كتلة شعرها السوداء اللامعة في تسريحة فخمة، امتلأت بمشابك من الألماس بحيث تألقت كنجوم السماء في ليلة غير مقمرة.

لكن العروس التي اقتادوها من البرج العالي إلى قاعة عرش أوتار

كانت متجهمة ومتحدية. امتلأت الممرات بالعبيد والمحاربين ونساء القصر والمدينة، الذين صدرت إليهم الأوامر لحضور الحفل الذي ضم كل سلطة وفخر وثروة وجمال ماناتور. تحركت تارا ببطء، محاطة بحرس الشرف، على طول الممرات الرخامية المليئة بالناس. استقبلها إيثاس، رئيس الخدم، عند مدخل قاعة القادة. كانت القاعة فارغة، باستثناء صفوف القادة الأموات فوق ركوباتهم الميتة. رافقها إيثاس على طول هذه الغرفة الطويلة إلى قاعة العرش التي كانت فارغة أيضًا؛ إذ تختلف مراسم الزواج في ماناتور عن بلدان برسوم الأخرى. هنا تنتظر العروس عريسها أسفل السلالم المؤدية إلى العرش. سار خلفها الضيوف واتخذوا أماكنهم، تاركين الممر المركزي من قاعة القادة إلى العرش فارغًا، حيث يقترب أوتار من عروسه بمفرده بعد تواصله الانفرادي القصير مع الموتى خلف أبواب مغلقة في قاعة القادة؛ كما يقضي العُرف.

ملأ الضيوف قاعة القادة، وأُغلِقت الأبواب في طرفي القاعة. والآن، فتح الواقفون -عند النهاية السفلى من القاعة- الباب ودخل أوتار. كان عتاده الأسود مزخرفًا بالياقوت والذهب، وغطى وجهه بقناع بشع من المعدن الثمين الذي يضم قطعتين هائلتين من الياقوت محل العينين، ويوجد أسفلهما شقان ضيقان يمكن الرؤية من خلالهما. وكان تاجه عبارة عن شبكة للرأس تدعم ريشات منحوتة من نفس معدن القناع. وبأدق التفاصيل، صُنعت شعارات العريس الملكية وفقًا لأعراف ماناتور. والآن، ووفقًا للأعراف نفسها، جاء وحده إلى قاعة القادة للحصول على مباركة مجلس عظماء ماناتور الذين سبقوه.

أُغلقت أبواب النهاية السفلية للقاعة بعد دخوله، ووقف الجيداك أوتار بمفرده مع الموتى العظماء. حسب ما تُمليه العصور، يجب ألا تنظر أي عين بشرية على المشهد داخل هذه القاعة المقدسة. وكما يحترم أقوياء ماناتور تقاليد مانانور، فلنحترم نحن أيضًا تلك التقاليد لشعب فخور وحساس. لماذا تهمنا الأحداث التي تجري في غرفة الموتى المهيبة تلك؟

مرت خمس دقائق. وقفت العروس صامتة أسفل العرش. يتحدث الضيوف معًا في همسات منخفضة، حتى امتلأت الغرفة بهمهمة أصوات كثيرة. تأرجحت مفتوحة الأبواب المؤدية إلى قاعة القادة، ووقف العريس متألقًا مستعدًّا للافتتاح الضخم. سقط صمت على ضيوف حفل الزفاف. اقترب العريس من عروسه بخطوة مدروسة ومثيرة للإعجاب. شعرت تارا بانقباض عضلات قلبها في ظل تعاظم مخاوفها حول مصيرها دون أن تصلها أي علامة من توران. أين هو؟ ماذا يمكنه أن يفعل الآن لإنقاذ حياتها؟ كانت محاطة برجال أوتار دون وجود صديق بينهم، وبدا موقفها في النهاية دون أمل.

«ما زلت أعيش!»، همست تارا لنفسها في محاولة شجاعة أخيرة لمكافحة اليأس الرهيب الذي يغمرها، لكنها مدت أصابعها خلسة للاطمئنان على النصل النحيل الذي تمكنت من نقله سرًّا من عتادها القديم إلى الجديد. يقف العريس الآن بجانبها وأمسك يدها ليقودها أعلى السلالم المؤدية للعرش، حيث توقفا ووقفا يواجهان التجمع أدناه. جاء بعد ذلك، من الجزء الخلفي من الغرفة، موكب يرأسه

شخص عالي المقام تكمن مهمته في تزويجهما، ويسير خلفه مباشرة شباب يرتدون ملابس أنيقة ويحملون وسادة حريرية فوقها أساور ذهبية متصلة بسلسلة قصيرة من الذهب، بحيث ينتهي الحفل عندما يقوم صاحب المقام الرفيع بشبك الأساور حول معصميهما رمزًا لاتحادهما السرمدي في رابطة الزواج المقدسة.

هل يأتي إنقاذ توران الموعود بعد فوات الأوان؟ استمعت تارا إلى التراتيل الطويلة المملة لطقوس الزفاف. وسمعت الإفراط في فضائل أوتار وجمال العروس. اللحظة تقترب، ولا توجد حتى الآن أي علامة على توران. ولكن، ماذا يمكنه أن يفعل إذا نجح في الوصول إلى قاعة العرش، غير أن يموت معها؟ قد لا يوجد أي أمل في الإنقاذ.

رفع صاحب المقام الرفيع الأساور الذهبية من الوسادة. باركها، ثم قربها من معصم تارا. لقد حان الوقت! لا يمكن بجميع قوانين برسوم أن يستمر الوضع، حية أو ميتة، وأن تصبح زوجة لأوتار المانانوري ما أن تُغلق الإسورتين معًا. وحتى إذا أتى الإنقاذ الآن أو لاحقًا، لا يمكنها أبدًا أن تفك تلك الأساور، وسيفقدها توران كأنما فرق الموت بينهما.

امتدت يدها نحو النصل المخفي، لكن يد انطلقت على الفور وأمسكت معصمها. لقد خمّن نيتها. تمكنت من خلال الشقين في القناع البشع أن ترى عينيه تركزان على عينيها، وخمنت الابتسامة الساخرة التي يخفيها القناع. وقف الاثنان هكذا للحظة متوترة. التزم الناس أسفل العرش بصمت لاهث، فالمسرحية التي تجري أمام العرش لم تمر مرور الكرام.

تضاعفت درامية اللحظة فجأة، مع الصخب الذي صاحب فتح الأبواب المؤدية إلى قاعة القادة. تحولت كل الأعين في اتجاه الباب وشاهدوا شخصًا آخر عند البوابة الضخمة - شخصًا لا يرتدي ملابس كاملة، بل يحاول ضبط عتاده على عجل في موضعه - إنه أوتار، جيداك ماناتور.

«توقفوا!»، صرخ وهو يركض إلى الأمام على طول الممر نحو العرش، «اقبضوا على هذا المحتال!».

انطلقت كلّ الأعين نحو العريس الواقف أمام العرش. شاهدوه يرفع يده وينتزع القناع الذهبي، واتسعت أعين تارا الهيليومية وهي تنظر بتشكك في وجه البانتان توران.

صاح الجميع: «العبد توران. الموت له! الموت له!».

«انتظروا!»، صاح توران وهو يمتشق سيفه، حيث قفز اثنا عشر محاربًا إلى الأمام.

«انتظروا!»، صاح صوت آخر، عجوز ومُجعد، إنه صوت إيجوس، الذي انطلق من بين الضيوف ووصل إلى سلالم العرش قبل المحاربين.

توقف المحاربون عند رؤية الرجل العجوز، ذلك أن شعب برسوم يكن التبجيل لكبار السن، كما هو الحال، ربما، لدى جميع الشعوب التي تستند أديانها بأي قدر إلى عبادة الأسلاف. لكن أوتار لم يعره أي اهتمام، وقفز بسرعة نحو العرش. صاح إيجوس: «توقف يا جبان!».

نظر الناس إلى الرجل العجوز في ذهول، حيث قال بصوته الرفيع

الحاد: «يا رجال ماناتور، أتقبلون أن يحكمكم جبان وكاذب؟».

صاح أوتار: «لتسقط معه!».

رد إيجوس: «ليس قبل أن أتحدث، فهذا حقي. إذا فشلت، عقابي هو القتل – هذا ما تعرفونه جميعًا وأعرفه أنا أيضًا. ولذلك، أطلب منكم أن تسمعوني. هذا حقي!».

تعالت أصوات المحاربين من مختلف أنحاء القاعة: «هذا حقه».

واصل إيجوس: «يمكنني إثبات أن أوتار جبان وكاذب. لقد قال إنه واجه بشجاعة أهوال غرفة أوماي ولم ير العبد توران. أنا كنت هناك، مختبئًا وراء الستائر، ورأيت كل ما حدث. كان توران مختبئًا في الغرفة، وحتى كان راقدًا على أريكة أوماي عندما دخل أوتار الغرفة وهو يرتجف من الخوف. ارتبك توران، فنهض متخذًا وضع جلوس، وهو يطلق في الوقت نفسه صرخة حادة. صرخ أوتار وسقط مغشيًا عليه».

صاح أوتار: «هذه كذبة!».

رد إيجوس: «ليست كذبة، ويمكنني إثبات ذلك. هل تذكرون ليلة عودته من جناح أوماي متفاخرًا بمآثره، وعندما أراد استدعاء العبيد لجلب النبيذ، ومد يده إلى خنجره ليقرع الجرس بمقبضه كعادته دائمًا؟ هل لاحظ أي منكم ذلك؟ وأنه لم يجد خنجره؟ يا أوتار، أين الخنجر الذي حملته معك إلى غرفة أوماي؟ أنت لا تعرف، لكنني أعرف. عندما سقطتَ فاقد الوعي من الرعب، أخذت خنجرك من عتادك، وأخفيته بين حرير النوم على أريكة أوماي. والخنجر هناك حتى الآن، ومن يشك

في ذلك، يمكنه أن يذهب إلى هناك وسوف يجده، ويعرف أن الجيداك جبان».

سأل أحد الحضور: «ولكن ماذا عن هذا المحتال؟ هل سيقف دون عقاب على عرش ماناتور، بينما نحن نتشاجر حول حاكمنا؟».

أجاب إيجوس: «لقد عرّفتنا شجاعته مدى جُبن أوتار، ومن خلاله سوف نحصل على جيداك أعظم».

«سوف نختار جيداكنا. امسكوا العبد واقتلوه!». تعالت صرخات الموافقة من جميع أنحاء الغرفة. كان جاهان ينصت بانتباه، كأنما لالتقاط صوت يأمل في سماعه. شاهد المحاربين يقتربون من المنصة، حيث يقف ممتشقًا سيفه وذراعه الأخرى تلتف حول تارا الهيليومية. وتساءل عما إذا كانت خططه قد فشلت في النهاية. وهو ما يعني عندئذ موته، كما يعرف أن تارا ستقتل نفسها إذا سقط. هل كانت كل جهوده لخدمتها دون جدوى؟

ألحّ العديد من المحاربين على ضرورة إرسال شخص على الفور إلى غرفة أوماي للبحث عن الخنجر الذي يُثبت، إذا وُجد، جُبن أوتار.

وافق ثلاثة محاربين أخيرًا على الذهاب. قال لهم إيجوس مؤكِدًا: «ما من داعٍ للخوف. لا يوجد هناك ما يمكن أن يلحق بكم الأذى. لقد ذهبت كثيرًا مؤخرًا، والعبد توران نام هناك ليالٍ عديدة. والصراخ والأنين الذي أخافكم وأخاف أوتار أطلقه توران لإبعادكم عن مكان اختبائه». غادر الثلاثة القاعة بخجل، وذهبوا للبحث عن خنجر أوتار.

تحول اهتمام الآخرين ثانية إلى جاهان. اقتربوا من العرش ممتشقين سيوفهم، لكنهم كانوا يتحركون ببطء لأنهم شاهدوا هذا العبد في ملعب جيتان ويعلمون براعته في المبارزة. وصلوا إلى أدنى السلم، عندما انطلق من أعلى دوي عميق، وتلاه آخر، ثم آخر، وابتسم توران وتنفس الصعداء. ربما لم يفت الأوان بعد. توقف المحاربون يستمعون، كما فعل الآخرون في الغرفة. اخترق آذانهم الآن دوي عال جاء من أعلى، كأنما يقاتل الرجال على أسطح القصر.

تساءلوا واحدًا بعد الآخر: «ما هذا؟».

قال أحدهم: «اندلعت عاصفة كبيرة عبر ماناتور».

قال أوتار آمرًا: «لا تهتموا بالعاصفة إلى أن تقتلوا المخلوق الذي يجرؤ على الوقوف على عرش جيداككم، اقبضوا عليه!».

وحتى عندما توقف عن الحديث، انفتحت الستائر وراء العرش وخرج منها محارب وصعد على المنصة. انطلقت هتافات الدهشة والحيرة من شفاه محاربي أوتار، صاحوا: «يوثور! ما هذه الخيانة؟».

قال يوثور بصوته العميق: «إنها ليست خيانة. أتيت لكم بجيداك جديد لكل ماناتور. ليس رعديد كاذب، وإنما رجل شجاع تحبونه».

تنحى جانبًا، وظهر شخص آخر من الممر الخفي وراء الستائر. كان أكور، وبرؤيته انطلقت هتافات الدهشة والسعادة والغضب، عندما أدركت الفصائل المختلفة الانقلاب الذي تم ترتيبه بمكر. جاء خلف أكور محاربون آخرون إلى أن ازدحمت بهم المنصة – جميع الرجال

من ماناتور، من مدينة ماناتوس.

كان أوتار يحث محاربيه على الهجوم، عندما اقتحم بادوار ملطخ بالدماء وأشعث القاعة من مدخل جانبي. صاح بصوت عال: «لقد سقطت المدينة! تتدفق جحافل ماناتوس عن طريق بوابة الأعداء. وقد هب عبيد جاثول ودمروا حراس القصر. ويهبط محاربون من سفن كبيرة على سطح القصر، وفي ملاعب جيتان. ويسير رجال هيليوم وجاثول عبر أنحاء ماناتور. إنهم يصيحون بصوت عال من أجل أميرة هيليوم، ويقسمون بترك ماناتور محترقة مشتعلة تستهلك جثث جميع أفراد شعبنا. تلونت السماء باللون الأسود من السفن، التي تأتي في مواكب كبيرة من الشرق والجنوب».

تأرجحت أبواب قاعة القادة مفتوحة مرة أخرى، واستدار رجال ماناتور لمشاهدة شخص آخر يقف عند العتبة - رجل قوي، أبيض البشرة، وشعره أسود، وأعينه رمادية تلمع الآن كنقاط من الصلب. امتلأت خلفه قاعة القادة بمقاتلين يرتدون عتاد بلدان بعيدة. قفز قلب تارا الهيليومية فرحًا عندما رأته؛ كان جون كارتر، أمير الحرب في برسوم، على رأس مجموعة منتصرة لإنقاذ ابنته، وإلى جانبه دجور كانتوس خطيبها.

نظر أمير الحرب لحظات إلى المتجمعين قبل أن يتحدث. قال: «ألقوا أسلحتكم، يا رجال ماناتور. أرى ابنتي وإنها حية. وإذا لم يصبها أي ضرر، فلا حاجة إلى إراقة الدماء. تمتلئ مدينتكم بمقاتلي يوثور، ومقاتلين من جاثول ومن هيليوم. والقصر في أيدي العبيد

الجاثوليين، إلى جانب ألف من محاربي هيليوم الذين يملؤون القاعات والغرف المحيطة بهذه القاعة. يقع مصير جيداككم بين أيديكم. وليست لدي رغبة في التدخل. لقد جئت فقط لأجل ابنتي وتحرير عبيد جاثول. لقد أنهيت حديثي!». ودون انتظار لرد، ومع امتلاء الغرفة برجاله وليس مجموعة معادية، خطا إلى الممر الرئيس الواسع نحو تارا الهيليومية.

أصاب الذهول قادة ماناتور. نظروا إلى أوتار، لكنه لم يستطع إلا أن ينظر عاجزًا حوله، والعدو يدخل قاعة القادة ويحيط بقاعة العرش إلى أن حاصرها تمامًا. وعندئذ دخل دوّار من جيش هيليوم.

وجه كلامه إلى أمير الحرب قائلًا: «ألقينا القبض على ثلاثة قادة، طلبوا السماح لهم بدخول قاعة العرش وتقديم تقرير إلى زملاءهم عن بعض الأمور التي يقولون إنها ستقرر مصير ماناتور».

قال أمير الحرب آمرًا: «أدخلهم».

دخلوا تحت حراسة مشددة وتوقفوا عند السلالم المؤدية إلى العرش، حيث رفع أحدهم يده اليمنى أمام الآخرين من ماناتور وهو يمسك بخنجر مرصع بالجواهر. وقال: «وجدناه، وجدنا الخنجر في الموضع الذي أخبرنا به إيجوس»، ثم نظر بتهديد إلى أوتار.

هتف صوت: «أكور، جيداك ماناتور!»، وردد مائة محارب بصوت أجش الهتاف.

قال القائد الذي يحمل الخنجر: «لا يمكن أن يوجد في ماناتور إلا

جيداك واحد»، ثم سار نحو أوتار التعيس وعيناه مثبتتان نحوه، عارضًا الخنجر على كفه الممدودة إلى الحاكم الذي فقد مصداقيته. ردد القائد الهتاف: «لا يمكن أن يوجد في ماناتور إلا جيداك واحد».

أخذ أوتار الخنجر المرفوع، ووقف معتدلًا، وغرسه كاملًا في صدره؛ إذ بهذا العمل الفردي يستعيد نفسه في تقدير قومه ويفوز بمكانة أبدية في قاعة القادة.

مع سقوطه، ساد الصمت في القاعة الكبرى، إلى أن حطمه الآن صوت يوثور. صاح: «مات أوتار! لندع أكور يحكم إلى أن يجتمع قادة ماناتور لاختيار جيداك جديد. ما رأيكم؟».

ملأ القاعة هتاف: «لندع أكور يحكم! أكور، جيداك ماناتور!»، دون أي صوت معارض.

رفع أكور سيفه طلبًا للصمت، وقال: «إنها إرادة أكور، وإرادة جِد ماناتوس الأكبر، وقائد أسطول جاثول، والشهير جون كارتر، أمير الحرب في برسوم، أن يسود السلام مدينة ماناتور، وبالتالي أطالب رجال ماناتور بالترحيب بالمقاتلين من حلفائنا كضيوف وأصدقاء، وأن تُظهِروا لهم عجائب مدينتنا القديمة وضيافة ماناتور. لقد تحدثت». صرف يوثور وجون كارتر محاربيهم، وأمروهم بقبول ضيافة ماناتور. وعندما أصبحت الغرفة خالية، اقترب دجور كانتوس من تارا الهيليومية. فسدت سعادة الفتاة بالإنقاذ عندما رأت هذا الرجل الذي أخبرها قلبها الطاهر أنها ظلمته. لقد أفزعتها المحنة التي تقع أمامها والعار الذي يجب أن تعترف به قبل أن تأمل في التحرر من التفاهم الذي كان بينهما

لفترة طويلة. اقترب منها الآن دجور كانتوس، وركع أمامها ورفع أصابعها إلى شفتيه.

قال: «ابنة هيليوم الجميلة، كيف أقول لك الشيء الذي يجب أن أخبرك به - عن الخزي الذي فعلته معك عن غير قصد؟ لا يسعني إلا أن أستند على كرمك للصفح عني، لكنني مستعد إذا أردتِ أن أتلقى طعنة خنجر بشرف كما فعل أوتار».

سألته تارا: «ماذا تقصد؟ عما تتحدث - لماذا تتحدث هكذا بالألغاز إلى امرأة قلبها يتحطم بالفعل؟».

قلبها يتحطم بالفعل! لم يكن المشهد واعدًا، وتمنى البادوار الشاب أن يموت قبل أن يضطر إلى قول الكلمات التي يجب أن يقولها الآن.

واصل قائلًا: «تارا الهيليومية، لقد اعتقدنا جميعًا أنكِ مُتِ؛ إذ اختفيت من هيليوم لمدة سنة طويلة. لقد حزنت عليك حقًّا، ثم بعد مرور أقل من دورة قمر تزوجت من أولفيا مارثيس». توقف، ونظر إليها بأعين كأنما تقول: «وجهي لي الآن ضربة تُميتني!».

صاحت تارا: «أوه، يا لك من رجل أحمق! لا يوجد شيء فعلته يمكن أن يسعدني أكثر من ذلك. دجور كانتوس، يمكنني أن أُقبِّلك!».

قال والابتسامات تكلل وجهه: «لا أعتقد أن أولفيا مارثيس تمانع». خلال حديثهما، دخلت مجموعة من الرجال إلى قاعة العرش واقتربت من المنصة. كانوا طوال القامة ويرتدون عتادًا بسيطًا يخلو تمامًا من الزخارف. وما إن وصل قائدهم إلى المنصة، حتى أشارت تارا إلى

جاهان أن ينضم إليهم.

قالت: «دجور كانتوس، أقدم لك توران البانتان، الذي فاز ولاؤه وشجاعته بحبي».

نظر جون كارتر وقائد المحاربين الجدد القادمين، الذين يقفون عن قرب، إلى المجموعة الصغيرة بسرعة. ابتسم جون كارتر ابتسامة غامضة، ووجه قائد المحاربين كلامه إلى أميرة هيليوم، قائلًا: «توران البانتان! ألا تعرفين يا ابنة هيليوم الجميلة أن هذا الرجل الذي تعتبرينه البانتان هو جاهان، جِد جاثول؟».

بدت المفاجأة على تارا الهيليومية لمجرد لحظة، ثم هزت كتفيها الجميلتين، وهي تدير رأسها لتنظر عبر إحداهما نحو جاهان الجاثولي.

وقالت: «جِد أو بانتان، وما الفارق الذي يُحدثه ما كان عليه عبدي؟»؛ وضحكت بخبث في وجه حبيبها المبتسم.

* * *

وبعد أن أنهى جون كارتر قصته، نهض من المقعد المقابل ووقف بهيئته العملاقة مثل أسد الغابة.

قلت له: «أيجب أن تذهب؟»، فلم أكن أرغب أن يغادر، حيث بدا وكأنه ظل معي لمجرد لحظة.

أجاب: «لقد تحولت السماء بالفعل إلى اللون الأحمر وراء تلالكم الجميلة، وسرعان ما يطلع النهار».

قلت له متوسلًا: «سؤال واحد فقط قبل أن تذهب».

وافق بطبيعته الطيبة: «حسنًا!».

سألته: «كيف تمكن جاهان من دخول قاعة العرش مرتديًا زخارف أوتار؟».

أجاب أمير الحرب: «الأمر بسيط لجاهان الجاثولي. لقد تسلل بمساعدة إيجوس إلى قاعة القادة قبل الحفل، بينما أُخليت قاعة العرش وقاعة القادة لاستقبال العروس. جاء عن طريق الحُفر خلال الممر الذي يقع وراء الستائر خلف العرش. وفي قاعة القادة، اتخذ مكانة فوق ظهر ثوات دون راكب، حيث كان راكبه في غرفة إيجوس لترميمه. وعندما دخل أوتار واقترب من هذا الثوات، هاجمه جاهان وضربه بمؤخرة رمح ثقيل. تصور أنه قتله، وفوجئ عندما ظهر أوتار وندد به».

سألته بإصرار: «وجيك؟ ماذا حدث له؟».

«قاد فال دور وفلوران طائرة تارا بعد أن تمكنا من إصلاحها، ورافقهما جيك إلى جاثول، ومن هناك بعثوا لي برسالة إلى هيليوم. وبعد ذلك قاد مجموعة كبيرة من السطح، تضم أكور ويوثور، حيث هبطت سفننا، أسفل مدرج لولبي إلى القصر وأرشدهم إلى قاعة العرش. أخذناه معنا إلى هيليوم، حيث لا يزال يعيش مع رايكوره الوحيد الذي وجدناه يكاد يموت جوعًا في حُفر ماناتور. ولكن، كفى! لا مزيد من الأسئلة الآن».

رافقته إلى الرواق الشرقي، حيث كان الفجر الأحمر متوهجًا وراء أقواس جدران الغرفة.

قال: «وداعا!».

قلت: «بالكاد ما يمكنني أن أصدق أنك أنت بالفعل. سأتأكد غدًا أنني كنت أحلم بهذا كله».

ضحك، وامتشق سيفه، ثم خدش أسمنت جدران أحد الأقواس راسمًا خطين متقاطعين بفظاظة.

وقال: «إذا تشككت غدًا، تعال وانظر إن كنت قد حلمت بهذا».

وبعد لحظة، كان قد ذهب.



شطرنج المريخ

هزمني شيا الآن في لعبة الشطرنج كالمعتاد، وشعرت كالمعتاد أيضًا بارتياح مريب وأنا أمازحه بعقلية فاشلة لإثارة اهتمامه للمرة الألف بتلك النظرية التي يطرحها بعض العلماء، وتؤكد أن لاعبي الشطرنج العظماء ينتمون دائمًا إلى صفوف الأطفالدون الثانية عشرة من العمر، أو إلى البالغين الذين تزيد أعمارهم عن اثنين وسبعين عامًا، أو إلى من يعانون علة عقلية، وهي النظرية التي أتجاهلها قليلاً في تلك الحالات النادرة التي أفوز فيها. ذهب شيا إلى سريره لينام، وكان يجب أن أحذو حذوه؛ لأننا نمتطي الأحصنة هنا دائمًا قبل شروق الشمس؛ لكنني جلست أمام طاولة الشطرنج في المكتبة، انفث الدخان بإهمال نحو رأس ملكي المهزوم، وفي هذه الأثناء، سمعت الباب الشرقي لغرفة المعيشة يُفتح ويدخل شخص ما. تصورت أن شيا عاد ليتحدث معي حول بعض الأمور المتعلقة بأعمال الغد؛ لكنني عندما رفعت عيني ونظرت نحو المدخل الذي يربط بين الغرفتين، رأيت هيئة برونزية عملاقة، هيئة رجل جسده عاريًا إلا من عتاد مرصع بالجواهر يتدلى من أحد جانبيه سيف قصير مزخرف، ومن الجانب الآخر مسدس من طراز غريب. أدركت على الفور الشعر الأسود، العيون الرمادية الفولاذية، الشجاعة والابتسام، السمات النبيلة، وقفزت واقفًا على قدمي لأصافح اليد الممدودة...

هذه هي البداية الشيقة والمثيرة لشطرنج المريخ، رواية جديدة في سلسلة روايات المريخ للروائي العالمي الشهير إدجار رايس بوروز. رواية لا تفوت عشاق الروايات والخيال العلمي.

آفاق
AFAQ BOOKS